الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوَاْ إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ وَلَـكِنّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد, ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام. القائلين لك: لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك, فإننا لو نَزّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ حتى يروها عيانا وكَلّمَهُمُ المَوْتَى بإحيائنا إياهم, حجة لك ودلالة على نبوّتك, وأخبروهم أنك محقّ فيما تقول, وأن ما جئتهم به حقّ من عند الله, وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ فجعلناهم لك قُبُلاً ما آمنوا ولا صدّقوك, ولا اتبعوك إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ ذلك لمن شاء منهم. وَلَكِنّ أكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك, يحسبون أن الإيمان إليهم والكفر بأيديهم, متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا كفروا. وليس ذلك كذلك, ذلك بيدي, لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته, ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته.

وقيل: إن ذلك نزل في المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم, وما جاء به من عند الله, من مشركي قريش. ذكر من قال ذلك:

10774ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, قال: نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الآية, فقال: قل يا محمد إنما الآيات عند الله, وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونزل فيهم: وَلَوْ أنّنا نَزّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً.

وقال آخرون: إنما قيل: ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا يراد به أهل الشقاء, وقيل: إلاّ أنْ يَشَاءَ الله فاستثنى ذلك من قوله: لِيُؤْمِنُوا يراد به أهل الإيمان والسعادة. ذكر من قال ذلك:

10775ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ أنّنا نَزّلْنا إلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وكَلّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا وهم أهل الشقاء. ثم قال: إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس, لأن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ما كانُوا لِيُؤْمِنوا القوم الذين تقدّم ذكرهم في قوله: وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيمَانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنّ بِها. وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج: إنهم عنوا بهذه الآية ولكن لا دلالة في ظاهر التنزيل على ذلك ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك. والخبر من الله خارج مخرج العموم, فالقول بأن ذلك عُني به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً فقرأته قرّاء أهل المدينة: «قِبَلاً» بكسر القاف وفتح الباء, بمعنى معاينة, من قول القائل: لقيته قبَلاً: أي معاينة ومجاهرة. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً بضم القاف والباء.

وإذا قرىء كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجـه: أحـدها أن يكـون القُبُـل: جمع قَبِيل كالرّغُف التي هي جمع رغيف, والقُضُب الـتي هـي جمـع قضـيب, ويكون القُبُـل: الضـمناء والكفلاء وإذا كـان ذلـك معنـاه, كـان تأويـل الكلام: وحشرنا عليهم كلّ شيء كفلاء يكفلون لهم بأن الـذي نعـدُهم علـى إيمـانهم بالله إن آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم, مـا آمنـوا إلا أن يشاء الله.

والوجه الاَخر: أن يكون «القُبُل» بمعنـى المقابلـة والمواجهـة, مـن قـول القائل: أتيتك قُبُلاً لا دُبُرا, إذا أتاه من قَبِل وجهه.

والوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كلّ شيء قبيلة قبيلة, صنفا صنفا, وجماعة جماعة. فيكون القُبُل حينئذٍ جمع قَبيل الذي هـو جمـع قبيلـة, فيكون القُبل جمع الجمع. وبكلّ ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويـل. ذكـر من قال: معنى ذلك: معاينة.

10776ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً يقول: معاينة.

10777ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ.

ذكر من قال: معنى ذلك: قبيلة قبيلة صنفا صنفا.

10778ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن يزيد, من قرأ: قُبُلاً معناه: قبيلاً قبيلاً.

10779ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, قال: قال مجاهد: قُبُلاً أفواجا, قبيلاً قبيلاً.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أحمد بن يونس, عن أبي خيثمة, قال: حدثنا أبـان بـن تغلـب, قـال: ثنـي طلحـة أن مجاهـدا قـرأ فـي الأنعام: كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً قال: قبائل, قبيلاً قبيلاً وقبيلاً. ذكر مـن قـال: معنـاه: مقابلة.

10780ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ أنّنـا نَزّلْنـا إلَيْهِـمُ المَلائِكَـةَ وكَلّمَهُـمُ المَوْتَى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُـلّ شَـيْءٍ قُبُلاً يقـول: لـو اسـتقبلهم ذلـك كلـه, لَـمْ يُؤْمِنُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ.

10781ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً قـال: حشـروا إليهـم جميعـا, فقـابلوهم وواجهوهم.

10782ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن يزيد, قرأ عيسى: قُبُلاً ومعناه: عيانا.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا, قراءة من قرأ: وَحَشَرْنا عَلَيْهِـمْ كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً بضمّ القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه الـتي بينـا من المعاني, وأن معنى القِبَل داخل فيه, وغير داخل في القِبَل معاني القُبُل. وأما قوله: وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ فإن معناه: وجمعنا عليهم, وسقنا إليهم.

الآية : 112

القول في تأويل قـوله تعـالى: {وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـا لِكُـلّ نَبِـيّ عَـدُوّاً شَـيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ مَـا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسلّيه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله, وحاثّا له علـى الصـبر علـى مـا نال فيه: وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّا يقول: وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنـا لك من مشركي قومـك أعـداء شـياطين يُـوحِي بَعْضُـهُمْ إلـى بَعْـضٍ زُخْـرُفَ القَوْلِ ليصدّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربك كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل, بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات, يقول: فهذا الذي امتحنتك بـه لـم تخصص به من بينهم وحدك, بل قد عممتهم بـذلك معـك لأبتليهـم وأختـبرهم مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم, فلم أفعل ذلـك إلا لأعـرف أولـي العزم منهم من غيرهم يقول: فاصبر أنت كما صبر أولو العـزم مـن الرسـل. وأما شياطين الإنس والجنّ فإنهم مردتهم. وقد بيّنا الفعل الذي منه بني هـذا الاسم بما أغنى عن إعادته. ونصب العدوّ والشياطين بقوله: جَعَلْنا.

وأما قوله: يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُـرُورا فـإنه يعنـي: أنـه يُلقي الملقي منهم القول الذي زيّنه وحسنه بالباطل إلـى صـاحبه, ليغـترّ بـه من سمعه فيضل عن سبيل الله.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي معنـى قـوله: شَـياطِينَ الإنْـسِ والجِـنّ فقـال بعضهم: معناه: شياطين الإنس التي مع الإنـس, وشـياطين الجـنّ الـتي مـع الجنّ وليس للإنس شياطين. ذكر من قال ذلك:

10783ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وكَـذَلِكَ جَعَلْنَـا لِكُـلّ نَبِـيّ عَـدُوّا شَـياطِينَ الإنْـسِ والجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورا وَلَوْ شَاءَ رَبّكَ مـا فَعَلُـوهُ أما شياطين الإنس: فالشياطين التي تضلّ الإنـس, وشـياطين الجـنّ الـذين يضلون الجنّ يلتقيان فيقول كلّ واحد منهما: إني أضللت صاحبي بكذا وكـذا, وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا, فيُعلم بعضُهم بعضا.

10784ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو نعيم, عن شريك, عن سـعيد بـن مسروق, عن عكرمة: شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ قال: ليس في الإنس شياطين ولكن شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس, وشـياطين الإنـس يوحـون إلى شياطين الجنّ.

10785ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن السديّ, في قـوله: يُـوحِي بَعْضُـهُمْ إلـى بَعْـضٍ زُخْـرَفَ القَـوْلِ غُـرُورا قـال: للإنسان شيطان, وللجنيّ شيطان, فيَلْقَـى شَـيطان الإنـس شـيطان الجـنّ, فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

قال أبو جعفر: جعل عكرمة والسديّ في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهمـا عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله: وكَذَلِكَ جَعَلْنـا لِكُـلّ نَبِـيّ عَـدُوّا أولاد إبليس دون أولاد آدم ودون الجنّ, وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحي إلـى بعض زخرف القول غرورا, وَلَدَ إبليس, وأن مَنْ مع ابن آدم مـن ولـد إبليـس يوحي إلى من مع الجنّ من ولده زخرف القول غرورا. وليـس لهـذا التأويـل وجه مفهوم, لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم, فكلّ ولده لكلّ ولده عدوّ. وقد خصّ اللـه فـي هـذه الآيـة الخـبر عـن الأنبيـاء أنـه جعـل لهـم مـن

الشياطين أعداء, فلو كان معنيّا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السديّ, الذين هم ولد إبليس, لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداءً وجهٌ. وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم, ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه معنيّ به أنه جعل مردة الإنس والجنّ لكلّ نبيّ عدوّا يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

10786ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن حميد بن هلال, قال: ثني رجل من أهل دمشق, عن عوف بن مالك, عن أبي ذرّ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا ذرّ, هَلْ تَعَوّذْتَ باللّهِ مِنْ شَرّ شَياطِينِ الإنْسِ والجِنّ؟» قال: قلت: يا رسول الله, هل للإنس من شياطين؟ قال: «نَعَمْ».

10787ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة, عن ابن عائذ, عن أبي ذرّ, أنه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس, قال: فقال: «يا أبا ذَرّ, هَلْ صَلّيْتَ؟» قال: قلت: لا يا رسول الله قال: «قُمْ فارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ» قال: ثم جئت فجلست إليه, فقال: «يا أبا ذَر هَلْ تَعَوّذْتَ بالله مِنْ شَرّ شَياطِين الإنْس والجِنّ؟» قال: قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نَعَمْ, شَرّ مِنْ شَياطِين الجِنّ».

10788ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: بلغني أن أبا ذرّ قام يوما يصلي, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تَعَوّذْ يا أبا ذَرّ مِنْ شَياطِين الإنْس والجِنّ» فقال: يا رسول الله: أوَ إنّ من الإنس شياطين؟ قال: «نعم».

وقال آخرون في ذلك بنحو الذي قلنا من ذلك إنه إخبار من الله أنّ شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض. ذكر من قال ذلك:

10789ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: شَياطِينَ الإنْس والجِنّ قال: من الجنّ شياطين, ومن الإنس شياطين يوحي بعضهم إلى بعض. قال قتادة: بلغني أن أبا ذرّ كان يوما يصلي, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «تَعَوّذْ يا أبا ذَرّ مِنْ شَياطِين الإنْسِ والجِنّ» فقال: يا نبيّ الله, أو إنّ من الإنس شياطين؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ».

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدوّا شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ... الآية, ذكر لنا أبا ذرّ قام ذات يوم يصلي, فقال له نبي الله: «تَعَوّذْ بالله مِنْ شَياطِينَ الجِنّ والإنْس» فقال: يا نبيّ الله أو للإنس شياطين كشياطين الجنّ؟ قال: «نَعَمْ, أوَ كَذَبْتُ عَلَيْهِ؟».

10790ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسن, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد: وكذلكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدوّا شَياطِينَ الإنْس والجِنّ فقال: كفار الجنّ شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورا.

وأما قوله: زخْرفَ القَوْل غُرورا فإنه المزين بالباطل كما وصفت قبل, يقال منه: زخرف كلامه وشهادته إذا حسن ذلك بالباطل ووشّاه. كما:

10791ـ حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا أبـو نعيـم, عـن شـريك, عـن سعيد بن مسروق, عن عكرمـة, قـوله: زخْـرفَ القَـوْل غُـرورا قـال: تزييـن الباطل بالألسنة.
10792ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما الزخرف, فزخرفوه: زيّنوهُ.
10793ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهـد: زُخْـرفَ القَـوْل غُـرُورا قـال: تزييـن الباطـل بالألسنة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10794ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عبـاس, قـوله: زُخْـرَفَ القَـوْل غُـرُورا يقـول: حسّـن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم في فتنتهم.
10795ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: زُخْرُفَ القَوْل غُـرُورا قـال: الزخـرف: المزيّـن, حيـث زيّـن لهـم هـذا الغرور, كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه لمـن الناصـحين. وقـرأ: وَقَيّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيّنُوا لَهُمْ قال: ذلك الزخرف.
وأما الغرور: فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصده ع ن الصـواب إلـى الخطـأ ومن الحقّ إلى الباطل. وهو مصدر من قول القائل: غررت فلانا بكـذا وكـذا, فأنا أغرّه غرورا وغرّا. كالذي:
10796ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, ق ال: حدثنا أسباط, عن السديّ: غُرُورا قال: يغرّون به الناس والجنّ.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ رَبّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ.
يقول تعالى ذكره: ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعـداء من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم, فعلـت ذلك ولكني لم أشأ ذلك لأبتلي بعضهم ببعض فيسـتحقّ كـلّ فريـق منهـم مـا سبق له في الكتاب السابق. فَذَرْهُمْ يقول: فدعهم, يعني الشـياطين الـذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجنّ, وَما يَفْتَرُونَ يعني: وما يختلفون مـن إفـك وزور, يقول له صلى الله عليه وسلم: اصْـبرِ عَلَيْهِـمْ فـإنّي مِـنْ وَرَاءِ عِقـابِهِمْ علـى افْتِرَائِهِمْ على اللّهِ وَاخْتِلاقِهِمْ عَلَيْهِ الكَذِبَ والزّورَ.

الآية : 113

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَلِتَصْـغَىَ إِلَيْـهِ أَفْئِـدَةُ الّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِالاَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مّقْتَرِفُونَ }.
يقول تعالى ذكره وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِـيّ عَـدُوّا شَـياطِينَ الإنْـسِ والجِـنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورا وَلِتَصْغَى إلَيْهِ يقول جـلّ ثنـاؤه: يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيّن من القول بالباطل, ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء, فيفتنوهم عن دينهم وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِـدَةُ الّـذِين لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. وهـو مـن صغوتَ تَصْغَى وتَصْغُو, والتنزيل جاء بتَصْـغَى صَـغْوا وصُـغُوّا, وبعـض العـرب يقول صَغَيْت بالياء حُكي عن بعض بني أسد: صَغَيْتُ إلى حديثه, فأنـا أصْـغَى صُغِيّا بالياء, وذلك إذا ملت, يقال: صَغْوي معك: إذا كان هـواك معـه وميلـك,

مثل قولهم: ضِلَعي معك, ويقال: أصغيت الإناء: إذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه قول الشاعر:
تَرَى السّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلّ مُحْكَمَةٍزَيْغٌ وَفِيهِ إلى التّشْبِيهِ إصْغاءُ
ويقال للقمر إذا مال للغيوب: صَغَا وأصْغَى.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10797ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ يقول: تزيغ إليه أفئدة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: وَلِتَصْغَى إلَيْه أفْئِدَةُ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قال: لتميل.
10798ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ يقول: تميل إليه قلوب الكفار ويحبونه ويرضون به.
10799ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ قال: ولتصغى: وليهووا ذلك وليرضوه, قال: يقول الرجل للمرأة: صَغَيْتُ إليها: هويتها.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ.
يقول تعالى ذكره: وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون. حُكي عن العرب سماعا منها: خرج يقترف لأهله, بمعنى يكسب لهم, ومنه قيل: قارف فلان هذا الأمر: إذا واقعه وعمله. وكان بعضهم يقول: هو التهمة والادّعاء, يقال للرجل: أنت قرفتني: أي اتهمتني, ويقال: بئسما اقترفت لنفسك. وقال رؤبة:
أعْيا اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِتَقْوَى التّقِيّ وَعِفّةَ العَفِيفِ
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَلِيَقْتَرِفُوا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10800ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ وليكتسبوا ما هم مكتسبون.
10801ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ قال: ليعملوا ما هم عاملون.
10802ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ قال: ليعملوا ما هم عاملون.

الآية : 114

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الّذِيَ أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصّلاً وَالّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنّهُ مُنَزّلٌ مّن رّبّكَ بِالْحَقّ فَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام, القائلين لك كفّ عن آلهتنا ونكفّ عن إلهك: إن الله قد حكم عليّ بذكر آلهتكم بما يكون صدّا عن عبادتها, أفَغَيْرَ اللّهِ أبْتَغي حَكَما أي قل: فليس لي أن أتعدى حكمه وأتجاوزه, لأنه لا حكم أعدل منه ولا قائل

أصدق منه. وهُوَ أَنْزَلَ إلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصّلاً يعني: القرآن مفصلاً, يعني مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم. وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: والّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمُونَ أنّهُ مُنَزّلٌ مِنْ رَبكَ بالحَقّ فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمْتَرِينَ.

يقول تعالى ذكره: إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيدَ الله, وأشركوا معه الأنداد, وجحدوا ما أنزلته إليك, وأنكروا أن يكون حقّا, وكذّبوا به. فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والإنجيل من بني إسرائيل, يَعْلَمُونَ أنّهُ مُنَزّلٌ مِنْ رَبّكَ يعني: القرآن وما فيه بالحَقّ يقول: فصلاً بين أهل الحقّ والباطل, يدلّ على صدق الصادق في علم الله, وكذب الكاذب المفتري عليه. فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمْتَرِينَ يقول: فلا تكوننّ يا محمد من الشاكين في حقية الأنباء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحقّ. وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله: فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمْتَرِينَ بِمَا أغْنَى عن إعادته مع الرواية المروية فيه. وقد:

10803ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قوله: فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمْتَرِينَ يقول: لا تكوننّ في شكّ مما قصصنا عليك.

الآية : 115

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَمّتْ كَلِمَةُ رَبّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاّ مُبَدّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: وكملت كلمة ربك, يعني القرآن. سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان. صِدْقا وَعَدْلاً يقول: كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة, كما يقال: عندي عشرون درهما. لا مُبَدّلَ لِكَلَماتِهِ يقول: لا مغيّر لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه. وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه: يُرِيدُونَ أنْ يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ قُلْ لَنْ تَتّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ فكانت إرادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبيّ الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه, وقولهم له ولمن معه من المؤمنين: ذَرُونا نَتّبِعْكُمْ بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم تعالى ذكره في كتابه بقوله: فإنْ رَجَعَكَ اللّهُ إلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فاسْتأذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّا... الآية, فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبيّ الله في غزاة, ولن يقاتلوا معه عدوّا بقولهم لهم: ذَرُونا نَتّبِعْكُمْ فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يريدون أن يبدّلوا بمسألتهم إياهم ذلك كلام الله وخبره قُلْ لَنْ تَتّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْل. فكذلك معنى قوله: لا مُبَدّلَ لِكَلِماتِهِ إنما هو: لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه, على ما أخبر جلّ ثناؤه لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها وذلك أن اليهود والنصارى لا شكّ أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه, وقد أخبر جلّ ثناؤه أنهم يحرّفون غير الذي أخبر أنه لا مبدّل له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10804ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَتمّتْ كَلِمَةُ رَبّك صِدْقا وَعَدْلاً لا مُبَدّلَ لِكَلِماتِهِ يقول: صدقا وعدلاً فيما حكم.

وأما قوله: وَهُوَ السّمِيعُ العَلِيمُ فإن معناه: والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله, المقسمون بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها, وغير ذلك من كلام خلقه, العليم بما تَئُول إليه أيمانهم من برّ وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده.

الآية : 116

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأرْضِ يُضِلّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتّبِعُونَ إِلاّ الظّنّ وَإِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم, وأهلّوا به لغير ربهم وأشكالهَم من أهل الزيغ والضلال, فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله ومحجة الحقّ والصواب فيصدّوك عن ذلك.

وإنما قال الله لنبيه: وَإِنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ فِي الأرْض من بني آدم, لأنهم كانوا حينئذٍ كفارا ضلالاً, فقال له جلّ ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه, فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطئوه.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه في أنفسهم, فقال: إنْ يَتّبِعُونَ إلاّ الظّنّ فأخبر جلّ ثناؤه أنهم من أمرهم على ظنّ عند أنفسهم, وحسبان على صحة عزم عليه وإن كان خطأ في الحقيقة.

وَإنْ هُمْ إلاّ يَخْرُصُونَ يقول: ما هم إلا متخرّصون يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم, يقال منه: خَرَصَ يَخْرُصُ خَرْصا وخِرْصا: أي كذب وتخرّص بظنّ وتخرّص بكذب, وخرصتُ النخل أخْرُصُه, وخَرِصتْ إبلك: أصابها البرد والجوع.

الآية : 117

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان, لئلا يضلوك عن سبيله, هو أعلم منك ومن جميع خلقه, أيّ خلقه يضلّ عن سبيله بزخرف القول الذي يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض, فيصدّوا عن طاعته واتباع ما أمر به. وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ يقول: وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد, لا يخفى عليه منهم أحد. يقول: واتبع يا محمد ما أمرتك به, وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته, فإني أعلم بالهادي والمضلّ من خلقي منك.

واختلف أهل العربية في موضع «مَنْ» في قوله: إنّ رَبّكَ هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضلّ. فقال بعض نحويي البصرة: موضعه خفض بنية الباء, قال: ومعنى الكلام: إن ربك هو أعلم بمن يضلّ. وقال بعض نحويي الكوفة: موضعه رفع, لأنه بمعنى أيّ, والرافع له «يضلّ».

والصواب من القول في ذلك: أنه رفع ب «يضلّ» وهو في معنى أيّ. وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيرا. وقد

زعم بعضهم أن قوله: أعْلَمُ في هذا الموضع بمعنى «يعلم», واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائي:
فحالَفَتْ طَيّىءٌ مِنْ دونِنا حِلِفاواللّهُ أعلمُ ما كُنا لَهُمْ خُذُلا
وبقول الخنساء:
القَوْمُ أعْلَمُ أنّ جَفْنَتَهُتَغْدُو غَداةَ الرّيحِ أوْ تَسْرِي
وهذا الذي قاله قائل هذا التأويل وإن كان جائزا في كلام العرب, فليس قول الله تعالى: إنّ رَبّكَ هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضِلّ عَنْ سَبِيلِهِ منه وذلك أنه عطف عليه بقوله: وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ فأبان بدخول الباء في «المهتدين» أن أعلم ليس بمعنى يعلم, لأن ذلك إذ كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء, كما لا يقال هو يعلم بزيد, بمعنى يعلم زيدا.

الآية : 118

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكُلُواْ مِمّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته, فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بينت لكم أنه تحلّ به الذبيحة لكم, وذلك ما ذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحقّ, أو ذبحه من دان بتوحيدي من أهل الكتاب, دون ما ذبحه أهل الأوثان ومن لا كتاب له من المجوس. إنْ كُنْتُمْ بآياتِهِ مُؤْمِنِينَ يقول: إن كنتم بحجج الله التي أتتكم وإعلامه بإحلال ما أحللت لكم وتحريم ما حرّمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدّقين, ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غرورا. وكان عطاء يقول في ذلك ما:
10805ـ حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: قوله: فَكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح, وكلّ شيء يدلّ على ذكره يأمر به.

الآية : 119

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلاّ تَأْكُلُواْ مِمّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصّلَ لَكُمْ مّا حَرّمَ عَلَيْكُمْ إِلاّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنّ كَثِيراً لّيُضِلّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ }.
اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويل قوله: وَما لَكُمْ أنْ لا تَأْكُلُوا فقال بعض نحويي البصريين: معنى ذلك: وأيّ شيء لكم في أن لا تأكلوا, قال: وذلك نظير قوله: وَما لَنا أنْ لا نُقاتِلَ يقول: أيّ شيء لنا في ترك القتال؟ قال: ولو كانت لا زائدة لا يقع الفعل, ولو كانت في معنى: وما لنا وكذا, لكانت: وما لنا وأن لا نقاتل. وقال غيره: إنما دخلت لا للمنع, لأن تأويل «ما لك», و«ما منعك» واحد, ما منعك لا تفعل ذلك, وما لك لا تفعل واحد, فلذلك دخلت «لا». قال: وهذا الموضع تكون فيه «لا» وتكون فيه «أن» مثل قوله: يُبَيّنَ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا و«أن لا تضلوا»: يمنعكم من الضلال بالبيان.
وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى قوله: وَما لَكُمْ في هذا الموضع: وأيّ شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه, وذلك أن الله تعالى ذكره تقدّم إلى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه وإباحة

أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة, وتحريم ما أهلّ به لغيره من الحيوان, وزجرهم عن الإصغاء لما يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض من زخرف القول في الميتة, والمنخنقة, والمتردية, وسائر ما حرّم الله من المطاعم. ثم قال: وما يمنعكم من أكل ما ذبح بديني الذي ارتضيته, وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تَطعمون, وبينته لكم بقوله: حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدّمُ وَلحْمُ الخِنْزِيرِ وَما أُهِلّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ... إلى قوله: فَمَنِ اضْطُرّ فِي مَخْمَصَةٍ غيرَ مُتَجانِفٍ لإِثْمٍ فلا لبس عليكم في حرام ذلك من حلاله, فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه. فإذ كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأوّلي ذلك: وأيّ شيء لكم في أن لا تأكلوا لأن ذلك إنما يقال كذلك لمن كان كفّ عن أكله رجاء ثواب بالكفّ عن أكله, وذلك يكون ممن آمن بالكفّ فكفّ اتباعا لأمر الله وتسليما لحكمه, ولا نعلم أحدا من سلف هذه الأمة كفّ عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك, واعتقادا منه أن الله حرّمه عليه. فبَيّنٌ بذلك إذ كان الأمر كما وصفنا أن أولى التأويلين في ذلك بالصواب ما قلنا.

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله: «فصّل», و«فصلنا» و«فُصّل»: بيّن, أو بُيّن, بما يغني عن إعادته في هذا الموضع. كما:

10806ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَقَدْ فَصّلَ لَكُمْ ما حَرّمَ عَلَيْكُمْ يقول: قد بَيّن لكم ما حرّم عليكم.

10807ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, عن ابن زيد, مثله.

واختلفت القرّاء في قول الله جلّ ثناؤه: وَقَدْ فَصّلَ لَكُمْ ما حَرّمَ عَلَيْكُمْ فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من «فصّل» و«حَرّم»: أي فصّل ما حرّمه من مطاعمكم, فبينه لكم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: وَقَدْ فَصّل بفتح فاء فصّل وتشديد صاده, «ما حُرّم» بضم حائه وتشديد رائه, بمعنى: وقد فصّل الله لكم المحرّم عليكم من مطاعمكم. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: «وَقَدْ فُصّلَ لَكُمْ» بضمّ فائه وتشديد صاده «ما حُرّمَ عَلَيْكُمْ» بضمّ حائه وتشديد رائه, على وجه ما لم يسمّ فاعله في الحرفين كليهما. ورُوِي عن عطية العوفي أنه كان يقرأ ذلك: «وَقَدْ فَصَلَ» بتخفيف الصاد وفتح الفاء, بمعنى: وقد أتاكم حكم الله فيما حرّم عليكم.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن كلّ هذه القراءات الثلاث التي ذكرناها سوى القراءة التي ذكرنا عن عطية قراءات معروفة مستفيضة القراءة بها في قرّاء الأمصار, وهن متفقات المعاني غير مختلفات, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب فيه الصواب.

وأما قوله: إلاّ ما اضْطُرِرتُمْ إلَيْهِ فإنه يعني تعالى ذكره: أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التي بيّن تحريمها لنا في غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا إليه مضطّرين, حتى تزول الضرورة. كما:

10808ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إلاّ ما اضْطُرِرْتُمْ إلَيْهِ من الميتة.

القولُ في تأويل قوله تعالى: وَإنّ كَثِيرا لَيُضِلّونَ بأهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ إنّ رَبّكَ هُوَ أعْلَمُ بالمُعْتَدِينَ.

يقول تعالى ذكره: وإنّ كَثِيرا من الناس الذين يجادلونكم في أكل ما حرّم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة لَيُضِلّونَ أتباعهم بأهْوَائِهِمْ بغير عِلْم

منهم بصحة ما يقولون, ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون, إلا ركوبا منهم لأهوائهم, واتباعا منهم لدواعي نفوسهم, اعتداءً وخلافا لأمر الله ونهيه, وطاعة للشياطين. إنّ رَبّكَ هُوَ أعْلَمُ بالمُعْتَدِينَ يقول: إن ربك يا محمد الذي أحلّ لك ما أحلّ وحرّم عليك ما حرّم, هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها, وهو لهم بالمرصاد.

واختلفت القرّاء فِي قراءة قوله: لَيُضِلّونَ فقرأته عامة أهل الكوفة: لَيُضِلّونَ بمعنى: أنهم يضلون غيرهم. وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين: «لَيَضِلّونَ» بمعنى: أنهم هم الذين يضلون عن الحقّ فيجورون عنه.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك, قراءة من قرأ: وإنّ كَثِيرا لَيُضِلّونَ بأهْوَائِهِمْ بمعنى: أنهم يضلون غيرهم وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يدعونه إليه, فقال: وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم, ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه, فقال لهم: وَإنّ كَثِيرا منهم لَيُضِلّونَكم بأهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ نظير الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ.

الآية : 120

القول في تأويل قوله تعالى: {وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنّ الّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ودعوا أيها الناس علانية الإثم وذلك ظاهره, وسرّه وذلك باطنه. كذلك:

10809ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ أي قليله وكثيره وسرّه وعلانيته.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ قال: سرّه وعلانيته.

10810ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, في قوله: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ يقول: سره وعلانتيه, وقوله: ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قال: سرّه وعلانيته.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس في قوله: وَذَرُوا ظَاهِرَ الإثمِ وَباطَنهُ قال: نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يُعمل به سرّا, أو علانية, وذلك ظاهره وباطنه.

10811ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ معصية الله في السرّ والعلانية.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ قال: هو ما ينوي مما هو عامل.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالظاهر من الإثم والباطن منه في هذا الموضع, فقال بعضهم: الظاهر منه: ما حرّم جلّ ثناؤه بقوله: وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النّساءِ, قوله: حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمّهاتُكُمْ... الآية, والباطن منه الزنا. ذكر من قال ذلك:

10812ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ قال:

الظاهر منه: لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النّساءِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ والأمهات, والبنات والأخوات. والباطن: الزنا.
وقال آخرون: الظاهر: أولات الرايات من الزواني. والباطن: ذوات الأخدان. ذكر من قال ذلك:
10813ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ أما ظاهره: فالزواني في الحوانيت. وأما باطنه: فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرّا.
10814ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: ثني عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ كان أهل الجاهلية يستسّرون بالزنا, ويرون ذلك حلالاً ما كان سرّا, فحرّم الله السرّ منه والعلانية. ما ظهر مها: يعني العلانية, وما بطن: يعني السرّ.
10815ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي مكين وأبيه, عن خصيف, عن مجاهد: لا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ قال: ما ظهر منها: الجمع بين الأختين, وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده. وما بطن: الزنا.
وقال آخرون: الظاهر: التعرّي والتجرّد من الثياب وما يستر العورة في الطواف. والباطن: الزنا. ذكر من قال ذلك:
10816ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ قال: ظاهره العُرْيَةُ التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت. وباطنه: الزنا.
والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدّم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه وذلك سرّه وعلانيته, والإثم: كلّ ما عصى الله به من محارمه, وقد يدخل في ذلك سرّ الزنا وعلانيته, ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهنّ, ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات, والطواف بالبيت عريانا, وكلّ معصية لله ظهرت أو بطنت. وإذ كان ذلك كذلك, وكان جميع ذلك إثما, وكان الله عمّ بقوله: وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن, لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئا دون شيء إلا بحجة للعذر قاطعة. غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان, كان توجيهه إلى أنه عني بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع: ما حرّم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم, وما بين الله تحريمه في قوله: حُرّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ... إلى آخر الآية, أوْلى, إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه في سياقها, ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك, وأدخل فيها الأمر باجتناب كلّ ما جانسه من معاصي الله, فخرج الأمر عامّا بالنهي عن كلّ ما ظهر أو بطن من الإثم.
القول في تأويل قوله تعالى: إنّ الّذِينَ يَكْسِبُونَ الإثمَ سَيُجزّوْنَ بِمَا كانُوا يَقْتَرِفُونَ.
يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويركبون معاصي الله ويأتون ما حرّم الله, سَيُجْزَوْنَ يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه.

الآية : 121

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنّهُ لَفِسْقٌ وَإِنّ الشّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىَ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ: لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له في كتاب منزّل فإنه حرام عليكم, ولا ما أهلّ به لغير الله مما ذبحه المشركون لأوثانهم, فإن أَكْلَ ذلك فسق, يعني: معصية كفر. فكنى بقوله: «وإنه» عن «الأكل», وإنما ذكر الفعل, كما قال: الّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمانا يراد به: فزاد قولهم ذلك إيمانا, فكنى عن القول, وإنما جرى ذكره بفعل. وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائهِمْ: اختلف أهل التأويل في المعنّي بقوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائهِمْ فقال بعضهم: عنى بذلك: شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس إلى أَوْلِيَائِهِمْ من مَرَدِةِ مشركي قريش, يوحون إليهم زخرف القول بجدال نبيّ الله وأصحابه في أكل الميتة. ذكر من قال ذلك:

10817ـ حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري, قال: حدثنا موسى بن عبد العزيز القنباري, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرمة, لما نزلت هذه الآية بتحريم الميتة, قال: أوحت فارس إلى أوليائها من قريش أن خاصِموا محمدا وكانت أولياءهم في الجاهلية وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال, وما ذبح الله قال ابن عباس: بشمشار من ذهب فهو حرام, فأنزل الله هذه الآية: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ قال: الشياطين: فارس, وأولياؤهم: قريش.

10818ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عمرو بن دينار, عن عكرمة: أن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم, وكاتبتهم فارس, وكتبت فارس إلى مشركي قريش أن محمدا وأصحابه يزعمون أنه يتبعون أمر الله, فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة وأما ما ذبحوا هم يأكلون. وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام, فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء, فنزلت: وَإنّهُ لَفِسْقٌ وَإنّ الشّياطِينَ لَيَوُحُونَ... الآية, ونزلت: يُوحِى بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورا.

وقال آخرون: إنما عني بالشياطين الذين يغرون بني آدم أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريش. ذكر من قال ذلك:

10819ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن سماك, عن عكرمة, قال: كان مما أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس: كيف تعبدون شيئا لا تأكلون مما قتل, وتأكلون أنتم ما قتلتم؟ فرُوِي الحديث حتى بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنزلت: وَلا تأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

10820ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, قوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائهِمْ قال: إبليس الذي يوحي إلى مشركي قريش. قال ابن جريج عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قال: شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس, يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم. قال ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, قال: سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل الشرك يأمرونهم أن

يقولوا: ما الذي يموت وما الذي تذبحون إلا سواء يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم, وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ قال: قول المشركين: أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون, وأما ما ذبحتم بأيديكم فحلال.

10821ـ حدثنا محمد بن عمار الرازي, قال: حدثنا سعيد بن سليمان, قال: حدثنا شريك, عن سماك بن حرب, عن عكرمة, عن ابن عباس أن المشركين قالوا للمسلمين: ما قتل ربكم فلا تأكلون, وما قتلتم أنتم تأكلونه فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: لما حرّم الله الميتة أمر الشيطانُ أولياءه, فقال لهم: ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم, فقال الله: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

حدثنا يحيى بن داود الواسطي, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق, عن سفيان, عن هارون بن عنترة, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: جادل المشركون المسلمين, فقالوا: ما بال ما قتل الله لا تأكلونه وما قتلتم أنتم أكلتموه, وأنتم تتبعون أمر الله فأنزل الله: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّهُ لَفِسْقٌ... إلى آخر الآية.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الله, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه, وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

10822ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة: أن ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «اللّهُ قَتَلَها». قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنتَ وأصحابُك حلال, وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

10823ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, عن الحضرميّ: أن ناسا من المشركين, قالوا: أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه, وأما ما قتل الله فلا تأكلونه.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فَكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ بآياته مؤمِنِينَ قال: قالوا: يا محمد, أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه, وأما ما قتل ربكم فتحرّمونه فأنزل الله: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّهُ لَفِسْقٌ وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه, إنكم إذن لمشركون.

10824ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, قال: قال المشركون: ما قتلتم فتأكلونه, وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت: وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

10825ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ قول

المشركين: أما ما ذَبَحَ الله للميتة فلا تأكلون منه, وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10826ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ قال: جادلهم المشركون في الذبيحة, فقالوا: أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه, وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون: الميتة. فكانت هذه مجادلتهم إياهم.
10827ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَأْكُلُوا ممّا لَمْ يُذكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّه لَفِسْقٌ... الآية, يعني: عدوّ الله إبليس, أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة, فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة, فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون, وأما ما قتل الله فلا تأكلون, وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه: وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلها آخر, أو يُسجد لغير الله, أو يُسمى الذبائحَ لغير الله.
10828ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله, وما ذبح الله فلا تأكلونه, وما ذبحتم أنتم أكتلموه؟ فقال الله: لَئِنْ أطَعْتُمُوهُمْ فأكلتم الميتة إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ قال: كانوا يقولون: ما ذُكِرَ الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّهُ لَفِسْقٌ وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ... إلى قوله: لِيُجادِلُوكُمْ قال: يقول: يوحي الشياطين إلى أوليائهم: تأكلون ما قتلتم, ولا تأكلون مما قتل الله؟ فقال: إن الذي قتلتم يذكر اسم الله عليه, وإن الذي مات لم يذكر اسم عليه.
10829ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, في قوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ هذا في شأن الذبيحة, قال: قال المشركون للمسلمين: تزعمون أن الله حرّم عليكم الميتة, وأحلّ لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم, وحرّم عليكم ما ذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية: وَلا تأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ... إلى قوله: المُشْرِكُونَ.
وقال آخرون: كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قوما من اليهود. ذكر من قال ذلك:
10830ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع, قالا: حدثنا عمران بن عيينة, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس قال ابن عبد الأعلى: خاصمت اليهود النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال ابن وكيع:

جاءت اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا: نأكل ما قتلنا, ولا نأكل ما قتل الله فأنزل الله: وَلا تأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّهُ لَفِسْقٌ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, أن يقال: إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم إياهم. وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم, وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس, وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك, كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّا شَياطِينَ الإنْسِ والجِنّ, يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورا, بل ذلك الأغلب من تأويله عندي, لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجنّ والإنس, كما جعل لأنبيائه من قبله يوحي بعضهم إلى بعض المزيّنَ من الأقوال الباطلة, ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرّم الله من الميتة عليهم.

واختلف أهل التأويل في الذي عني الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه, فقال بعضهم: هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها. ذكر من قال ذلك:

10831ـ حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار, قالا: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: قلت لعطاء: ما قوله: فَكُلُوا مِمّا ذُكر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ؟ قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح. قلت لعطاء: فما قوله: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ؟ قال: ينهي عن ذبائح كانت في الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش.

وقال آخرون: هي الميتة. ذكر من قال ذلك:

10832ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لِمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهُ عَلَيْهِ قال: الميتة.

وقال آخرون: بل عنى بذلك كلّ ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها. ذكر من قال ذلك:

10833ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن حميد بن يزيد, قال: سئل الحسن, سأله رجل قال له: أتيت بطير كذا, فمنه ما ذبح, فذكر اسم الله عليه, ومنه ما نسيب أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير؟ فقال الحسن: كله كلّه قال: وسألت محمد بن سيرين, فقال: قال الله: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ.

10834ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن أيوب وهشام, عن محمد بن سيرين, عن عبد الله يزيد الخطميّ, قال: كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين, ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه.

10835ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن أشعث, عن ابن سيرين, عن عبد الله بن يزيد, قال: كنت أجلس إليه في حلقة, فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم, فإذا جاء سائل فإنما يسأله ويسكتون. قال: فجاءه رجل فسأله, فقال: رجل ذبح فنسي أن يسمي؟ فتلا هذه الآية: وَلا تَأكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ حتى فرغ منها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عني بذلك: ما ذبح للأصنام والآلهة, وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته. وأما من قال: عنى بذلك ما

ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله, فقول بعيد من الصواب لشذوذه, وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله, وكفى بذلك شاهدا على فساده. وقد بيّنا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى «لطيف القول في أحكام شرائع الدين» فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله لَفِسقٌ فإنه يعني: وإنّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أهلّ به لغير الله لفسق.

واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع, فقال بعضهم: معناه: المعصية. فتأويل الكلام على هذا: وإنّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم. ذكر من قال ذلك:

10836ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإنّهُ لَفِسْقٌ قال: الفسق: المعصية.

وقال آخرون: معنى ذلك: الكفر.

وأما قوله: وَإنّ الشيّاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنيّ بقوله: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ. والصواب من القول فيه. وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم, فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه, إما بقول, وإما برسالة, وإما بكتاب. وقد بيّنا معنى الوحي فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

10837ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا عكرمة, عن أبي زميل, عن أبي زميل, قال: كنت قاعدا عند ابن عباس, فجاءه رجل من أصحابه, فقال: يا أبا عباس, زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس: صدق فنفرت فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله, ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد, ووحي الشياطين إلى أوليائهم. ثم قال: وَإنّ الشّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ.

وأما الأولياء: فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع.

ويعني بقوله: لِيُجادِلُوكُمْ ليخاصموكم, بالمعني الذي قد ذكرت قبل.

وأما قوله: وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ فإنه يعني: وإن أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما:

10838ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا معاوية, عن علي بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ يقول: وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه.

10839ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ فأكلتم الميتة.

وأما قوله: إنّكُمْ لَمُشْرِكُونَ يعني: إنكم إذا مثلهم, إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً, فإذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين.

واختلف أهل العلم في هذه الآية: هل نسخ من حكمها شيء أم لا؟ فقال بعضهم: لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عُنيت به, وعلى هذا قول عامة أهل العلم. ورُوى عن الحسن البصري وعكرمة, ما:

10840ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصريّ قالا: قال: فَكُلُوا ممّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ بآياتِهِ مُؤْمِنِينَ وَلا تَأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإنّهُ

لَفِسْقٌ فنسخ واستثنى من ذلك, فقال: وَطَعامُ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حِلّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلّ لَهُمْ.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء, وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية. وذلك مما حرّم الله على المؤمنين أكله بقوله: وَلا تأْكُلُوا مِمّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ بمعزل, لأن الله إنما حرّم علينا بهذه الآية الميتة وما أهلّ به للطواغيت, وذبائح أهل الكتاب ذكية سَمّوْا عليها أو لم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها, يذبحون الذبائح بأديانهم كما ذبح المسلم بدينه, سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه, إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل, أو بعبادة شيء سوى الله, فيحرم حينئذٍ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسمّ.

الآية : 122

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَن مّثَلُهُ فِي الظّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مّنْهَا كَذَلِكَ زُيّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذٍ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به, وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا, فهداه جلّ ثناؤه لرشده ووفّقه للإيمان, فقال لهم: إطاعة من كان ميتا, يقول: من كان كافرا. فجعله جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته, بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأَحْيَيْنَاهُ يقول: فهديناه للإسلام, فأنعشناه, فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها, ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه في معاده, فجعل إبصاره الحقّ تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضيء به, فيمشي على قصد السبيل ومنهج الطريق في الناس. كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظّلُماتِ لا يدري كيف يتوجه وأيّ طريق يأخذ لشدّة ظلمة الليل وإضلاله الطريق, فكذلك هذا الكافر الضالّ في ظلمات الكفر لا يبصر رشدا ولا يعرف حقّا, يعني في ظلمات الكفر. يقول: أفطاعة هذا الذي هديناه للحقّ وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد لا يعرف المخرج منها في دعاء هذا إلى تحريم ما حرّم الله وتحليل ما أحلّ وتحليل هذا ما حرّم الله وتحريمه ما أحلّ؟.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما معروفين, أحدهما مؤمن, والآخر كافر.

ثم اختلف أهل التأويل فيهما, فقال بعضهم: أما الذي كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها: فأبو جهل بن هشام. ذكر من قال ذلك:

10841ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: أخبرنا سليمان بن أبي هوذة, عن شعيب السراج, عن أبي سنان عن الضحاك, في قوله: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأحْيَيْناهُ وجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظّلُماتِ قال: أبو جهل بن هشام.

وقال آخرون: بل الميت الذي أحياه الله عمار بن ياسر رضي الله عنه وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها: فأبو جهل بن هشام. ذكر من قال ذلك:

10842ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن بشر بن تيم, عن رجل, عن عكرمة: أَوْ مَنْ كانَ مَيْتا فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي الناسِ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

10843ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن بشر, عن تيم, عن عكرمة: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ عمار بن ياسر. كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُلُماتِ أبو جهل بن هشام.

وبنحو الذي قلنا في الآية قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10844ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ قال: ضالاّ فهديناه, وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي للنّاسِ قال: هدى, كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها قال: في الضلالة أبدا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذَيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فَأَحْيَيْناهُ هديناه, وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاس كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ في الضلالة أبدا.

10845ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ قال: ضالاّ فهديناه.

10846ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ يعني: من كان كافرا فهديناه, وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ يعني بالنور: القرآن من صدّق به وعمل به, كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ يعني بالظلمات: الكفر والضلالة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ يقول: الهدى يمشي به في الناس, يقول: فهو الكافر يهديه الله للإسلام, يقول: كان مشركا فهديناه, كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها.

10847ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ وإليها ينتهي, كتاب الله. كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها وهذا مثل الكافر في الضلالة متحير فيها متسكع, لا يجد مخرجا ولاَ منفذا.

10848ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط عن السديّ: أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ يقول: من كان كافرا فجعلناه مسلما وجلعنا له نورا يمشي به في الناس وهو الإسلام, يقول: هذا كمن هو في الظلمات, يعني الشرك.

10849ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجَعَلْنا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ قال: الإسلام الذي هداه الله إليه. كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظلُماتِ ليس من أهل الإسلام. وقرأ: اللّهُ وَلِيّ الّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظلُماتِ إلى النّورِ قال: والنور يستضيء به ما

في بيته ويبصره, وكذلك الذي آتاه الله هذا النور يستضيء به في دينه ويعمل به في نوره كما يستضيء صاحب هذا السراج. قال: كمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لا يدري ما يأتي ولا ما يقع عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: كَذَلِكَ زُينَ للكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

يقول تعالى ذكره: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله في أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم عن الحقّ, فزينت له سوء عمله, فرآه حسنا ليستحقّ به ما أعددت له من أليم العقاب, كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصي الله, ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال.

وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم فلا صنع له في أفعالهم, وأنه قد سوّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية لأن ذلك لو كان كما قالوا, لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به. وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جلّ ثناؤه أنه زين لكلّ عامل منهم عمله ما ينبىء عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان, وخصّ أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان, وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة.

الآية : 123

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون, كذلك جعلنا بكلّ قرية عظماءها مجرميها, يعني: أهل الشرك بالله والمعصية له لِيَمْكُرُوا فِيها بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه. وَما يَمْكُرُونَ: أي ما يحيق مكرهم ذلك, إلاّ بأنْفُسِهِمْ, لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله. وهم لا يشعرون, يقول: لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه, فهم في غيهم وعتوّهم على الله يتمادون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10850ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أكابِرَ مُجْرِمِيها قال: عظماءها.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10851ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أكابِرَ مُجْرِمِيها قال: عظماءها.

10852ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عكرمة: نزلت في المستهزئين. قال ابن جريج: عن عمرو, عن عطاء, عن عكرمة: أكابِرَ مُجْرِمِيها... إلى قوله: بِمَا كانُوا يَمْكُرُونَ بدين الله وبنبيه عليه الصلاة والسلام وعباده المؤمنين.

والأكابر: جمع أكبر, كما الأفاضل: جمع أفضل. ولو قيل: هو جمع كبير, فجمع أكابر, لأنه قد يقال أكبر, كما قيل: قُلْ هُلْ أُنَبّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أعْمالاً واحدهم الخاسر لكان صوابا. وحُكي عن العرب سماعا: الأكابرة والأصاغرة, والأكابر والأصاغر بغير الهاء على نية النعت, كما يقال: هو أفضل منك. وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على «أفعل» إذا أخرجوها إلى

الأسماء, مثل جمعهم الأحمر والأسود: الأحامر والأحامرة, والأساود والأساودة ومنه قول الشاعر:

إنّ الأحامِرَةَ الثّلاثَةَ أهْلَكَتْمالي وكنتُ بِهِنّ قِدْما مُولَعَا
الخَمْرُ واللّحْمُ السّمِينُ أَدِيمُهُوالزّعفرانُ فلَنْ أزالَ مُبَقّعَا

وأما المكر: فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالقدر ليورّطه الماكر به مكروها من الأمر.

الآية : 124

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا جَآءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نّؤْمِنَ حَتّىَ نُؤْتَىَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدّوا عن سبيل الله آيةٌ يعني: حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته, قالوا لنبيّ الله وأصحابه: لَنْ نُؤْمِنَ يقول: يقولون: لن نصدّق بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به, وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرّمه علينا حتى نُؤْتَى يعنون: حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى مسوى من فلق البحر, وعيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. يقول تعالى ذكره: اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن آيات الأنبياء والرسل لم يعطَها من البشر إلاّ رسول مرسل, وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها. يقول جلّ ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها أهل, فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك عليّ أنتم, لأن تخير الرسول إلى المرسِل دون المرسَل إليه, والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته.

القول في تأويل قوله تعالى: سَيُصِيبُ الّذِينَ أَجرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كانُوا يَمْكُرُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمرّدين عليه: سيصيب يا محمد الذي اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صَغَارٌ يعني: ذلة وهوان. كما:

10853ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: سَيُصِيبُ الّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ قال: الصغار: الذلة.

وهو مصدر من قول القائل: صَغِرَ يَصْغَرُ صَغارا وَصَغَرا, وهو وأشدّ الذلّ.

وأما قوله: صَغارٌ عِنْدَ اللّهِ فإن معناه: سيصيبهم صغارٌ من عند الله, كقول القائل: سيأتيني رزقي عند الله, بمعنى: من عند الله, يراد بذلك: سيأتيني الذي لي عند الله. وغير جائز لمن قال: «سيصيبهم صغار عند الله» أن يقول: «جئت عند عبد الله» بمعنى: جئت من عند عبد الله, لأن معنى «سيصيبهم صغار عند الله»: سيصيبهم الذي عند الله من الذلّ بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير «جئت من عند عبد الله».

وقوله: وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ يقول: يصيب هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله المستحلين ما حرّم الله عليهم من الميتة مع الصغار, عذاب شديد بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لأهل دين الله وطاعته.

الآية : 125

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً كَأَنّمَا يَصّعّدُ فِي السّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرّجْسَ عَلَى الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه له, يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ يقول: فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته, حتى يستنير الإسلام في قلبه, فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول. كالذي جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, الذي:

10854ـ حدثنا سوار بن عبد الله العنبري, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت أبي يحدّث, عن عبد الله بن مرّة, عن أبي جعفر, قال: لما نزلت هذه الآية: فَمَنْ يُرِدَ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ قالوا: كيف يشرح الصدر؟ قال: «إذَا نَزَلَ النّورُ في القَلْبِ انْشَرَحَ له الصّدْرُ وانْفَسَحَ». قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: «نَعَمْ, الإنَابَةُ إلى دَار الخُلُودِ, والتّجَافي عن دَارِ الغُرُورِ, والاسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ الفَوْتِ».

10855ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن عمرو بن قيس, عن عمرو بن مرّة, عن أبي جعفر, قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم: أيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكْثَرُهُمْ للْمَوْت ذكْرا, وأحْسَنُهُمْ لمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادا». قال: وسئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: فَمُنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نُورٌ يُقْذَفُ فِيهِ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ» قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: «الإنابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ, والتّجافِي عَنْ دَار الغُرور, وَالاسْتِعْدادُ للْمَوْت قَبْلَ المَوْت».

حدثنا هناد, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن عمرو بن مرّة, عن رجل يكني أبا جعفر كان يسكن المدائن, قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ قال: «نُورٌ يُقْذَفُ فِي القَلْبِ فَيَنْشَرِحُ وَيَنْفَسِحُ». قالوا: يا رسول الله, هلَ له من أمارة يُعرف بها؟ ثم ذكر باقي الحديث مثله.

10856ـ حدثني محمد بن العلاء, قال: حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني, قال: قال: حدثنا محمد بن سلمة, عن أبي عبد الرحيم, عن زيد بن أبي أنيسة, عن عمرو بن مرّة, عن أبي عبيدة, عن عبد الله بن مسعود, قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ؟ قال: «إذَا دَخَلَ النّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ» قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال: «الإنابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ, والتّنَحّي عَنْ دَارِ الغُرُورِ, والاِسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ المَوْتِ».

حدثني سعيد بن الربيع الرازي, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن خالد بن أبي كريمة, عن عبد الله بن المسور, قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا دَخَلَ النورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ». قالوا: يا رسول الله, وهل لذلك من علامة تُعرف؟ قال: «نَعَمْ, الإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ, والتّجافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ, وَالاِسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ».

حدثني ابن سنان القزاز, قال: حدثنا محبوب بن حسن الهاشمي, عن يونس, عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة, عن عبد الله بن مسعود, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ قالوا: يا رسول الله, وكيف يشرح صدره؟ قال: «يُدْخَلُ فيهِ النّورُ فَيَنْفَسِحُ». قالوا: وهل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: «التّجافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ, والإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ, وَالاِسْتِعْدَادَ للمَوْتِ قَبْلَ أنْ يَنْزِلَ المَوْتُ».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10857ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ أما يشرح صدره للإسلام: فيوسع صدره للإسلام.

10858ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: فَمَنْ يَرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ ب«لا إلَهَ إلاّ اللّهُ».

حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن جريج قراءة: فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ ب«لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» يَجْعَلْ لَهَا فِي صَدْرِهِ مُنّسَعا.

القول في تأويل قوله تعالى: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقا حَرَجا.

يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى يشغله بكفره وصدّه عن سبيله, ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا. والحرج: أشدّ الضيق, وهو الذي لا ينفذ من شدّة ضيقه, وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة ولا يدخله نور الإيمان لرَيْنِ الشرك عليه. وأصله من الحرج, والحَرَجُ جمع حَرَجة: وهي الشجرة الملتفّ بها الأشجار, لا يدخل بينها وبينها شيء لشدّة التفافها بها. كما:

10859ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا هشيم, قال: حدثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن, عن أبي الصلت الثقفي: أنّ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقا حَرَجا بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «ضَيّقا حَرِجا». قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعيا, ولْيكن مدلجيّا قال: فأتوه به, فقال له عمر: يا فتى ما الحَرَجة؟ قل: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجاء التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

10860ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقا حَرَجا يقول: من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقا والإسلام واسع, وذلك حين يقول: وَما جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: شاكّا. ذكر من قال ذلك:

10861ـ حدثنا عمران بن موسى, قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد, قال: حدثنا حميد, عن مجاهد: ضَيّقا حَرَجا قال: شاكّا.

10862ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ضَيّقا حَرَجا أما حرجا: فشاكّا.
وقال آخرون: معناه: ملتبسا. ذكر من قال ذلك:
10863ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقا حَرَجا قال: ضيقا: ملتبسا.
حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن الحسن, عن قتادة أنه كان يقرأ: ضَيقا حَرَجا يقول: ملتبسا.
وقال آخرون: معناه أنه من شدّة الضيق لا يصل إليه الإيمان. ذكر من قال ذلك:
10864ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن حبيب بن أبي عمرة, عن سعيد بن جبير: يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقا حَرَجا قال: لا يجد مسلكا إلا صُعُدا.
10865ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن عطاء الخراساني: ضَيقا حَرَجا قال: ليس للخير فيه منفذ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن معمر, عن عطاء الخراساني مثله.
10866ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جريج, قوله: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقا حَرَجا بلا إله إلا الله لا يجد لها في صدره مساغاً.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن جريج قراءة, في قوله: وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيقا بلا إله إلا الله, حتى لا يستطيع أن تدخله.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعضهم: ضَيقا حَرَجا بفتح الحاء والراء من حَرَجا, وهي قراءة عامة المكيين والعرقيين, بمعنى: حَرَجة على ما وصفت. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «ضَيقا حَرِجا» بفتح الحاء وكسر الراء.
ثم اختلف الذين قرءوا ذلك في معناه, فقال بعضهم: هو بمعنى الحَرَج, وقالوا: الحَرَج بفتح الحاء والراء, والحَرِج بفتح الحاء وكسر الراء بمعَنى واحد, وهما لغتان مشهورتان, مثل الدّنَف والدّنِف, والوَحَد والوَحِد, والفَرَد والفَرِد.
وقال آخرون منهم: بل هو بمعنى الإثم من قولهم: فلان آثمٌ حَرِجٌ. وذكر عن العرب سماعا منها: حَرِجٌ عليك ظلمي, بمعنى: ضِيقٌ وإثم.
والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد, وبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب لاتفاق معنييهما, وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب في الوحَد والفَرَد بفتح الحاء من الوَحَد والراء من الفَرَد وكسرهما بمعنى واحد. وأما الضّيّق, فإن عامة القرّاء على فتح ضاده وتشديد يائه, خلا بعض المكيين فإنه قرأه: «ضَيْقا» بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه. وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان: أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوي معنى التحريك والتشديد, كما قيل: هَيْن لَين, بمعنى: هَيّن لَيّن. والآخر أن يكون سكنّه بنية المصدر من قولهم: ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقا, كما قال رؤبة:
وَقَدْ عَلِمْنا عندَ كُلّ مَأزِقِ ضَيْقٍ بوَجْهِ الأمرِ أيّ مَضْيَقِ
ومنه قول الله: وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ. وقال رؤبة أيضا:

وشَفّها اللّوْحُ بِمأزُولٍ ضَيَقْ
بمعنى: ضيق. وحُكي عن الكسائي أنه كان يقول: الضيق بالكسر: في المعاش والموضع, وفي الأمر الضيق.
وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذي به توصل إلى الإيمان والطاعة غير السبب الذي به توصل إلى الكفر والمعصية, وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام, ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقا عن الإسلام حرجا, كأنما يصعد في السماء. ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان خلاف تضييقه له, وأنه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق, ولكان من ضيق صدره عن الإيمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه, إذ كن موصولاً بكلّ واحد منهما, أعني من التضييق والشرح إلى ما يوصل به إلى الآخر. ولو كان ذلك كذلك, وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهل للإيمان به وضيّق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله. وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون, غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون, وأن كلا السببين من عند الله وبيده, لأنه أخبر جلّ ثناؤه أنه هو الذي يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته, ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله.
القول في تأويل قوله تعالى: كأنّمَا يَصّعّدُ فِي السّماءِ.
وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر في شدّة تضييقه إياه عن وصوله إليه, مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأن ذلك ليس في وسعه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10867ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن عطاء الخراساني: كأنّمَا يَصّعّدُ فِي السّماءِ يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن معمر, عن عطاء الخراساني, مثله.
10868ـ وبه قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن جريج قراءة: يجعل صدره ضيقا حرجا بلا إله إلا الله, حتى لا يستطيع أن تدخله, كأنما يصّعد في السماء من شدّة ذلك عليه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, مثله.
10869ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كأنّمَا يَصّعّد فِي السّمَاءِ من ضيق صدره.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والعراق: كأنّمَا يَصّعّدُ بمعنى: يتصعدُ, فأدغموا التاء في الصاد, فلذلك شدّدوا الصاد. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «يَصّاعَدُ» بمعنى: يتصاعد, فأدغم التاء في الصاد وجعلها صادا مشدّدة. وقرأ ذلك بعض قراء المكيين: «كأنّمَا يَصْعَد» من صَعِدَ يَصْعَد. وكل هذه القراءات متقاربات المعاني وبأيها قرأ القارىء فهو مصيب, غير أني أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه: كأنّمَا يَصّعّدُ

بتشديد الصاد بغير ألف, بمعنى: يتصعد, لكثرة القراء بها, ولقِيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما تصعّدني شيء ما تصعّدني خُطْبَة النكاح».

القول في تأويل قوله تعالى: كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرّجْسَ على الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ.

يقول تعالى ذكره: كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حَرَجا, كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان, فيجزيه بذلك, كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله, فيغويه ويصدّه عن سبيل الحقّ.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الرجس, فقال بعضهم: هو كلّ ما لا خير فيه. ذكر من قال ذلك:

10870ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الرجس: ما لا خير فيه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَجْعَل اللّهُ الرّجْسَ على الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ قال: ما لا خير فيه.

وقال آخرون: الرجس: العذاب. ذكر من قال ذلك:

10871ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كَذَلِكَ يَجْعَلُ الله الرّجْسَ على الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ قال: الرجس: عذاب الله.

وقال آخرون: الرجس: الشيطان. ذكر من قال ذلك:

10872ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: الرّجْسَ قال: الشيطان.

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفين يقول: الرّجْس والنّجْس لغتان. ويحكى عن العرب أنها تقول: ما كان رِجْسا, ولقد رَجُسَ رجاسة, ونَجُس نَجَاسة. وكان بعض نحويي البصريين يقول: الرّجْس والرّجْز سوَاء, وهما العذاب.

والصواب في ذلك من القول عندي ما قاله ابن عباس, ومن قال: إن الرجس والنجس واحد, للخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخلاء: «اللّهُمّ إنّي أعُوذ بِكَ مِنَ الرّجْسِ النّجْسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشّيْطانِ الرّجِيمِ».

10873ـ حدثني بذلك عبد الرحمن بن البختريّ الطائي, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن إسماعيل بن مسلم, عن الحسن وقتادة, عن أنس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وقد بَيّن هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر الذي لا خير فيه, وأنه من صفة الشيطان.

الآية : 126

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَـذَا صِرَاطُ رَبّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذّكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن, هو صراط ربك, يقول: طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينا وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه, فاثبت عليه وحرّم ما حرمته عليك وأحلل ما أحللته لك, فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذّكّرون, يقول: لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر, فيعتبر

بها. وخصّ بها الذين يتذكرون, لأنهم هم أهل التمييز والفهم وأولو الحجا والفضل, فقيل: يذّكّرون.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10874ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَهَذَا صِراطُ رَبّكَ مُسْتَقِيما يعني به الإسلام.

الآية : 127

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُمْ دَارُ السّلاَمِ عِندَ رَبّهِمْ وَهُوَ وَلِيّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.
يعني تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله, ومن نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم, وغير ذلك, فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذلك. وأما دار السلام, فهي دار الله التي أعدّها لأوليائه في الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله وهي جنته. والسلام: اسم من أسماء الله تعالى, كما قال السديّ.
10875ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لَهُمْ دَارُ السّلامِ عِنْدَ رَبّهِمْ الله هو السلام, والدار: الجنة.
وأما قوله: وَهُوَ وَلِيّهُمْ فإنه يقول: والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله. بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يعني جزاء بما كانوا يعملون من طاعته الله, ويتبعون رضوانه.

الآية : 128

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مّنَ الإِنْسِ رَبّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الّذِيَ أَجّلْتَ لَنَا قَالَ النّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاّ مَا شَآءَ اللّهُ إِنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعا: ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين, فيجمعهم جميعا في موقف القيامة. يقول للجنّ: يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ وحذف «يقول للجنّ» من الكلام اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه.
وعني بقوله: قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم. كما:
10876ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعا يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ يعني: أضللتم منهم كثيرا.
10877ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ قال: قد أضللتم كثيرا من الإنس.

10878ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ قال: كثر من أغويتم.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
10879ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن الحسن: قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ يقول: أضللتم كثيرا من الإنس.
القول في تأويل قوله تعالى: وَقالَ أوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ رَبّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ.
يقول تعالى ذكره: فيجيب أولياء الجنّ من الإنس, فيقولون: ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا. فأما استمتاع الإنس بالجنّ, فكان كما:
10880ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: رَبّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ قال: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي فذلك استمتاعهم, فاعتذروا يوم القيامة.
وأما استمتاع الجنّ بالإنس, فإنه كان فيما ذكر, ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعاذتهم بهم, فيقولون: قد سدنا الجنّ والإنس.
القول في تأويل قوله تعالى: وَبَلَغْنا أجَلَنَا الّذِي أجّلْتَ لَنا.
يقول تعالى ذكره: قالوا: وبلغنا الوقت الذي وقّت لموتنا. وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك أنهم قالوا: استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا. كما:
10881ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السدّي, وأما قوله: وَبَلَغْنا أجَلَنا الّذِي أجّلْتَ لنَا فالموت.
القول في تأويل قوله تعالى: قال النّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فِيها إلاّ ما شاءَ اللّهُ إنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.
وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به في الدنيا الأوثان ولقرنائهم من الجنّ, فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدّم الكلام قبله بمعناه والمراد منه, فقال: قال الله لأولياء الجنّ من الإنس الذين قد تقدم خبره عنهم: النّارُ مَثْوَاكُمْ يعني نار جهنم مثواكم الذي تثوون فيه: أي تقيمون فيه. والمثوى: هو المفعل, من قولهم: ثَوَى فلان بمكان كذا, إذا أقام فيه. خالدينَ فِيها يقول: لابثين فيها, إلاّ ما شاءَ اللّهُ يعني: إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم, فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار. إنّ رَبّكَ حَكِيمٌ في تدبيره في خلقه, وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله. عَلِيمٌ بعواقب تدبيره إياهم, وما إليه صائر أمرُهم من خير وشرّ. ورُوي عن ابن عباس أنه كان يتأوّل في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته.
10882ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: قالَ النّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فِيها إلاّ ما شاءَ اللّهُ إنّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قال: إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا.

الآية : 129

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل نُوَلّي فقال بعضهم: معناه: نجعل بعضهم لبعض وليّا على الكفر بالله. ذكر من قال ذلك:
10883ـ حدثنا يونس, قال: حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكذلكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضا بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ وإنما يولّي الله بين الناس بأعمالهم. فالمؤمن وليّ المؤمن أي كان وحيث كان, والكافر وليّ الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحّلي.
وقال آخرون: معناه: نُتْبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة, وهو المتابعة بين الشيء والشيء, من قول القائل: واليت بين كذا وكذا: إذا تابعت بينهما. ذكر من قال ذلك:
10884ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وكذلكَ نُوَلّي بعَضَ الظّالِمِينَ بَعْضا في النار يتبع بعضهم بعضا.
وقال آخرون: معنى ذلك: نسلط بعض الظلمة على بعض. ذكر من قال ذلك:
10885ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكذلكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضا قال: ظالمي الجن وظالمي الإنس. وقرأ: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكرِ الرّحْمَنِ نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ قال: نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس.
وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب, قول من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء. لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين, فقال جلّ ثناؤه: وَقالَ أوْلِياؤُهُم مِنَ الإنْسِ رَبّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ, وأخبر جلّ ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض, ثم عقّب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته إياهم, فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجنّ والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض, كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كلّ الأمور بما كانوا يكسبون من معاصي الله ويعملونه.

الآية : 130

القول في تأويل قوله تعالى: {يَامَعْشَرَ الْجِنّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مّنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىَ أَنْفُسِنَا وَغَرّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىَ أَنْفُسِهِمْ أَنّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ }.
وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجنّ, يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذٍ: يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ ألَمْ يَأتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي يقول: يخبرونكم بما أوحي إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي وتعريفي لكم أدلتي على توحيدي, وتصديق أنبيائي, والعمل بأمري والانتهاء إلى حدودي.
وَيُنْذِرُونَكُم لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا يقول: يحذّرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وعقابي على معصيتكم إياي, فتنتهوا عن معاصيّ. وهذا من الله جلّ ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي, ومعناه: قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطإ ما كنتم عليه

مقيمين بالحجج البالغة, وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين, فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا.

واختلف أهل التأويل في الجنّ, هل أرسل منهم إليهم أم لا؟ فقال بعضهم: قد أرسل إليه رسل كما أرسل إلى الإنس منهم رسل. ذكر من قال ذلك:

10886ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سئل الضحاك عن الجنّ: هل كان فيهم نبيّ قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله: يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي يعني بذلك: رسلاً من الإنس ورسلاً من الجنّ؟ فقالوا: بلى.

وقال آخرون: لم يرسل منهم إليهم رسول, ولم يكن له من الجنّ قطّ رسول مرسل, وإنما الرسل من الإنس خاصة. فأما من الجنّ فالنّذْر. قالوا: وإنما قال الله: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ والرسل من أحد الفريقين, كما قال: مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ ثم قال: يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من المِلح دون العذب منهما وإنما معنى ذلك: يخرج من بعضهما أو من أحدهما. قال: وذلك كقول القائل لجماعة أدؤر إن في هذه الدور لشرّا, وإن كان الشرّ في واحدة منهنّ, فيخرج الخبر عن جميعهنّ والمراد به الخبر عن بعضهنّ, وكما يقال: أكلت خبزا ولبنا: إذا اختلطا ولو قيل: أكلت لبنا, كان الكلام خطأ, لأن اللبن يشرب ولا يؤكل. ذكر من قال ذلك:

10887ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ قال: جمعهم كما جمع قوله: وَمِنْ كُلَ تَأْكُلُونَ لَحْما طَرِيّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها ولا يخرج من الأنهار حلية. قال ابن جريج: قال ابن عباس: هم الجن لَقُوا قومهم, وهم رسل إلى قومهم.

فعلى قول ابن عباس هذا, أن من الجنّ رسلاً للإنس إلى قومهم.

فتأويل الآية على هذا التأويل الذي تأوّله ابن عباس: ألم يأتكم أيها الجنّ والإنس رسل منكم؟ فأما رسل الإنس, فرسل من الله إليهم وأما رسل الجنّ, فرسل رسل الله من بني آدم, وهم الذين إذ سمعوا القرآن ولّوا إلى قومهم منذرين.

وأما الذين قالوا بقول الضحاك, فإنهم قالوا: إن الله تعالى ذكره أخبر أن من الجنّ رسلاً أرسلوا إليهم, كما أخبر أن من الإنس رسلا أرسلوا إليهم. قالوا: ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجنّ بمعنى أنهم رسلا الإنس, جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رسل الجنّ. قالوا: وفي فساد هذا المعنى ما يدلّ على أن الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله, لأن ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: قالُوا شَهِدْنا على أَنْفُسِنا وَغَرّتْهُمُ الحَياةُ الدّنْيا وَشَهِدُوا على أَنْفُسِهِمْ أنّهُمْ كانُوا كافِرِينَ.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول مشركي الجنّ والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أنهم يقولون شَهِدْنا على أَنْفُسِنا بأن رسلك قد أتتنا بآياتك, وأنذرتنا لقاء يومنا هذا, فكذّبناها وجحدنا رسالتها, ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها. قال الله خبرا مبتدأ: وغرّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام

وأولياءهم من الجنّ, الحَياةُ الدّنيا يعني: زنية الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها, أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله, فاستكبروا وكانوا قوما عالين. فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرّتهم وخدعتهم فيها, إذ كان في ذكرها متكفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره, يقول الله تعالى: وَشَهِدُوا على أنْفُسِهِمْ يعني هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كَافرين به وبرسله, لتتمّ حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه.

الآية : 131

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ أَن لّمْ يَكُنْ رّبّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ: أي إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره, وأعلمتك خبره من مشركي الإنس والجنّ يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم إليّ, من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم.

وقد يتجه من التأويل في قوله: «بظلم» وجهان: أحدهما: ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ: أي بشرك من أشرك, وكُفْر من كفر من أهلها, كما قال لقمان: إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وأهْلُها غافِلُونَ يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم, وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه, ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير.

والآخر: ذَلِكَ أنْ لَمْ رَبّكَ يَكُنْ مُهْلِكَ القُرَى بظُلْمٍ يقول: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر, فيظلمهم بذلك, والله غير ظلام للعبيد.

وأولى القولين بالصواب عندي القول الأوّل, أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم والإعذار بينه وبينهم, وذلك أن قوله: ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ عقيب قوله: أَلَمْ يَأتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله: ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ إنما هو إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القُرَى بغير تذكير وتنبيه. وأما قولَه: ذَلِكَ فإنه يجوز أن يكون نصبا, بمعنى: فعلنا ذلك, ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء, كأنه قال: ذلك كذلك. وأما «أن» فإنها في موضع نصب بمعنى: فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مُهْلِك القرى, فإذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب.

الآية : 132

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِكُلّ دَرَجَاتٌ مّمّا عَمِلُواْ وَمَا رَبّكَ بِغَافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولكلّ عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله, يبلغه الله إياها, ويثيبه بها, إن خيرا فخيرا وإن شرّا فشرّا. وَما رَبّكَ بغافلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ يقول جلّ ثناؤه: وكلّ ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

الآية : 133

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَبّكَ الْغَنِيّ ذُو الرّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُمْ مّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُمْ مّن ذُرّيّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وربك يا محمد الذي أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية, الغنّى عن عباده, الذين أمرهم بما أمر ونهاهم عما نهى, وعن أعمالهم وعبادتهم إياه, وهم المحتاجون إليه, لأنه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرّهم, يقول عز ذكره: فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وأنههم عما نهيتهم عنه, لحاجة لي إليهم ولا إلى أعمالهم, ولكن لأتفضّل عليهم برحمتي وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا, فإني ذو الرأفة والرحمة.

وأما قوله: إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ فإنه يقول: إن يشأ ربك يا محمد الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه يُذْهِبْكُمْ يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشَاءُ يقول: ويأت بخلق غيركم, وأمم سواكم يخلفونكم في الأرض من بعدكم, يعني: من بعد فنائكم وهلاككم. كمَا أنْشَأكُمْ مِنْ ذُرّيّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم. ومعنى «مِنْ» في هذا الموضع: التعقيب, كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا, بمعنى: مكان الدينار ثوبا, لا أن الثوب من الدينار بعض, كذلك الذين خوطبوا بقوله: كمَا أنْشأكُمْ لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين, ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خَلْقِ خَلْفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم. والذرية من قول القائل: ذرأ الله الخلق, بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم, ثم ترك الهمزة فقيل: ذرا الله, ثم أخرج الفُعّيلة بغير همز على مثال العُلّية. وقد رُوى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ: «مِنْ ذَرِيئَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» على مثال فَعِيلَة. وعن آخر أنه كان يقرأ: «وَمِنْ ذُرْيَةِ» على مثال عُلْيَة. والقراءة التي عليها القرّاء في الأمصار: ذُرّيّة بضمّ الذال وتشديد الياء على مثال عُلّية. وقد بيّنا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته ههنا. وأصل الإنشاء: الإحداث, يقال: قد أنشأ فلان يحدّث القوم, بمعنى: ابتدأ وأخذ فيه.

الآية : 134

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ مَا تُوعَدُونَ لاَتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ }.

يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام, إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم واقع بكم وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ, يقول: لن تعجزوا ربكم هربا منه في الأرض فتفوتوه, لأنكم حيث كنتم في قبضته, وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر, يقول: فاحذروه, وأنيبوا إلى طاعته قبل نزول البلاء بكم.

الآية : 135

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَىَ مَكَانَتِكُمْ إِنّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الظّالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لقومك من قريش, الذين يجعلون مع الله إلها آخر: اعْمَلُوا على مَكانَتِكُمْ يقول: اعملوا على حيالكم وناحيتكم. كما:

10888ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكانَتِكُمْ يعني على ناحيتكم.

يقال منه: هو يعمل على مكانته ومكينته. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «على مَكاناتِكُمْ» على جمع المكانة. والذي عليه قرّاء الأمصار: على مَكانَتِكُمْ على التوحيد. إنّي عامِلٌ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: قل لهم: اعملوا ما أنتم عاملون, فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ يقول: فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم, أينا كان المحقّ في عمله والمصيب سبيل الرشاد, أنا أم أنتم؟ وقوله تعالى ذكره لنبيه: قل لقومك يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكانَتِكُمْ أمر منه له بوعيدهم وتهديدهم, لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله.

القول في تأويل قوله تعالى: مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ إنّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب, من الذي تكون له عاقبة الداء منا ومنكم, يقول: من الذي قعب دنياه ما هو خير له منها أو شرّ منها بما قدّم فيها من صالح أعماله أو سيئها. ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه فقال: إنّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمونَ يقول: إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل في الدنيا, وذلك معنى ظلم الظالم في هذا الموضع. وفي «مَنْ» التي في قوله: مَنْ تكُونُ له وجهان من الإعراب: الرفع على الابتداء, والنصب بقوله: تَعْلَمُونَ لإعمال العلم فيه والرفع فيه أجود, لأن معناه: فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار, فالابتداء في أن من أصحّ وأفصح من إعمال العلم فيه.

الآية : 136

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ للّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا للّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَىَ اللّهِ وَمَا كَانَ للّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىَ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم ممّا ذَرَأ خالقهم, يعني: مما خلق من الحرث والأنعام, يقال منه: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْأً وَذَرْوا: إذا خلقهم. نصيبا: يعني قسما وجزءا.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان, فقال بعضهم: كان ذلك جزءا من حروثهم وأنعامهم يقرّرونه لهذا, وجزءا لهذا. ذكر من قال ذلك:

10889ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف, عن عكرمة عن ابن عباس: فَمَا كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إلى الله... الآية, قال: كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُزَما جعلوا منها لله سهما وسهما لآلهتهم, وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه لله ردّوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي جعلوه لآلهتم أقرّوه ولم يردّوه, فذلك قوله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ.

10890ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, في قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ

الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا فقالُوا هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكائِنا قال: جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا وللشيطان والأوثان نصيبا, فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه, وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردّوه إلى نصيب الشيطان. وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه وإن انفجر من سَقْي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه, فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء. وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام, فهو قول الله: ما جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهَ مِمّا ذَرأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا فَقالُوا هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ... الآية, وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة, جعلوا لله منها جزءا وللوثَن جزءا, فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه, فإن سقط منه شيء فيما سمى لله ردّوه إلى ما جعلوا للوثن, وإن سبقهم الماء إلى الذي جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله, جعلوا ذلك للوثن, وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله فاختلط بالذي جعلوا للوثن, قالوا: هذا فقير, ولم يردّوه إلى ما جعلوا لله. وإن سبقهم الماء الذي جعلوا لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن. وكانوا يُحَرّمون من أنعامهم: البحيرة, والسائبة, والوصيلة, والحام, فيجعلونه للأوثان, ويزعمون أنهم يحرّمونه لله, فقال الله في ذلك: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا... الآية.

10891ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا قال: يسمون لله جزءا من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزءا. فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه, وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردّوه وقالوا: الله عن هذا غنيّ. والأنعام: السائبة والبحيرة التي سَمّوْا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

10892ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا... الآية, عمد ناس من أهل الضلالة, فجزّءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله وجزءا لشركائهم. وكانوا إذا خالط شيء مما جزّءوا لله فيما جزّءوا لشركائهم خلوه, فإذا خالط شيء مما جزّءوا لشركائهم فيما جزّءوا لله ردّوه على شركائهم. وكانوا إذا أصابتهم السّنة استعانوا بما جزّءوا لله وأقرّوا ما جزءوا لشركائهم, قال الله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا قال: كانوا يجزئون من أموالهم شيئا, فيقولون: هذا لله, وهذا للأصنام التي يعبدون. فإذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردّوه, وإن ذهب مما جعلوه لله فخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه. وإن أصابتهم سنة, أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم, فقال الله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ.

10893ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَجعلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْث والأنْعام نَصِيبا... إلى: يَحْكُمُونَ قال: كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله, ويزرعون زرعا فيجعلونه لله, ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك, فما خرج للآلهة أنفقوه عليها, وما خرج لله تصدّقوا به. فإذا هلك الذي يصنعون لشركائهم وكثر الذي لله, قالوا: ليس بدّ لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذي لله فأنفقوه على آلهتم وإذا أجدب الذي لله وكثر الذي لآلهتهم, قالوا: لو شاء أزكى الذي له فلا يردّون عليه شيئا مما للآلهة. قال الله: لو كانوا صادقين فيما قسموا لبئس إذًا ما حكموا أن يأخذوا مني ولا يعطوني. فذلك حين يقول: ساءَ ما يَحْكُمُونَ...

وقال آخرون: النصيب الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة, وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه. ذكر من قال ذلك:

10894ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأ مِنَ الحَرْث والأنْعام نَصِيبا... حتى بلغ: وَما كانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكائِهِمْ قال: كلّ شيء جعلوه لله من ذِبْح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة, وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه. وقرأ الآية حتى بلغ: ساءَ ما يَحْكُمُونَ.

وأولى التأويلين بالآية, ما قال ابن عباس, ومن قال بمثل قوله في ذلك لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدّرا, فقالوا: هذا لله, وجعلوا مثله لشركائهم, وهم أوثانهم بإجماع من أهل التأويل عليه, فقالوا: هذا لشركائنا وإن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله, بمعنى: لا يصل إلى نصيب الله, وما كان لله وصل إلى نصيب شركائهم. فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية, كان أعيان ما أخبر الله عنه أنهم لم يصل جائزا أن تكون قد وصلت, وما أخبر عنه أنه قد وصل لم يصل, وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام لأن الذبيحتين تذبح إحداهما لله والأخرى للآلهة, جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوهما, إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلهة دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض.

وأما قوله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم. يقول جلّ ثناؤه: وقد أساءوا في حكمهم إذ أخذوا من نصيبي لشركائهم ولم يعطوني من نصيب شركائهم. وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحقّ بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرّهم ولا ينفعهم, حتى فضلوه في إقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه.

الآية : 137

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وكما زيّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زيّنوا لهم, من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم, وتركهم

ما وصل من القسم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم قسمهم, وردّهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله إلى قسم شركائهم, كَذَلِكَ زَيّنَ لكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ من الشياطين, فحسنوا لهم وأد البنات, لِيُرْدُوهُمْ يقول: ليهلكوهم, وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس, فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرّم عليهم الله. ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه, بأن كان يهديهم للحقّ ويوفّقهم للسداد, فكانوا لا يقتلونهم, ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم. يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها هذا لله وهذا لشركائنا وفي قتلهم أولادهم: ذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقوّلون عليّ من الكذب والزور, فإني لهم بالمرصاد, ومن وراء العذاب والعقاب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10895ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ: زيّنوا لهم, من قتل أولادهم.

10896ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العَيْلة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

10897ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ... الآية, قال: شركاؤهم زينوا لهم ذلك. وَلَوْ شاءَ رَبّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ.

10898ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ قال: شياطينهم التي عبدوها, زينوا لهم قتل أولادهم.

10899ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ ليُرْدُوهُمْ أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات.

وأما لِيُرْدُوهُمْ: فيهلكوهم. وأما لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ فيخلطوا عليهم دينهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته قرّاء الحجاز والعراق: وكَذَلِكَ زَيّنَ بفتح الزاي من «زَيّن» لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ بنصب القتل, شُرَكاؤُهُمْ بالرفع. بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم, فيرفعون الشركاء بفعلهم, وينصبون القتل لأنه مفعول به. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام: «وكذلكَ زُيّنَ» بضم الزاي «لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلُ» بالرفع «أوْلادَهُمْ» بالنصب «شُرَكائِهِمْ» بالخفض, بمعنى: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم. ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم, وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح. وقد رُوِى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرتُ من قراءة أهل الشام, رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه, وذلك قول قائلهم:

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكّنازَجّ القَلُوصَ أبي مَزَادَهْ
والقراءة التي لا أستجيز غيرها: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ بفتح الزاي من «زيّن» ونصب «القتل» بوقوع «زيّن» عليه وخفض «أولادهم» بإضافة «القتل» إليهم, ورفع «الشركاء» بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل.
وإنما قلت: لا أستجيز القراءة بغيرها لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد, ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة. ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارىء: «وكذلكَ زُيّنَ لِكَثير مِنَ المُشْرِكينَ قَتْلُ أوْلادِهِمْ شُرَكائِهِمْ» بضم الزاي من «زيّن» ورفع «القتل» وخفض «الأولاد» «والشركاء», على أن «الشركاء» مخفوضون بالردّ على «الأولاد» بأن «الأولاد» شركاء آبائهم في النسب والميراث كان جائزا. ولو قرأه كذلك قارىء, غير أنه رفع «الشركاء» وخفض «الأولاد» كما يقال: ضُرِب عبد الله أخوك, فيظهر الفاعل بعد أن جرى الخبر بما لم يسمّ فاعله, كان ذلك صحيحا في العربية جائزا.

الآية : 138

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ هَـَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاّ يَطْعَمُهَآ إِلاّ مَن نّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.
وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرّمون ويحلّلون من قِبَل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك. يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلاً منهم, لأنعام لهم وحرث: هذه أنعام, وهذا حرث حجر, يعني بالأنعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه. وقيل: إن الأنعام: السائبة والوَصيلة والبحيرة التي سَمّوْا.
10900ـ حدثني بذلك محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الأنعام: السائبة والبحيرة التي سموا.
والحِجْر في كلام العرب: الحرام, يقال: حجرت على فلان كذا: أي حرّمت عليه, ومنه قول الله: وَيَقُولُونَ حِجْرا مَحْجُورا. ومنه قول المتلمس:
حَنّتْ إلى النّخلَةِ القُصْوَى فقُلْتُ لهَاحِجْرٌ حَرامٌ ألا تَم الدّهاريسُ
وقول رُؤبة:
جارَةُ البَيْتِ لهَا حُجْرِيّ
يعني: المحرم. ومنه قول الآخر:
فَبِتّ مُرْتَفِقا والعَيْنُ ساهِرَةٌكأنّ نَوْمي عليّ اللّيْلَ مَحْجُورُ
أي حرام, يقال: حِجْر وحُجْر, بكسر الحاء وضمها. وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسين وقتادة.
10901ـ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي قال: ثني أبي, عن الحسين, عن قتادة, أنه كان يقرؤها: «وحَرْثٌ حُجْرٌ» يقول: حرام, مضمومة الحاء.
وأما القرّاء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها, وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع الحجة من القرّاء عليها, وأنها اللغة الجُودَي من لغات العرب.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: «وحَرْثٌ حِرْجٌ» بالراء قبل الجيم.
10902ـ حدثني بذلك الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها كذلك.
وهي لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد, وهذا كما قالوا: جذب وجبذ, وناء ونأى, ففي الحجر إذن لغات ثلاث: «حِجْر» بكسر الحاء والجيم قبل الراء, و«حُجُر» بضم الحاء والجيم قبل الراء, و«حِرْجٌ» بكسر الحاء والراء قبل الجيم.
وبنحو الذي قلنا في تأويل الحجر قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
10903ـ حدثني عمران بن موسى القزّاز, قال: حدثنا عبد الوارث, عن حميد, عن مجاهد وأبي عمرو: وحَرْثٌ حِجْرٌ يقول: حرام.
10904ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس قوله: وَحَرْثٌ حِجْرٌ فالحجر: ما حرّموا من الوصيلة, وتحريم ما حرّموا.
10905ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَحَرْثٌ حِجْرٌ قال: حرام.
10906ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَذِهِ أنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ... الآية, تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد, وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله.
10907ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما قوله: وقالُوا هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ فيقولون: حرام أن نطعم إلا من شئنا.
10908ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ نحتجرها على من نريد وعمن لا نريد, لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم, قال: إنما احتجروا ذلك لآلهتهم, وقالوا: لا يَطْعَمُها إلا مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ قالوا: نحتجرها عن النساء, ونجعلها للرجال.
10909ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أنْعامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ أما حجر, يقول: محرّم. وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها, كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها, ويعزلون من حرثهم شيئا معلوما لآلهتهم, ويقولون: لا يحلّ لنا ما سمينا لآلهتنا.
10910ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ ما جعلوه لله ولشركائهم.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
القول في تأويل قوله تعالى: وأنْعامٌ حُرّمَتْ ظُهُورُها وأنْعامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسَمَ اللّهِ عَلَيْها افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ.
يقول تعالى ذكره: وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين, ظهور بعض أنعامهم, فلا يركبون ظهورها, وهم ينتفعون برَسْلها ونِتاجها, وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب, وحرّموا من أنعامهم أنعاما أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حلبوها ولا إن حملوا عليها.
وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10911ـ حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها؟ قال: قلت: لا, قال: أنعام لا يحجون عليها.

حدثنا محمد بن عباد بن موسى, قال: حدثنا شاذان, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما قوله: حُرّمَتْ ظُهُورُها وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّه عَلَيْها؟ قال: قلت: لا, قال: هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها.

10912ـ حدثنا أحمد بن عمرو البصريّ, قال: حدثنا محمد بن سعيد الشهيد, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن عاصم, عن أبي وائل: وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها قال: لا يحجون عليها.

10913ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما: أنْعامٌ حُرّمَتْ ظُهُورُها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها, قال: إذا ولدوها, ولا إن نحروها.

10914ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها قال: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوها, ولا إن حلبوا, ولا إن حملوا, ولا إن منحوا, ولا إن عملوا شيئا.

10915ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأنعامٌ حُرّمَتْ ظُهورُها قال: لا يركبها أحد, وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْها.

وأما قوله: افْتِرَاءً على الله, فإنه يقول: فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرّموا, وقالوا ما قالوا من ذلك, كذبا على الله, وتخرّصا الباطلَ عليه لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك على ما وصفه عنهم جلّ ثناؤه في كتابه إلى أن الله هو الذي حرّمه, فنفى الله ذلك عن نفسه, وأكذبهم, وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يزعمون. ثم قال عزّ ذكره: سَيَجْزِيهِمْ يقول: سيثيبهم ربهم, بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ على الله الكذب ثوابهم, ويجزيهم بذلك جزاءهم.

الآية : 139

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـَذِهِ الأنْعَامِ خَالِصَةٌ لّذُكُورِنَا وَمُحَرّمٌ عَلَىَ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ }.

اختلف أهل التأويل في المعنىّ بقوله: ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ فقال بعضهم: عنى بذلك اللبن. ذكر من قال ذلك:

10916ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن عبد الله بن أبي الهذيل, عن ابن عباس: وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنَا قال: اللبن.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن ابن أبي الهذيل, عن ابن عباس مثله.

10917ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الأنْعام خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا

ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء, وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم.
10918ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: خالِصَةٌ لِذكُورنا ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا قال: ما فِي بُطون البحائر: يعني ألبانها, كانوا يجعلونه للرجال دون النساء.
10919ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن زكريا, عن عامر, قال: البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال, وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء.
10920ـ حدثني محمد بن سعد,قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورنا... الآية, فهو اللبن كانوا يحرّمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء, وإن كانت أنثى تركب فلم تذبح, وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء. فنهى الله عن ذلك.
وقال آخرون: بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنة.
ذكر من قال ذلك:
10921ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَقالُوا ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورنا ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا وَإنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ فهذه الأنعام ما ولد منها من حيّ فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء.
10922ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جريج, عن مجاهد: ما في بُطُونِ هَذِهِ الأنعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا السائبة والبحيرة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا. واللبن مما في بطونها, وكذلك أجنتها, ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهنّ دون بعض. وإذ كان ذلك كذلك, فالواجب أن يقال: إنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حلّ لذكورهم خالصة دون إناثهم, وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم, إلا أن يكون الذي في بطونها من الأجنة ميتا فيشترك حينئذٍ في أكله الرجال والنساء.
واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أنثت الخالصة, فقال بعض نحويي البصرة وبعض الكوفيين: أنثت لتحقيق الخلوص, كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة, فجرى مجرى راوية ونسّابة. وقال بعض نحويي الكوفة: أنثت لتأنيث الأنعام, لأن ما في بطونها مثلها, فأنثت لتأنيثها. ومن ذكّره فلتذكير «ما» قال: وهي في قراءة عبد الله: «خالصٌ» قال: وقد تكون الخالصة في تأنيثها مصدرا, كما تقول العافية والعاقبة, وهو مثل قوله: إنّا أخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام التي كانوا حرّموا ما في بطونها على أزواجهم, لذكورهم دون إناثهم, كما فعل ذلك بالراوية والنسّابة والعلاّمة, إذا أريد بها

المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته, كما يقال: فلان خالصة فلان وخُلْصانه.
وأما قوله: ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنّي بالأزواج, فقال بعضهم: عنى بها النساء. ذكر من قال ذلك:
10923ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا قال: النساء.
وقال آخرون: بل عنى بالأزواج البنات. ذكر من قال ذلك:
10924ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: ومُحَرّمٌ على أزْوَاجنا قال: الأزواج: البنات. وقالوا: ليس للبنات منه شيء.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام, يعني أنعامهم: هذا محرّم على أزواجنا. والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم, وهن لا شكّ بنات من هن أولاده, وحلائل من هنّ أزواجه. وفي قول الله عزّ وجلّ: وَمَحَرّمٌ على أزواجِنا الدليل الواضح على أن تأنيث «الخالصة» كان لما وصفت من المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوصة للذكور, لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل: ومحرّمة على أزواجنا, ولكن لما كان التأنيث في الخالصة لما ذكرت, ثم لم يقصد في المحرّم ما قصد في الخالصة من المبالغة, رجع فيها إلى تذكير «ما», واستعمال ما هو أولى به من صفته.
وأما قوله: وَإنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرّف في آخرين: «وَإنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ» بالتاء في «تكن» ورفع «ميتة», غير أن يزيد كان يشدّد الياء من ميتة, ويخففها طلحة.
10925ـ حدثني بذلك المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي حماد, قال: حدثنا عيسى, عن طلحة بن مصرف.
10926ـ وحدثنا أحمد بن يوسف, عن القاسم, وإسماعيل بن جعفر, عن يزيد.
وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: وَإنْ يَكُنْ مَيْتَةً بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء. وكأنّ من قرأ: وَإنْ يَكُنْ بالياء مَيْتَةً بالنصب, أرادوا إن يكن ما في بطون تلك الأنعام, فذكّر «يكن» لتذكير «ما», ونصب «الميتة» لأنه خبر «يكن». وأما من قرأ: «وَإنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ» فإنه إن شاء الله أراد وإن يكن ما في بطونها ميتة, فأنث «تكن» لتأنيث «ميتة».
وقوله: فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ فإنه يعني أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله لا يحرّمونه على أحد منهم, كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:
10927ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وَإنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ قال: تأكل النساء مع الرجال, إن كان الذي يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء, وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وإن شئنا لم نجعل.
وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوّله ابن زيد, لأن ظاهرها يدلّ على أنهم قالوا: إن لم يكن ما في بطونها ميتة, فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة. وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم.
القول في تأويل قوله تعالى: سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إنّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

يقول جلّ ثناؤه: سيجزي: أي سيثيب ويكافىء هؤلاء المفترين عليه الكذب في تحريمهم ما لم يحرّمه الله, وتحليلهم ما لم يحلله الله, وإضافتهم كذبهم في ذلك إلى الله. وقوله: وَصْفَهُمْ يعني بوصفهم الكذب على الله, وذلك كما قال جلّ ثناؤه في موضع آخر من كتابه: وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمْ الكَذِبَ والوصف والصفة في كلام العرب واحد, وهما مصدران مثل الوزن والزنة.

وبنحو الذي قلنا في معنى «الوصف» قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

10928ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن نجيح, عن مجاهد, في قوله: سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ قال: قولهم الكذب في ذلك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

10929ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ: أي كذبهم.

10930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ: أي كذبهم.

وأما قوله: حَكِيمٌ عَلِيمٌ فإنه يقول جلّ ثناؤه: إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه, حكيم في سائر تدبيره في خلقه, عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم.

الآية : 140

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوَاْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب, العادلون به الأوثان والأصنام, الذين زيّن لم شركاؤهم قتل أولادهم, وتحريم ما حرّمت عليهم من أموالهم, فقتلوا طاعة لها أولادهم, وحرّموا ما أحلّ الله لهم, وجعله لهم رزقا من أنعامهم سفها منهم, يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم, ونقص عقول, وضعف أحلام منهم, وقلة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم. افْتِرَاءً على الله يقول: تكذيبا على الله وتخرّصا عليه الباطل. قَدْ ضَلّوا يقول: قد تركوا محجة الحقّ في فعلهم ذلك, وزالوا عن سواء السبيل. وَما كانُوا مُهْتَدِينَ يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك, وَلا كانُوا مُهْتَدِينَ للصواب فيها ولا موفقين له. ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات, من قوله: وَجَعَلُوا لله مِمّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأَنْعامِ نَصِيبا الذين كانوا يبحرون البحائر, ويسيبون السوائب, ويئدون البنات. كما:

10931ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عكرمة, قوله: الّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَها بغيرِ عِلْمٍ قال: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر, كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى, فإذا كانت الجارية التي تُوأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن رجعت إليك ولم تئديها فتخدّ لها في الأرض خَدّا, وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها, ثم يتداولنها, حتى إذا أبصرته راجعا دسّتها في حفرتها, ثم سوّت عليها التراب.

10932ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم, فقال: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أوْلادَهُمْ سَفَها بغيرِ عِلْمٍ وحَرّموا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ.

10933ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أوْلادَهُمْ سَفَها بغير عِلْمٍ فقال: هذا صنيع أهل الجاهلية, كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويَغْذُو كلبه. وقوله: وَحَرّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللّهُ... الآية, وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا, تحكّما من الشياطين في أموالهم.

10934ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب, فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام, قوله: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أوْلادَهُمْ سَفَها بغيرِ عِلْمٍ... الآية.

وكان أبو رزين يتأوّل قوله: قَدْ ضَلّوا أنه معنيّ به قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال من قتل الأولاد وتحريم الرزق الذي رزقهم الله بأمور غير ذلك.

10935ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي رزين, في قوله: قَدْ خَسِرَ الّذِينَ قَتَلُوا أوْلادَهُمْ... إلى قوله: قَدْ ضَلّوا قال: قد ضلوا قبل ذلك.

الآية : 141

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِيَ أَنشَأَ جَنّاتٍ مّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنّخْلَ وَالزّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزّيْتُونَ وَالرّمّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْمُسْرِفِينَ }.

وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله, وتنبيه منه لهم على موضع إحسانه, وتعريف منه لهم ما أحلّ وحرّم وقسمَ في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقّا. يقول تعالى ذكره: وربكم أيها الناس أنْشَأ: أي أحدث وابتدع خلقا, لا الآلهة والأصنام, جَنّاتٍ يعني: بساتين, مَعْرُوشاتٍ وهي ما عرش الناس من الكروم, وغيرَ مَعْرُوشاتٍ: غير مرفوعات مبنيات, لا ينبته الناس ولا يرفعونه, ولكن الله يرفعه وينبته وينميه. كما:

10936ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: مَعْرُوشاتٍ يقول: مسموكات.

10937ـ وبه عن ابن عباس: وَهُوَ الّذِي أنْشأ جَنّاتٍ مَعرُوشاتٍ وغيْرَ مَعْرُوشاتٍ فالمعروشات: ما عَرَش الناس وغير معروشات: ما خرج في البرّ والجبال من الثمرات.

10938ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما «جنات» فالبساتين وأما «المعروشات»: فما عُرِش كهيئة الكرم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: وَهُوَ الّذِي أنْشأ جَنّاتٍ مَعْرُوشاتٍ قال: ما يُعْرَش من الكروم. وغيرَ مَعْرُوشاتٍ قال: ما لا يعرش من الكرم.

القول في تأويل قوله تعالى: والنّخْلَ وَالزّرْعَ مُخْتَلِفا أُكُلُهُ والزّيْتُونَ والرّمّانَ مُتَشابها وغيرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَره إذَا أثْمَرَ.

يقول جلّ ثناؤه: وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله, يعني بالأُكل: الثمر, يقول: وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحبّ والزيتون والرمان, متشابها وغير متشابه في الطعم, منه الحلو والحامض والمرّ كما:

10939ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: مُتَشابِها وغيرَ مُتَشابِهٍ قال: متشابها في المنظر, وغير متشابه في الطعم.

وأما قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أْثمَرَ فإنه يقول: كلوا من رطبه ما كان رطبا ثمره. كما:

10940ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو همام الأهوازي, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب, في قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَره إذَا أثمَرَ قال: من رطبه وعنبه.

10941ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا محمد بن الزبرقان, قال: حدثنا موسى بن عبيدة في قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ قال: من رطبه وعنبه.

القول في تأويل قوله تعالى: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ. ذكر من قال ذلك:

10942ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا يونس, عن الحسن, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَاده قال: الزكاة.

10943ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا يزيد بن درهم, قال: سمعت أنس بن مالك يقول: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَاده قال: الزكاة المفروضة.

10944ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا معلى بن أسد, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا الحجاج بن أوطاة, عن الحكم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: العشر ونصف العشر.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هانىء بن سعيد, عن حجاج, عن محمد بن عبيد الله, عن عبد الله بن شداد, عن ابن عباس: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: العشر ونصف العشر.

10945ـ حدثنا عمرو بن عليّ وابن وكيع وابن بشار, قالوا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إبراهيم بن نافع المكيّ, عن ابن عباس, عن أبيه, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الزكاة.

10946ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو هلال, عن حيان الأعرج, عن جابر بن زيد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الزكاة.

10947ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا يونس, عن الحسن, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: هي الصدقة. قال: ثم سئل عنها مرّة أخرى, فقال: هي الصدقة من الحبّ والثمار.

10948ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الله, عن عمرو بن سليمان وغيره, عن سعيد بن المسيب, أنه قال: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الصدقة المفروضة.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: هي الصدقة من الحبّ والثمار.

10949ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ يعني بحقه: زكاته المفروضة, يوم يُكال أو يُعلم كيله.
10950ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِه وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده, وهو أن يعلم ما كيله وحقه, فيخرج من كلّ عشرة واحدا, وما يلتقط الناس من سنبله.
10951ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وحقه يوم حصاده: الصدقة المفروضة, ذُكِر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سنّ فيما سقت السماء أو العين السائحة, أو سقاه الطلّ والطلّ الندى أو كان بعلاً العشر كاملاً وإن سقى برشاء: نصف العشر. قال قتادة: وهذا فيما يكال من الثمرة, وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسة أوسق, وذلك ثلاث مئة صاع, فقد حقّ فيها الزكاة, وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك.
10952ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة وطاوس: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قالا: هو الزكاة.
10953ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن الحجاج, عن سالم المكيّ, عن محمد ابن الحنفية, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: يوم كيله, يعطي العشر أو نصف العشر.
حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم المكيّ, عن محمد ابن الحنفية, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: العشر, ونصف العشر.
10954ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, وعن قتادة: وآتُوا حَقّهُ يَوْم حَصَادِهِ قالا: الزكاة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو معاوية الضرير, عن الحجاج, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: العشر ونصف العشر.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن شريك, عن الحكم بن عتيبة, عن ابن عباس, مثله.
10955ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, يقول في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصادِهِ يعني: يوم كيله ما كان من برّ أو تمر أو زبيب. وحقه: زكاته.
10956ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ, وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كل منه, وإذا حصدته فأت حقه. وحقه: عشوره.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يونس بن عبيد, عن الحسن أنه قال في هذه الآية: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الزكاة إذا كِلْته.
حدثنا عمرو, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, قال: سألت الحسن, عن قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الزكاة.

10957ـ حدثني ابن البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ فقلت له: هو العشور؟ قال: نعم, فقلت له: عن أبيك؟ قال: عن أبي وغيره.
وقال آخرون: بل ذلك حقّ أوجبه الله في أموال أهل الأموال, غير الصدقة المفروضة. ذكر من قال ذلك:
10958ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن أبيه: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: شيئا سوى الحقّ الواجب. قال: وكان في كتابه «عن عليّ بن الحسين».
10959ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا عبد الملك, عن عطاء, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: القبضة من الطعام.
10960ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جرير, عن عطاء: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: من النخل والعنب والحبّ كله.
10961ـ حدثنا ابن وكيع,قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: قلت لعطاء: أرأيت ما حصدت من الفواكه؟ قال: ومنها أيضا تؤتي. وقال: من كلّ شيء حصدت تؤتي منه حقه يوم حصاده, من نخل أو عنب أو حبّ أو فواكه أو خضر أو قصب, من كلّ شيء من ذلك. قلت لعطاء: أواجب على الناس ذلك كله؟ قال: نعم ثم تلا: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ. قال: قلت لعطاء: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ هل في ذلك شيء مؤقت معلوم؟ قال: لا.
10962ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن عبد الملك, عن عطاء, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: يعطي من حصاده يومئذٍ ما تيسر, وليس بالزكاة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن عبد الملك, عن عطاء: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حصَادِهِ قال: ليس بالزكاة, ولكن يطعم من حضره ساعتئذٍ حَصَده.
10963ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن العلاء بن المسيب, عن حماد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كانوا يعطون رطبا.
10964ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: إذا حضرك المساكين طرحتَ لهم منه, وإذا أنقيته وأخذت في كيله حثوت لهم منه, وإذا علمت كيله عزلت زكاته, وإذا أخذت في جداد النخل طرحت لهم من التفاريق وإذا أخذت في كيله حثوت لهم منه, وإذا علمت كيله عزلت زكاته.
10965ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: سوى الفريضة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن منصور, عن مجاهد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: يُلقي إلى السّوَّال عند الحصاد من السنبل, فإذا طبن أو طين الشكّ من أبي جعفر ألقى إليهم. فإذا حمله فأراد أن يجعله كُدْسا ألقى إليهم, وإذا داس أطعم منه, وإذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته.
وقال: في النخل عند الجَدَاد يطعم من الثمرة والشماريخ, فإذا كان عند كيله أطعم من التمر, فإذا فرغ عزل زكاته.
حدثنا عمرو بن عليّ ومحمد بن بشار, قالا: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: إذا حصد الزرع ألقى من السنبل, وإذا جلّ النخل ألقى من الشماريخ, فإذا كاله زكّاه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: عند الحصاد, وعند الدّياس, وعند الصرام يقبض لهم منه, فإذا كاله عزل زكاته.
وبه عن سفيان, عن مجاهد مثله, إلا أنه قال: سوى الزكاة.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: شيء سوى الزكاة في الحصاد والجداد, إذا حصدوا وإذا جدّوا.
10966ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, في قول الله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: واجب حين يصرم.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن مجاهد أنه قال: قال في هذه الآية: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: إذا حصد أطعم, وإذا أدخله البيدر, وإذا داسه أطعم منه.
10967ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن أشعث, عن ابن عمر, قال: يطعم المُعترّ سوى ما يعطي من العشر ونصب العشر.
وبه عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: قبضة عند الحصاد, وقبضة عند الجَدَاد.
10968ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن أشعث, عن ابن سيرين, قال: كانوا يعطون من اعترّ بهم الشيء.
10969ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, قال: الضّغْث.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, قال: يعطي مثل الضغث.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا سفيان, قال: حدثنا حماد, عن إبراهيم: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: مثل هذا من الضغث. ووضع يحيى إصبعه الإبهام على المفصل الثاني من السبّابة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, قال: نحو الضعث.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, عن سفيان, عن حماد, عن إبراهيم, قال: يعطي ضغثا.
10970ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا كثير بن هشام, قال: حدثنا جعفر بن برقان, عن يزد بن الأصمّ, قال: كان النخل إذا صُرم يجيء الرجل بالعِذق من نخله فيعلقه في جانب المسجد, فيجيء المسكين فيضربه بعصاه, فإذا تناثر أكل منه. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين, فتناول تمرة, فانتزعها من فيه, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايأكل الصدقة, ولا أهل بيته. فذلك قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ.
10971ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا خالد بن حيان, عن جعفر بن برقان, عن ميمون بن مهران, ويزيد بن الأصمّ, قالا: كان أهل المدينة إذا صَرموا يجيئون بالعذق فيضعونه في المسجد, ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه, فيسقط منه, وهو قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ.
حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن جعفر, عن يزيد وميمون, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قالا: كان الرجل إذا جدّ النخل

يجيء بالعذق فيعلقه في جانب المسجد, فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه, فيأكل ما يتناثر منه.
10972ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: لَقَطُ السنبل.
10973ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجزريّ, عن مجاهد, قال: كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام, فيأكل منه الضعيف.
وبه عن معمر, قال: قال مجاهد: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ يطعم الشيء عند صرامه.
10974ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد بن جبير: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: الضغث وما يقع من السنبل.
10975ـ وبه عن سالم, عن سعيد: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: العلف.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن شريك, عن سالم, عن سعيد, في قوله: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كان هذا قبل الزكاة للمساكين, القبضة والضغث لعلف دابته.
10976ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا محمد بن رفاعة, عن محمد بن كعب, في قوله: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: ما قلّ منه أو كثر.
10977ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن ابن أبي نجيح: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: عند الزرع يعطي القبض, وعند الصرام يعطي القبض, ويتركهم فيتتبعون آثار الصرام.
وقال آخرون: كان هذا شيئا أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة, ثم نسخته الصدقة المعلومة, فلا فرض في مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا, إلا الصدقة التي فرضها الله فيه. ذكر من قال ذلك:
10978ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن حجاج, عن الحكم, عن مقسم, عن ابن عباس, قال: نسخها العشر ونصف العشر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص, عن الحجاج, عن الحكم, عن ابن عباس, قال: نسخها العشر ونصف العشر.
10979ـ وبه عن حجاج, عن سالم, عن ابن الحنفية, قال: نسخها العشر, ونصف العشر.
10980ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سالم, عن سعيد بن جبير: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: هذا قبل الزكاة, فلما نزلت الزكاة نسختها, فكانوا يعطون الضغث.
10981ـ حدثنا ابن حميد وأبو وكيع, قالا: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن شباك, عن إبراهيم: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كانوا يفعلون ذلك حتى سنّ العشر ونصف العشر فلما سنّ العشر ونصف العشر ترك.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفيان, عن مغيرة, عن شباك, عن إبراهيم: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: هي منسوخة, نسختها العشر ونصف العشر.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن المغيرة, عن إبراهيم: وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: نسختها العشر ونصف العشر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن مغيرة, عن شباك, عن إبراهيم, قال: نسختها العشر ونصف العشر.
10982ـ وبه عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, قال: نسختها الزكاة.
10983ـ وبه عن سفيان, عن السديّ, قال: نسختها الزكاة: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن شباك, عن إبراهيم, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر, قلت: عمن؟ قال: عن العلماء.
وبه عن سفيان, عن مغيرة, عن شباك, عن إبراهيم, قال: نسختها العشء ونصف العشر.
10984ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, أما: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ فكانوا إذا مرّ بهم أحد يوم الحصاد أو الجداد أطعموه منه, فنسخها الله عنهم بالزكاة, وكان فيما أنبتت الأرض العشر ونصف العشر.
10985ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى, عن يونس, عن الحسن, قال: كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين.
10986ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون إذا حصدوا وإذا ذروا, فنسختها العشر ونصف العشر.
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب, قول من قال: كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم, ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة, والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية, وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف. فإذا كان ذلك كذلك, وكان قوله جلّ ثناؤه: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ينبىء عن أنه أمر من الله جلّ ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده, وكان يوم حصاده هو يوم جدّه وقطعه والحبّ لا شكّ أنه في ذلك اليوم في سنبله, والثمر وإن كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه, وكانت الصدقة من الحبّ إنما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلاً, والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلاً عُلم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذي يجب إيتاؤه المساكني يوم حصاده.
فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون ذلك إيجابا من الله في المال حقا سوى الصدقة المفروضة؟ قيل: لأنه لا يخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا أو نفلاً, فإن يكن فرضا واجبا فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرّط في أدائها إلى أهلها كان بربه آثما ولأمره مخالفا, وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبيء عن أن ذلك ليس كذلك. أو يكون ذلك نفلاً, فإن يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار في إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر, وفي إيجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبيء عن أن ذلك ليس كذلك. وإذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب, وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت, علم أنها منسوخة. ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلاً على صحته, أنه جلّ

ثناؤه أتبع قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ ومعلوم أن من حكم الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر, أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم. وإذا كان ذلك كذلك, فما وجه نهي ربّ المال عن الإسراف في إيتاء ذلك, والآخذ مجبرٌ, وإنما يأخذ الحقّ الذي فرض الله فيه؟.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك إنما هو نهي من الله القّيمَ بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدّي في مال ربّ المال والتجاوز إلى أخذ ما لم يبح له أخذه, فإن آخر الآية, وهو قوله: وَلا تُسْرِفُوا معطوف على أوّله وهو قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ. فإن كان المنهي عن الإسراف القيم بقبض ذلك, فقد يجب أن يكون المأمور بإيتانه المنهي عن الإسراف فيه, وهو السلطان. وذلك قولٌ إن قاله قائل, كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ومخالفا المعهود من الخطاب, وكفى بذلك شاهدا على خطئه.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون معنى قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ: وآتوا حقه يوم كيله, لا يوم فَصْله وقطعه, ولا يوم جَدَاده وقطافه, فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل؟ وذلك ما:

10987ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: يوم كيله.

10988ـ وحدثنا المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن الحجاج, عن سالم المكيّ, عن محمد ابن الحنفية, قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: يوم كيله يعطي العشر ونصف العشر.

مع آخرين, قد ذُكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك؟ قيل: لأن يوم كيله غير يوم حصاده. ولن يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين: إما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد إلى معنى الكيل, فذلك ما لا يعقل في كلام العرب لأن الحصاد والحصد في كلامهم الجدّ والقطع, لا الكيل. أو يكونوا وجهوا تأويل قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ إلى وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه. فذلك خلاف ظاهر التنزيل, وذلك أن الأمر في ظاهر التنزيل بإيتاء الحقّ منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده. ولا فرق بين قائل: إنما عنى الله بقوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ بعد يوم حصاده, وآخر قال: عنى بذلك قبل يوم حصاده, لأنهما جميعا قائلان قولاً دليل ظاهر التنزيل بخلافه.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ.

اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية, ومن المنهي عنه. فقال بعضهم: المنهيّ عنه: ربّ النخل والزرع والثمر والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية, مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف بربّ المال. ذكر من قال ذلك:

10989ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: حدثنا عاصم, عن أبي العالية, في قوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا... الآية, قال: كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة, ثم تسارفوا, فأنزل الله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفينَ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن عاصم الأحول, عن أبي العالية: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا سوى الزكاة, ثم تباروا فيه وأسرفوا, فقال الله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفينَ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن عاصم الأحول, عن أبي العالية: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا, ثم تسارفوا, فقال الله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يِحِبّ المُسْرِفِينَ.

10990ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس, جَدّ نخلاً فقال: لا يأتيّ اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة, فقال الله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ.

10991ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: قلت لعطاء: وَلا تُسْرِفُوا يقول: لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد, أم في كلّ شيء؟ قال: بلى في كلّ شيء ينهى عن السرف. قال: ثم عاودته بعد حين, فقلت: ما قوله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفينَ؟ قال: ينهى عن السرف في كل شيء. ثم تلا: لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا.

10992ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا سفيان بن حسين, عن أبي بشر, قال: أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة,فسألوه: ما السرف؟ فقال: ما تجاوز أمر الله فهو سرف.

10993ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تُسْرِفُوا لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء.

وقال آخرون: الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع: منع الصدقة والحقّ الذي أمر الله ربّ المال بإيتائه أهله بقوله: وآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ. ذكر من قال ذلك:

10994ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن ابن جريج, قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الله, عن عمرو بن سليم وغيره, عن سعيد بن المسيب, في قوله: وَلا تُسْرِفُوا قال: لا تمنعوا الصدقة فتعصوا.

10995ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا محمد بن الزبرقان, قال: حدثنا محمد بن عبيدة, عن محمد بن كعب: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ والسرف: أن لا يعطي في حقّ.

وقال آخرون: إنما خوطب بهذا السلطان: نهي أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله. ذكر من قال ذلك:

10996ـ حدثنا يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ابن زيد, في قوله: وَلا تُسْرِفُوا قال: قال للسلطان: لا تسرفوا, لا تأخذوا بغير حقّ فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس, يعني قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أثْمَرَ... الآية.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: ولاَ تُسْرِفُوا عن جميع معاني الإسراف, ولم يخصص منها معنى دون معنى. وإذ كان ذلك كذلك, وكان الإسرف في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحقّ في العطية, إما بتجاوز حدّه في الزيادة وإما بتقصير عن حدّه الواجب كان معلوما أن المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته, مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما كيفته له, وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه, وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه, أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها, وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما

فعلوا من ذلك مسرفون, داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: وَلا تُسْرِفُوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم, إذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده, فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الأمور والحكم بها على العامّ, بل عامة آي القرآن كذلك, فكذلك قوله: وَلا تُسْرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ. ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الإسراف أنه على ما قلنا قول الشاعر:

أعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدوها ثَمانِيَةٌما في عَطائِهِمُ مَنّ وَلا سَرَفُ

يعني بالسرف: الخطأ في العطية.

الآية : 142

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الأنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ إِنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وأنشأ من الأنعام حَمولة وفرشا, مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات. والحمولة: ما حمل عليه من الإبل وغيرها, والفرش: صغار الإبل التي لم تدرك أن يحمل عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: الحمولة: ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانها والفرش: صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها. ذكر من قال ذلك:

10997ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, في قوله: حَمُولَةً وفَرْشا قال: الحمولة: الكبار من الإبل وفَرْشا: الصغار من الإبل.

وقال: حدثنا أبي, عن أبي بكر الهذلي, عن عكرمة, عن ابن عباس: الحمولة هي الكبار, والفرش: الصغار من الإبل.

10998ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد, قال: الحمولة: ما حمل من الإبل, والفرش: ما لم يحمل.

وبه عن إسرائيل, عن خصيف, عن مجاهد: الحمولة: ما حمل من الإبل, والفرش: ما لم يحمل.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَفَرْشا قال: صغار الإبل.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله, في قوله: حَمُولَةً وَفَرْشا قال: الحمولة: الكبار, والفرش: الصغار.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن ابن مسعود في قوله: حَمُولَةً وَفَرْشا الحمولة: ما حمل من الإبل, والفرش: هنّ الصغار.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص عن عبد الله, أنه قال في هذه الآية: حَمُولَةً وفَرْشا قال: الحمولة: ما حمل عليه من الإبل, والفرش: الصغار.

قال ابن المثنى, قال محمد, قال شعبة: إنما كان حدثني سفيان عن ابن إسحاق.

10999ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: قال الحسن: الحمولة من الإبل والبقر.
وقال بعضهم: الحمولة من الإبل, وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش.
11000ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الحسن: حَمُولَةً وفَرْشا قال: الحمولة: ما حمل عليه, والفرش: حواشيها, يعني صغارها.
11001ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: حدثنا عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وفَرْشا فالحمولة ما حمل من الإبل, والفرش: صغار الإبل, الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل.
ويقال: الحمولة: من البقر والإبل, والفرش: الغنم.
وقال آخرون: الحمولة: ما حمل عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك, والفرش: الغنم. ذكر من قال ذلك:
11002ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشا فأما الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير, وكلّ شيء يحمل عليه وأما الفرش: فالغنم.
11003ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس: الحمولة من الإبل: والبقر, وفرشا: المعز والضأن.
11004ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وفَرْشا قال: أما الحمولة: فالإبل والبقر. قال: وأما الفرش: فالغنم.
11005ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, كان غير الحسن يقول: الحمولة: الإبل والبقر, والفرش: الغنم.
11006ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشا أما الحمولة: فالإبل. وأما الفرش: فالفُصلان والعجاجيل والغَنم, وما حمل عليه فهو حمولة.
11007ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حَمُولَةً وَفَرْشا الحمولة: الإبل, والفرش, الغنم.
11008ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي بكر الهذلي, عن الحسن: وفَرْشا قال: الفرش: الغنم.
11009ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حَمُولَةً وفَرْشا قال: الحمولة: ما تركبون, والفرش: ما تأكلون وتحلبون, شاة لا تحمل, تأكلون لحمها, وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الحمولة: هي ما حمل من الأنعام, لأن ذلك من صفتها إذا حملت, لا أنه اسم لها كالإبل والخيل والبغال فإذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل, فالواجب أن يكون كلّ ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة, وهي جمع لا واحد لها من لفظها, كالرّكوبة والجَزُورة. وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه, ويقال له الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها

ولطفها بالفرش من الأرض, وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس. فأما الحُمولة بضمّ الحاء: فإنها الإحمال, وهي الحُمُول أيضا بضم الحاء.

القول في تأويل قوله تعالى: كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطانِ إنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ.

يقول جلّ ثناؤه: كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون, فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم, إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله, فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا, وللشيطان مثله, فقالوا: هذا لله بزعمهم, وهذا لشركائنا. وَلا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطانِ كما اتبعها باحرو البحيرة ومسيبو السوائب, فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذي رزقكم ما حرموه, فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن. كما:

11010ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَتّبِعُوا خُطُواتِ الشّيْطانِ: لا تتبعوا طاعته هي ذنوب لكم, وهي طاعة للخبيث.

إن الشيطان لكم عدوّ يبغي هلاككم وصدّكم عن سبيل ربكم, مُبِينٌ قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة, حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه, وحسدا منه له وبغيا عليه.

الآية : 143

القول في تأويل قوله تعالى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مّنَ الضّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

وهذا تقريع من الله جلّ ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذي بحّروا البحائر وسيّبوا السوائب ووصلوا الوصائل, وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به, الحجة عليهم في تحريمهم ما حرّموا من ذلك, فقال للمؤمنين به وبرسوله: وَهُوَ الّذِي أنْشَأَ جَنّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغيرَ مَعْرُوشاتٍ ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشا. ثم بين جلّ ثناؤه الحمولة والفرش, فقال: ثَمَانِيَةَ أزْوَاجٍ وإنما نصب الثمانية, لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدّم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد, فقال: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ على ذلك المعنى مِنِ الضّأنِ اثْنَينِ وَمِنَ المعَزِ اثْنَيْنِ فذلك أربعة, لأن كلّ واحد من الاثنين من الضأن زوج, فالأنثى منه زوج الذكر, والذكر منه زوج الأنثى, وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جلّ ثناؤه: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ كما قال: وَمِنْ كلّ شيء خلقْنَا زَوْجين لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر, فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان, كما قال جلّ ثناؤه: وَجعلَ مِنهَا زَوْجهَا لِيَسكُنَ إليهَا وكما قال: أمْسِكْ عليْكَ زَوْجكَ. وكما:

11011ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن جويبر, عن الضحاك: مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى, وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى, وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى.

ويقال للاثنين: هما زوج كما قال لبيد:

مِنْ كُلّ مَحْفُوفٍ يُظِلّ عِصِيّهُزَوْجٌ عَلَيْهِ كِلّةٌ وَقِرَامُها

ثم قال لهم: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم, واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون, فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرّم

هؤلاء الجهلة بغير أمري إياهم بذلك. قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا من الحرث والأنعام, اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرّم عليهم ما هم محرّمون من ذلك: آلذّكَرَيْنِ حَرّمَ ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز, فإنهم إن ادّعوا ذلك وأقرّوا به, كذّبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم, لأنهم إذا قالوا: يحرّم الذكرين من ذلك, أوجبوا تحريم كلّ ذكرين من ولد الضأن والمعز, وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها, وفي ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم. أمِ الأُنْثَيَيْنِ فإنهم إن قالوا: حرّم ربنا الأنثيين, أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها, وفي ذلك أيضا تكذيب لهم, ودحض دعواهم أن ربهم حرّم ذلك عليهم, إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره. أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ يقول: أم حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين, يعني أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال: أرحام الأنثيين. وفي ذلك أيضا لو أقرّوا به فقالوا: حرّم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين, بُطُول قولهم وبيان كذبهم, لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك أن الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها, وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها, و«ما» التي في قوله: أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ نصب عطفا بها على «الأنثيين». نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ يقول: قل لهم: خبروني بعلم ذلك على صحته, أيّ ذلك حرّم ربكم عليكم وكيف حرّم, إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما تنحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه إليه من تحريمكم. وإنما هذا إعلام من الله جلّ ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك وأضافوه إلى الله, فهو كذب على الله, وأنه لم يحرّم شيئا من ذلك, وأنهم إنما اتبعوا في ذلك خطوات الشيطان, وخالفوا أمره.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11012ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ... الآية, إن كلّ هذا لم أحرّم منه قليلاً ولا كثيرا ذكرا ولا أنثى.

11013ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ ومِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قال: سلهم آلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أم الأُنْثَيْنِ أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ: أي لم أحرّم من هذا شيئا. بِعِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك.

11014ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ في شأن ما نهى اللهعنه من البحيرة.

11015ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: ثَمانِيَةَ أزْوَاج قال: هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب. قال ابن جريج: يقول: من أين حرّمت هذا من قبل الذكرين أم من قِبَل الأنثيين, أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى, فمن أين جاء التحريم؟ فأجابوا هم: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

11016ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضّأنِ اثْنَينِ وَمِنَ المَعْز اثْنَيْن وَمِنَ البَقَر اثْنَيْن وَمِنَ الإبِل اثْنَيْن, يقول: أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا

الذي عددت ذكر وأنثى, فالذكرين حرّمت عليكم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ يقول: أي ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ما تشتمل إلا على ذكر أو أنثى, فما حرّمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية, إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام.

11017ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن: أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ قال: ما حملت الرحم.

11018ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ آلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ قال: هذا لقولهم: ما فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعام خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ومُحَرّمٌ على أزْوَاجِنا. قال: وقال ابن زيد في قوله: ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضّأن اثْنِينَ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قال: الأنعام: هي الإبل والضأن والمعز, هذه الأنعام التي قال الله ثمانية أزواج. قال: وقال في قوله: هَذِهِ أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ نحتجرها على من نريد وعمن نريد, وقوله: وأنْعامٌ حُرّمَتْ ظُهُورُها قال: لا يركبها أحد, وأنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ الله عَلَيْها فقال: آلذّكَرَيْن حَرّم أم الأُنْثَيَيْنِ أيّ هذين حرّم على هؤلاء, أي أن تكون لهؤلاء حلاّ وعلى هؤلاء حراما.

11019ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعز اثْنَيْن قُلْ الذّكَرَيْن حَرّمَ أم الأُنْثَيَيْن أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْه أرْحامُ الأُنْثَيَيْن يعني: هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى, فهم يحرّمون بعضا ويحلون بعضا؟.

11020ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ فهذه أربعة أزواج, وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذّكَرَيْنِ حَرّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ يقول: لم أحرّم شيئا من ذلك. نَبّئُونِي بِعِلم إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: كله حلال.

والضأن: جمع لا واحد له من لفظه, وقد يجمع الضأن: الضّئين والضّئين, مثل الشّعير والشعّير, كما يجمع العبد على عَبِيد وعِبِيد. وأما الواحد من ذكوره فضائن, والأنثى ضائنة, وجمع الضائنة: ضوائن, وكذلك العز جمع على غير واحد, وكذلك المعزى وأما الماعز, فجمعه مواعز.

الآية : 144

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.

وتأويل قوله: وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذّكَرَيْنِ حَرّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أمّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ نحو تأويل قوله: مِنَ الضّأنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ وهذه أربعة أزواج, على نحو ما بينا من الأزواج الأربعة قبل من الضأن والمعز, فذلك ثمانية أزواج كما وصف جلّ ثناؤه.

وأما قوله: أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءِ إذْ وَصّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا فَمَنْ أظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى على الله كَذِبا لِيُضِلّ النّاسَ بغيرِ عِلْمٍ فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قصّ قصصهم في هذه الآيات التي مضت, يقول له عزّ ذكره: قل لهم يا محمد, أيّ هذه

سألتكم عن تحريمه حرّم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك, فقل لهم: أخبرا قلتم إن الله حرّم هذا عليكم أخبركم به رسول عن ربكم, أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذي تقول وتردّون على الله؟ فإن هذا الذي تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون, لا يُعلم إلا بوحي من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه, أو بسماع منه, فبأيّ هذين الوجهين علمتم أن الله حرّم ذلك كذلك برسول أرسله إليكم؟ فأنبئوني بعلم إن كنتم صادقين أم شهدتم ربكم, فأوصاكم بذلك وقال لكم: حرّمت ذلك عليكم, فسمعتم تحريمه منه وعهده إليكم بذلك؟ فإنه لم يكن واحد من هذين الأمرين. يقول جلّ ثناؤه: فمنْ أظْلَمُ مِمّنِ افترَى عَلى اللّهِ كِذبا يقول: فمن أشدّ ظلما لنفسه وأبعد عن الحقّ ممن تخرّص على الله قيل الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم وتحليل ما لم يحلل. لِيُضِلّ النّاسَ بغيرِ عِلْمٍ يقول: ليصدّهم عن سبيله: إنّ اللّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمينَ يقول: لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم كفرا بالله وجحودا لنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. كالذي:

11021ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا الذي تقولون.

11022ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: كانوا يقولون يعني الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب: إن الله أمر بهذا. فقال الله: فَمَنْ أظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا لِيُضِلّ النّاسَ بغيرِ عِلْمٍ.

الآية : 145

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لاّ أَجِدُ فِي مَآ أُوْحِيَ إِلَيّ مُحَرّماً عَلَىَ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنّ رَبّكَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله والقائلين هَذهِ أنعامٌ وحرْثٌ حِجْرٌ لا يطْعمُها إلاّ مَنْ نشاءُ بِزَعمِهِمْ والمحرّمين من أنعام أُخَر ظهورها, والتاركين ذكر اسم الله على أُخَر منها, والمحرّمين بعض ما في بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم ومحلّية لذكورهم, المحرّمين ما رزقهم الله افتراء على الله, وإضافة منهم ما يحرّمون من ذلك إلى أن الله هو الذي حرّمه عليهم: أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم, فأنبئونا به, أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرّمتموه؟ فإنكم كذبة إن ادّعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه, لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم, فإني لا أجد فيما أوحي إليّ من كتابه وآي تنزيله شيئا محرّما على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريم ما حرّم عليكم منها بزعمكم, إلا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دما مسفوحا وهو المنصبّ أو إلا أن يكون لحم خنزير. فإنّه رِجْسٌ أو فِسْقا يقول: أو إلا أن يكون فسقا, يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه, فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرّمه, ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك, لأنه ميتة. وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبيّ الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذي

حرّمه الله, وأن الذي زعموا أن الله حرّمه حلال قد أحله الله, وأنهم كذبة في إضافتهم تحريمه إلى الله.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أَلِ التأويل. ذكر من قال ذلك:
11023ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, في قوله: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون أشياء ويحلون أشياء, فقال: قل لا أجد مما كنتم تحرّمون وتستحلون إلا هذا إلاّ أنْ يكونَ مَيْتَةً أوْ دَما مَسْفُوحا أوْ لحمَ خِنزِيرٍ فإنّهُ رِجْسٌ أوْ فِسْقا أُهِلّ لِغيرِ اللّهِ بِهِ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, في قوله: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما... الآية, قال: كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرّمون أشياء, فقال الله لنبيه: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما مما كنتم تستحلون إلا هذا وكانت أشياء يحرّمونها فهي حرام الآن.
11024ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن ابن طاوس, عن أبيه: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ قال: ما يؤكل. قلت: في الجاهلية؟ قال: نعم وكذلك كان يقول: إلاّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَما مَسْفُوحا. قال ابن جريج: وأخبرني إبراهيم بن أبي بكر, عن مجاهد: قُلْ لا أجدُ فيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما قال: مما كان في الجاهلية يأكلون, لا أجد محرّما من ذلك على طاعم يطعمه, إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا.
وأما قوله: أوْ دَما مَسْفُوحا فإن معناه: أو دما مسالاً مُهَراقا, يقال منه: سفحت دمه: إذا أرقته, أسفحه سَفْحا, فهو دم مسفوح, كما قال طرفة بن العبد:
إنّي وَجَدّكَ ما هَجَوْتُكَ والْأنْصَابِ يُسْفَحُ فَوْقَهُنّ دَمُ
وكما قال عبيد بن الأبرص:
()إذَا ما عادَهُ مِنّا نِساءٌ
سَفَحْنَ الدّمْعَ مِنَ بعدِ الرّنِينِ()
يعني: صببن, وأسلن الدمع. وفي اشتراطه جلّ ثناؤه في الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه المسفوح منه دون غيره, الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس. وذلك كالذي:
11025ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عكرمة: أوْ دَما مَسْفُوحا قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة بنحوه, إلا أنه قال: لاتبع المسلمون.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة بنحوه.
11026ـ حدثنا أبو كريب, قال:أخبرنا وكيع, عن عمران بن حدير, عن أبي مجلز, في القِدر يعلوها الحمرة من الدم, قال: إنما حرّم الله الدم المسفوح.
حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن عمران بن حدير, عن أبي مجلز, قال: سألته عن الدم, وما يتلطخ بالمذبح

من الرأس, وعن القدر يرى فيها الحمرة, قال: إنما نهى الله عن الدم المسفوح.
11027ـ حدثنا محمدبن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أوْ دَما مَسْفُوحا قال: حرّم الدم ما كان مسفوحا وأما لحم خالطه دم فلا بأس به.
11028ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس, قوله: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلاّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَما مَسْفُوحا يعني مُهَراقا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, أخبرني ابن دينار, عن عكرمة: أوْ دَما مَسْفُوحا قال: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم ما تتبعها اليهود.
11029ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن يحيى بن سعيد, عن القاسم بن محمد, عن عائشة: أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا, والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا. وقرأت هذه الآية: قُلْ لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إليّ مُحَرّما على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ... الآية.
11030ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن يحيى بن سعيد, ثني القاسم بن محمد, عن عائشة قالت, وذكرت هذه الآية أوْ دَما مَسْفُوحا قلت: وإن البُرْمة ليرى في مائها الصفرة.
وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا, وأنه النجس والنتن, وما يعصى الله به, بشواهده, فأغني عن إعادته في هذا الموضع. وكذلك القول في معنى الفسق, وفي قوله: أُهِلّ لغيرِ اللّهِ بِهِ قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره وإعادته.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إلاّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة: إلاّ أنْ يَكُونَ بالياء مَيْتَةً مخففة الياء منصوبة على أن في يكون مجهولاً, والميتة فعل له فنصبت على أنها فعل يكون, وذكروا يكون لتذكير المضمر في «يكون». وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والكوفة: «إلاّ أنْ تَكُونَ» بالتاء «مَيْتَةً» بتخفيف الياء من الميتة ونصبها. وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الأوّلين, وأنثوا تكون لتأنيث الميتة, كما يقال: إنها قائمة جاريتك, وإنه قائم جاريتك, فيذكر المجهول مرّة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذي بعده. وقرأ ذلك بعض المدنيين: «إلاّ أنْ تَكُونَ مَيّتَةٌ» بالتاء في «تكون», وتشديد الياء من «ميتة» ورفعها, فجعل «الميتة» اسم «تكون», وأنث «تكون» لتأنيث «الميتة», وجعل «تكون» مكتفية بالاسم دون الفعل, لأنه قوله: «إلاّ أنْ تَكُونَ مَيْتَةً» استثناء, والعرب تكتفي في الاستثناء بالأسماء عن الأفعال, فيقولون: قام الناس إلا أن يكون أخاك, وإلا أن يكون أخوك, فلا تأتي ليكون بفعل, وتجعلها مستغنية بالاسم, كما يقال: قام القوم إلا أخاك وإلا أخوك, فلا يعتد الاسم الذي بعد حرف الاستثناء نفلاً.
والصواب من القراءة في ذلك عندي: إلاّ أنْ يَكُونَ بالياء مَيْتَةً بتخفيف الياء ونصب الميتة, لأن الذي في «يكون» من المكنىّ من ذكر المذكر, وإنما هو: قُلْ لا أجد فيما أوحي إليّ محرّما على طاعم يطعمه, إلا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا. فأما قراءة «ميتةٌ» بالرفع, فإنه وإن كان في العربية غير

خطأ فإنه في القراءة في هذا الموضع غير صواب, لأن الله يقول: أوْ دَما مَسْفُوحا فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب, وكذلك هو في مصاحب المسلمين, وهو عطف على «الميتة». فإذ كان ذلك كذلك, فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله «أو فسقا» مرفوعين, ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب.

القول في تأويل قوله تعالى: فَمَنِ اضْطُرّ غيرَ باغٍ وعلا عادٍ فإنّ رَبّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: فَمَنِ اضْطُرّ غيرَ باغٍ وَلا عادٍ. والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع, وأن معناه: فمن اضطّر إلى أكل ما حرّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير, أو ما أهلّ لغير الله به, غير باغ في أكله إياه تلذّذا, لا لضرورة حالة من الجوع, ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حدّه الله وأباحه له من أكله, وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه, فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك. فإنّ اللّهَ غَفُورٌ فيما فعل من ذلك, فساتر عليه بتركه عقوبته عليه, ولو شاء عاقبه عليه. رَحِيمٌ باباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه, ولوشاء حرمه عليه ومنعه منه.

الآية : 146

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَلَى الّذِينَ هَادُواْ حَرّمْنَا كُلّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَآ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وحرّمنا على اليهود كُلّ ذي ظفر, وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11031ـ حدثني المثنى, وعليّ بن داود, قالا: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ وهو البعير والنعامة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ قال: البعير والنعامة ونحو ذلك من الدوابّ.

11032ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن عطاء, عن سعيد: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ قال: هو ليس الذي بمنفرج الأصابع.

حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن شريك, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ قال: كل شيء متفرّق الأصابع, ومنه الديك.

11033ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: كُلّ ذِي ظُفُرٍ: النعامة والبعير.

11034ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, مثله.

11035ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ فكان يقال: البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان.
11036ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: كُلّ ذِي ظُفُرٍ قال: الإبل والنعام, ظفر يد البعير ورجله, والنعام أيضا كذلك, وحرّم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه, وكلّ شيء ليس بمشقوق الأصابع.
11037ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما كلّ ذي ظفر: فالإبل والنعام.
11038ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا شيخ, عن مجاهد, في قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ قل: النعامة والبعير شقّا شقّا, قال: قلت: «ما شقّا شقّا؟» قال, كل ما لم تفرّج قوائمه لم يأكله اليهود, البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: كُلّ ذِي ظُفُرٍ قال: النعامة والبعير شقّا شقّا, قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه: «ما شقًّا شقّا؟» قال: كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم,قال: وما انفرج أكلته اليهود, قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير, فيهود تأكلها. قال: ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خفّ النعامة ولا قائمة الوزّين, فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزين ولا كلّ شيء لم تنفرج قائمته, وكذلك لا تأكل حمار وحش. وكان ابن زيد يقول في ذلك بما:
11039ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَعلى الّذِينَ هادُوا حَرّمْنا كُلّ ذِي ظُفُرٍ الإبل فقط.
وأولى القولين في ذلك بالصواب, القول الّذي ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه حرّم على اليهود كلّ ذي ظُفُر, فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر إلا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه. وإذا كان ذلك كذلك, وكان النعام وكلّ ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلاً في ظاهر التنزيل, وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر, إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية خبر عن الله ولا عن رسوله, وكانت الأمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل.
القول في تأويل قوله تعالى: وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنمِ حَرّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما.
اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله تعالى أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم, فقال بعضهم: هي شحوم الثروب خاصة. ذكر من قال ذلك:
11040ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَمِنَ البَقَرِ الغَنمِ حَرّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما الثروب. ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «قاتل الله اليهود حَرّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ الثّرُوبَ ثُمّ أكَلُوا أثمَانَها».

وقال آخرون: بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم. ذكر من قال ذلك:

11041ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: حَرّمنْا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما قال: إنما حرّم عليهم الثّرْب, وكلّ شحم كَدْن كذلك ليس في عَظم.

وقال آخرون: بل ذلك شحم الثّرْب والكُلى. ذكر من قال ذلك:

11042ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: حَرّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما قال: الثرب وشحم الكليتين. وكانت اليهود تقول: إنما حرّمه إسرائيل فنحن نحرّمه.

11043ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: حَرّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما قال: إنما حرّم عليهم الثروب والكليتين. هكذا هو في كتابي عن يونس, وأنا أحسب أنه الكلى.

والصواب في ذلك من القول أن يقال: إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم,فكلّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم, فإنه كان محرّما عليهم.

وبنحو ذلك من القول, تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك قوله: «قاتَلَ اللّهُ اليَهُودَ حُرّمَتْ عَلَيْهُمُ الشّحُومُ فجَمَلُوها ثُمّ باعُوها وأكَلُوا أثمَانها».

وأما قوله: إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما فإنه يعني: إلا شحوم الجنب وما علق بالظهر, فإنها لم تحرّم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11044ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما يعني: ما علق بالظهر من الشحوم.

11045ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أما ما حملت ظهورهما: فالأليات.

11046ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قال: الألية مما حملت ظهورهما.

القول في تأويل قوله تعالى: أوِ الحَوَايا.

قال أبو جعفر: والحوايا جمع, واحدها حاوياء وحاوية وحَوِيّة: وهي ما تحوّى من البطن فاجتمع واستدار, وهي بنات اللبن, وهي المباعر, وتسمى المرابض, وفيها الأمعاء. ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا, فالحوايا رفع عطفا على الظهور, و«ما» التي بعد «إلاّ», نصب على الاستثناء من الشحوم.

وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11047ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: أوِ الحَوَايا وهي المبعر.

11048ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أوِ الحَوَايا قال: المبعر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: الحوايا: المبعر والمَرْبض.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أو الحَوَايا قال: المبعر.
11049ـحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: أوِ الحَوَايا قال: المباعر.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن عطاء, عن سعيد بن جبير: أوِ الحَوَايا قال: المباعر.
11050ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أوِ الحَوَايا قال: المبعر.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أوِ الحَوَايا قال: المبعر.
11051ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة والمحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: المبعر.
11052ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ,قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أوِ الحَوَايا يعني: البطون غير الثروب.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أوِ الحَوَايا هو المبعر.
11053ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أوِ الحَوَايا قال: المباعر. وقال ابن زيد في ذلك, ما:
11054ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوِ الحَوَايا قال: الحوايا: المرابض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها, وهي بنات اللبن, وهي في كلام العرب تُدعى المرابض.
القول في تأويل قوله تعالى: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ.
يقول تعالى ذكره: ومن البقر والغنم حرّمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما, أو ما حملت حواياهما, فإنا أحللنا ذلك لهم, وإلا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال. فردّ قوله: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ على قوله: إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما ف«ما» التي في قوله: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ في موضع نصب عطفا على «ما» التي في قوله: إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا. وعنى بقوله: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْم شحم الألية والجنب وما أشبه ذلك. كما:
11055ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ قال: شحم الألية بالعُصْعُص, فهو حلال, وكلّ شيء في القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم, فهو حلال.
11056ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ مما كان من شحم على عظم.
القول في تأويل قوله تعالى: ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنّا لَصَادِقُونَ.
يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير, ذوات الأظافير غير المنفرجة, ومن البقر والغنم, ما حرّمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية, حرّمناه عليهم عقوبة منا لهم, وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم. كما:

11057ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنّا لَصَادِقُونَ.
يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير, ذوات الأظافير غير المنفرجة, ومن البقر والغنم, ما حرّمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية, حرّمناه عليهم عقوبة منا لهم, وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم. كما:
11058ـ حدثنا بشر,قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنّا لَصَادِقُونَ إنما حرّم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم.
11059ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ فعلنا ذلك بهم ببغيهم.
وقوله: وَإنّا لَصَادِقُونَ يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التي ذكرنا أنا حرّمنا عليهم, وفي غير ذلك من أخبارنا, وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.

الآية : 147

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإن كَذّبُوكَ فَقُلْ رّبّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ }.
يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كذّبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرّمنا عليهم وحللنا لهم كما بينا في هذه الآية, فقل: ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه, واسعة, تسع جميع خلقه المحسن والمسيء, لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة, ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحْرِمه ثواب عمله, رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه, وذلك سطوته وعذابه, لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء. والمحرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11060ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فإنْ كَذّبُوكَ اليهود.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فإنْ كَذّبوكَ اليهود, فَقُلْ رَبّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ.
11061ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ,قال: كانت اليهود يقولون: إنما حرّمه إسرائيل يعني: الثرب وشحم الكليتين فنحن نحرّمه, فذلك قوله: فإنْ كَذّبُوكَ فَقُلْ رَبّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدّ بأسُهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ.

الآية : 148

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَقُولُ الّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَآؤُنَا وَلاَ حَرّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتّىَ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتّبِعُونَ إِلاّ الظّنّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاّ تَخْرُصُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه: سَيَقُولُ الّذِينَ أشْرَكُوا وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش: لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا يقول: قالوا احتجازا

من الإذعان للحقّ بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحقّ, وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم, وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام, على ما قد بَيّن تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك: وَجَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا وما بعد ذلك: لو أراد اللهمنا الإيمان به وإفراده بالعبادة دون الأوثانَ والآلهة وتحليل ما حرّم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا, ما جعلنا لله شريكا, ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبَلنا, ولا حرّمنا ما نحرّمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون لأنه قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك, حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل, إما بأن يضطّرنا إلى الإيمان وترك الشرك به وإلى القول بتحليل ما حرّمنا وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير إلى الإقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام, وإلى تحليل ما حرّمنا. ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام, واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد, وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام, فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك. قال الله مكذّبا لهم في قيلهم: إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرّم, ورادّا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك: كذلكَ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحقّ والبيان, كذّب من قبلهم من فَسقة الأمم الذين طغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه, وردّوا عليهم نصائحهم. حتى ذَاقُوا بَأسنا يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم, فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه, فعطبوا بذوقهم إياه, فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة, يقول: وهؤلاء الآخرون, مسلوك بهم سبيلهم, إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدّقوا بما جئتهم به من عند ربهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11062ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وقال: كذلكَ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ, ثم قال: وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهة تقرّبنا إلى الله زلفي. فأخبرهم الله أنها لا تقربهم, وقوله: وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكُوا يقول الله سبحانه: لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين.

11063ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا حَرّمْنا مِنْ شَيْءٍ قال: قول قريش, يعني: إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا حَرّمْنا مِنْ شَيْءٍ قول قريش بغير يقين: إن الله حرّم هذه البحيرة والسائبة.

فإن قال قائل: وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذّب من قيل هؤلاء المشركين قوله: رضى الله منا عبادة الأوثان, وأراد منا تحريم ما حرّمنا من الحروث والأنعام, دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم: لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرّمْنا مِنْ شَيْءٍ وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم, وتحريمهم ما كانوا يحرّمون؟ قيل: له الدلالة على ذلك, قوله: كذلكَ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم سلكوا في تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما آتاهم به من عند الله

من النهي عن عبادة شيء غير الله تعالى, وتحريم غير ما حرّم الله في كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذّبة الله ورسولَه. والتكذيب منهم إنما كان لمكذّب, ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم في قيلهم: لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا لقال: «كذلكَ كَذَبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بتخفيف الذال, وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله لا إلى التكذيب. مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب, وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إنْ تَتّبِعُونَ إلاّ الظّنّ وإنْ أنْتُمْ إلاّ تَخْرُصُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام المحرّمين ما هم له محرّمون من الحروث والأنعام, القائلين: لَوْ شاءَ اللّهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلاَ حَرّمْنا مِنْ شَيْءٍ ولكن رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرّم: هل عندكم بدعواكم ما تدّعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرّمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر, أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا؟ يقول: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه, كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم, وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع. إنْ تَتّبِعُونَ إلاّ الظّنّ يقول له: قل لهم: إن تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون وتحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون إلا ظنّا وحسبانا أنه حقّ, وأنكم على حق وهو باطل, وأنتم على باطل. وَإنْ أنْتُمْ إلاّ تَخْرُصُونَ يقول: وإن أنتم, وما أنتم في ذلك كله إلا تخرُصون, يقول: إلا تتقوّلون الباطل على الله ظنّا بغير يقين علم ولا برهان واضح.

الآية : 149

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ فَلِلّهِ الْحُجّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام, القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرّموا من الحروث والأنعام, إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم: هل عندكم من علم بما تدّعون على ربكم فتخرجوه لنا, وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره, وهم لا شكّ عن ذلك عجزة, وعن إظهاره مقصرّون, لأنه باطل لا حقيقة له. فلِلّهِ الذي حرّم عليكم أن تشركوا به شيئا, وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام, الحُجّةُ البَالِغَةُ دونكم أيها المشركون. ويعني بالبالغة: أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه, وقَطْعِ عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه. فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أجمَعينَ يقول: فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والآلهة والدينونة, بتحريم ما حرّم الله وتحليل ما حلله الله, وترك اتباع خطوات الشيطان, وغير ذلك من طاعاته. ولكنه لم يشأ ذلك, فخالف بين خلقه فيما شاء منهم, فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11064ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, قال: لا حجة لأحد عصى الله, ولكن لله

الحجة البالغة على عباده. وقال: فَلَوْ شَاءَ لَهَداكُمْ أجمَعِينَ قال: لا يَسُئلُ عَمّا يفْعَلُ وَهُمْ يُسْئلُونَ.

الآية : 150

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ هَلُمّ شُهَدَآءَكُمُ الّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنّ اللّهَ حَرّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتّبِعْ أَهْوَآءَ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ وَهُم بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان, الزاعمين أن الله حرّم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم: هَلُمّ شُهَدَاءَكُمْ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرّم عليكم ما تزعمون أنه حرّمه عليكم. وأهل العالية من تهامة توحد «هلمّ» في الواحد والاثنين والجمع, وتذكر في المؤنث والمذكر, فتقول للواحد: هلمّ يا فلان وللاثنين والجمع كذلك, وللأنثى مثله ومنه قول الأعشى:

وكانَ دَعا قَوْمَهُ دَعْوَةًهَلُمّ إلى أمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ

يُنشد «هلمّ» و«هلمّوا». وأما أهل السافلة من نجد فإنهم يوحدون للواحد ويثنون للاثنين ويجمعون للجميع, فيقال للواحد من الرجال: هلمّ, وللواحدة من النساء: هلمّي, وللاثنين: هلمّا, وللجماعة من الرجال هلمّوا, وللنساء: هَلْمُمْن.

قال الله لنبيه: فإنْ شَهِدُوا يقول: يا محمد, فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرّم ما يزعمون أن الله حرّمه عليهم. فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله. وخاطب بذلك جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم, والمراد به أصحابه والمؤمنون به. وَلا تَتّبِعْ أَهْوَاءَ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرّم وتحليل ما أحلّ لهم, ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وَالّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة, فتكذّب بما هم به مكذّبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره إياهم بعد فنائهم. وَهُمْ بِرَبّهِمْ يَعْدِلُونَ يقول: وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجحودهم قيام الساعة بالله يعدلون الأوثان والأصنام, فيجعلونها له عِدلاً, ويتخذونها له ندّا يعبدونها من دونه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11065ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: هَلُمّ شُهَدَاءَكُمُ الّذِينَ يَشْهَدُونَ أنّ اللّهَ حَرّمَ هَذَا يقول: قل أروني الذين يشهدون أن الله حرّم هذا مما حرّمت العرب, وقالوا: أمرنا الله به. قال الله لرسوله: فإنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ.

11066ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: هَلُمّ شُهَدَاءَكُمْ الّذِينَ يَشْهَدُونَ أنّ اللّهَ حَرّمَ هَذَا قال: البحائر والسّيّب.

الآية : 151

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوَاْ أَوْلاَدَكُمْ مّنْ إمْلاَقٍ نّحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقّ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام, الزاعمين أن الله حرّم عليهم ما هم محرّموه من حروثهم وأنعامهم, على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرّم ربكم حقّا يقينا, لا الباطل, تخرّصا كخرصكم على الله الكذب والفرية ظنّا, ولكن وحيا من الله أوحاه إليّ, وتنزيلاً أنزله عليّ, ألا تشركوا بالله شيئا من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ولا تعبدوا شيئا سواه. وَبالوَالِدَيْنِ إحْسانا يقول: وأوصى بالوالدين إحسانا. وحذف «أوصى» وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه, وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب.

وأما «أن» في قوله: أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا فرفع, لأن معنى الكلام: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم, هو أن لا تشركوا به شيئا. وإذا كان ذلك معناه, كان في قوله: تُشْرِكُوا وجهان: الجزم بالنهي, وتوجيهه «لا» إلى معنى النهي. والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر, ونصب «تشركوا» ب«ألاّ» كما يقال: أمرتك أن لا تقوم. وإن شئت جعلت «أن» في موضع نصب ردّا على «ما» وبيانا عنها, ويكون في قوله: تُشْرِكُوا أيضا من وجهي الإعراب نحو ما كان فيه منه, و«أن» في موضع رفع, ويكون تأويل الكلام حينئذٍ: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم, أتْلُ أن لا تشركوا به شيئا.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون قوله تُشْرِكُوا نصبا ب«أن لا», أم كيف يجوز توجيه قوله: «أن لا تشركوا به», على معنى الخبر, وقد عطف عليه بقوله: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إملاقٍ وما بعد ذلك من جزم النهي؟ قيل: جاز ذلك كما قال تعالى ذكره: قُلْ إنّي أُمِرْتُ أنْ أكُونَ أوّلَ مَنْ أسْلَمَ فجعل «أن أكون» خبرا و«أنْ» اسما, ثم عطف عليه, وكما قال الشاعر:

حَجّ وأوْصَى بسُلَيْمَى الأعْبُدَاأنْ لا تَرَى وَلا تُكَلّمْ أحَدَاوَلا يَزَلْ شَرابُها مُبَرّدَا

فجعل قوله «أن لا ترى» خبرا, ثم عطف بالنهي, فقال: «ولا تكلم», «ولا يزل».

القول في تأويل قوله تعالى: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإيّاهُمْ.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم, فإن الله هو رازقكم وإياهم, ليس عليكم رزقهم, فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم. والإملاق: مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد, فأنا أمْلِقُ إملاقا, وذلك إذا فني زاده وذهب ماله وأفلس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11067ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ الإملاق: الفقر, قتلوا أولادهم خشية الفقر.

11068ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ أي خشية الفاقة.

11069ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ قال: الإملاق: الفقر.

11070ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قوله: مِنْ إمْلاقٍ قال: شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة.

11071ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, في قوله: مِنْ إمْلاقٍ يعني: من خشية فقر.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ.

يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرّمة عليكم التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها, والباطن منها الذي تأتونه سرّا في خفاء لا تجاهرون به, فإن كلّ ذلك حرام. وقد قيل: إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن, لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضا. وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع, غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كلّ فاحشة وباطنها, ولا خبر يقطع العذر بأنه عُنى به بعضٌ دون جميع, وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها.

ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاصّ المعنى:

11072ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ أما ما ظهر منها: فزواني الحوانيت, وأما ما بطن: فما خفي.

11073ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, قوله: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ كان أهل الجاهلية يستسرّون بالزنا, ويرون ذلك حلالاً ما كان سرّا, فَحرّم الله السرّ منه والعلانية ما ظَهَرَ مِنْها يعني: العلانية وَما بَطَنَ يعني: السرّ.

11074ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا في السرّ ويستقبحونه في العلانية, فحرّم الله الزنا في السرّ والعلانية.

وقال آخرون في ذلك بمثل الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

11075ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ: سرّها وعلانيتها.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, نحوه.

وقال آخرون: ماظهر نكاح الأمهات وحلائل الآباء, وما بطن: الزنا. ذكر من قال ذلك:

11076ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن خصيف, عن مجاهد: وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ قال: ما ظهر: جمع بين الأختين, وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن: الزنا. وقال آخرون في ذلك بما:

11077ـ حدثني إسحاق بن زياد العطار البصري, قال: حدثنا محمد بن إسحاق البلخي, قال: حدثنا تميم بن شاكر الباهلي, عن عيسى بن أبي حفصة, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تَقْرَبوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ قال: ما ظهر الخمر, وما بطن: الزنا.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ.
يقول تعالى ذكره: قُلْ تَعَالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئْا وَلا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حرّم الله إلاّ بالحَقّ يعني بالنفس التي حرّم الله قتلها: نفس مؤمن أو معاهَد. وقوله: إلا بالحَقّ يعني: بما أباح قتلها به من أن تقتل نفسا فتقتل قودا بها, أو تزني وهي محصنة فترجم, أو ترتدّ عن دينها الحقّ فتُقتل فذلك الحقّ الذي أباح الله جلّ ثناؤه قتل النفس التي حرّم على المؤمنين قتلها به. ذَلِكُمْ يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه, هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به. لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم.

الآية : 152

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّىَ يَبْلُغَ أَشُدّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىَ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.
يعني جلّ ثناؤه بقوله: ولاَ تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاّ بالتي هي أحْسَن ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره. كما:
11078ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد: وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتيمِ إلاّ بالتي هِيَ أحْسَنُ قال: التجارة فيه.
11079ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بالتي هِيَ أحْسَنُ فليثمّر ماله.
11080ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق العنزي, عن سليط بن بلال, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيم إلاّ بالتي هِيَ أحْسَنُ قال: يبتغي له فيه, ولا يأخذ من ربحه شيئا.
11081ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بالتي هيَ أحْسَنُ قال: التي هي أحسن: أن يأكل بالمعروف إن افتقر, وإن استغنى فلا يأكل قال الله: وَمَنْ كانَ غَنِيّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيرا فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوف. قال: وسئل عن الكسوة فقال: لم يذكر الله الكسوة إنما ذكر الأكل.
وأما قوله: حتى يَبْلُغَ أشُدّهُ فإن الأشدّ جمع شدّ, كما الأضرّ جمع ضرّ, وكما الأشرّ جمع شرّ. والشدّ: القوّة, وهو استحكام قوّة شبابه وسنه, كما شدّ النهار ارتفاعه وامتداده, يقال: أتيته شدّ النهار ومدّ النهار, وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنترة:
عَهْدِي بِه شَدّ النّهار كأنّمَا خُضِبَ اللّبانُ ورأسُهُ بالعِظْلِم
ومنه قول الآخر:
يُطِيفُ بِهِ شَدّ النّهار ظَعِينَةٌطَوِيلَةُ أنْقاء اليَدَيْن سَحُوقُ
وكان بعض البصريين يزعم أن الأشدّ اسم مثل الآنك. فأما أهل التأويل فإنهم مختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل بلغ أشدّه, فقال بعضهم: يقال ذلك له إذا بلغ الحلم. ذكر من قال ذلك:

11082ـ حدثني أحمد بن عبد الرحمن, قال: حدثنا عمي, قال: أخبرني يحيى بن أيوب, عن عمرو بن الحرث, عن ربيعة, في قوله: حتى يَبْلُغَ أشُدّهُ قال: الحلم.
11083ـ حدثني أحمد بن عبد الرحن, قال: حدثنا عمي, قال: ثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم, عن أبيه, مثله. قال ابن وهب: وقال لي مالك مثله.
11084ـ حُدثت عن الحماني, قال: حدثنا هشيم, عن مجاهد, عن عامر: حتى يَبْلُغَ أشُدّهُ قال: الأشدّ: الحلم, حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات.
وقال آخرون: إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة. ذكر من قال ذلك:
11085ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: حتى يَبْلُغَ أشُدّهُ قال: أما أشدّه: فثلاثون سنة, ثم جاء بعدها: حتى إذَا بَلَغُوا النّكاحَ.
وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف. وذلك أن معنى الكلام: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن, حتى يبلغ أشدّه, فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا فادفعوا إليه ماله. لأنه جلّ ثناؤه لم ينه أن يُقرَب مال اليتيم في حال يتمه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه ويحلّ لوليه بعد بلوغه أشدّه أن يرقبه بالتي هي أسوأ, ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظا عليه ليسلموه إليه إذا بلغ أشدّه.
القول في تأويل قوله تعالى: وأوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ بالقِسْطِ لا نُكَلّفُ نَفْسا إلاّ وُسعَها.
يقول تعالى ذكره: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا, وأن أوفوا الكيل والميزان, يقول: لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتوهم والوزن إذا وزنتموهم, ولكن أوفوهم حقوقهم وإيفاؤهم ذلك: إعطاوهم حقوقهم تامّة بالقسط, يعني: بالعدل. كما:
11086ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بالقِسْطِ بالعدل.
وقد بيّنا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا إعادته.
وأما قوله: لا نُكَلّفُ نَفْسا إلا وُسْعَها فإنه يقول: لا نكلف نفسا من إيفاء الكيل والوزن إلا ما يسعها, فيحلّ لها, ولا تحرَج فيه. وذلك أن الله جلّ ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له, فأمر المعطى بإيفاء ربّ الحقّ حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها, وأمر الذي له الحقّ بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقلّ منه, لما في النقصان عنه من ضيق نفسه, فلم يكلف نفسا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق, فلذلك قال: لا نُكَلّفُ نَفْسا إلاّ وُسْعَها. وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده في موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته.
القول في تأويل قوله تعالى: وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أوْفُوا ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ.
يعني تعالى ذكره بقوله: وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم, فقولوا الحقّ بينهم, واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم, ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة

صديق حكمتم بينه وبين غيره, أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه.
وَبِعَهْدِ اللّهِ أوْفُوا يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم, وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, وذلك هو الوفاء بعهد الله.
وأما قوله: ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين, هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها, لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد ووأد البنات واتباع خطوات الشيطان. لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد إليكم فيها, لتتذكروا عواقب أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين, ووصاكم بها وعهد إليكم فيها, لتتذكروا عواقب أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون, فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا إلى طاعة ربكم. وكان ابن عباس يقول: هذه الآيات هنّ الآيات المحكمات.
11087ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عليّ بن صالح, عن أبي إسحاق, عن عبد الله بن قيس, عن ابن عباس, قال: هنّ الآيات المحمات, قوله: قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.
11088ـ حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار, قالا: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا أبي, قال: سمعت يحيى بن أيوب, يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب, عن مرثد بن عبد الله, عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار, قال: سمع كعب الأحبار رجلاً يقرأ: قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ فقال: والذي نفس كعب بيده, إن هذا لأوّل شيء في التوراة «بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ».
11089ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن سعيد بن مسروق, عن رجل, عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل: هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات: قُلْ تَعَالَوا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسحاق الرازي, عن أبي سنان, عن عمرو بن مرّة, قال: قال الربيع: ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لم يقل خاتمها. فقرأ هذه الآيات: قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ.
11090ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن إبراهيم, عن علقمة, قال: جاء إليه نفر فقالوا: قد جالست أصحاب محمد فحدّثنا عن الوحي فقرأ عليهم هذه الآيات من الأنعام: قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فما عندنا وحي غيره.
11091ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قال: هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن.
11092ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا قال: قولوا الحقّ.

الآية : 153

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُواْ السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله: قُلْ تَعَالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ وأمركم بالوفاء به, هو صراطه, يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده. مُسْتَقِيما يعني: قويما لا اعوجاج به عن الحقّ. فاتّبِعُوهُ يقول: فاعملوا به, واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه. وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ يقول: ولا تسلكوا طريقا سواه, ولا تركبوا منهجا غيره, ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل, فإنها بدع وضلالات. فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يقول: فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طلاق ولا أديان, اتباعكم عن سبيله, يعني: عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه, وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم. ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم: إنّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيما فاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ وصاكم به لعلكم تتقون, يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها, وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحلّ بكم نقمته وعذابه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11093ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ قال: البدع والشبهات.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ: البدع والشبهات.

11094ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ, وقوله: وأقِيمُوا الدّينَ وَلا تَتَفَرّقُوا فِيهِ ونحو هذا في القرآن, قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة, وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

11095ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ولاَ تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يقول: لا تتبعوا الضلالات.

11096ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا حماد, عن عاصم, عن أبي وائل, عن عبد الله, قال: خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطًّا, فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللّهِ» ثم خطّ عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطا, فقال: «هَذِهِ سُبُلٌ على كُلّ سَبِيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُوا إلَيْها». ثم قرأ هذه الآية: وأنّ هَذَا صِرَاطي مُسْتَقِيما فاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ.

11097ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَأنّ هَذَا صِرَاطي مُسْتَقِيما فاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ: الإسلام, وصراطه: الإسلام. نهاهم أن يتبعوا السبل سواه, فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ: عن الإسلام.

11098ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن أبان: أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه, وطرفه في الجنة, وعن يمينه جوادّ, وعن يساره جوادّ, وثمّ رجال يدعون من مرّ بهم, فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار, ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة. ثم قرأ ابن مسعود: وَأن هَذَا صِرَاطي مُسْتَقِيما... الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَأنّ هَذَا صِرَاطي مُسْتَقِيما فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: وأنّ بفتح الألف من «أن», وتشديد النون, ردّا على قوله: أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا بمعنى: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا, وأن هذا صراطي مستقيما. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: «وَإنّ» بكسر الألف من «إن», وتشديد النون منها على الابتداء وانقطاعها عن الأول, إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار وعوامّ المسلمين صحيح معنياهما, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فهو مصيب الحقّ في قراءته. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله, كما أمر عباده بالأشياء. وإن أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ وما أمركم به, ففتح على ذلك «أن» فمصيب. وإن كسرها إذ كانت «التلاوة» قولاً وإن كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله: «أتل», وهو يريد إعمال ذلك فيه فمصيب. وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأوّل «والتلاوة», وأن ما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك, فمصيب. وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحاق البصريّ: «وأنْ» بفتح الألف من «أن», وتخفيف النون منها, بمعنى: قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا, وأن هذا صراطي فخففها إذ كانت «أن» في قوله: أنْ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا مخففة, وكانت «أن» في قوله: وأنّ هَذَا صِرَاطي معطوفة عليها, فجعلها نظيرة ما عطفت عليه. وذلك وإن كان مذهبا, فلا أحبّ القراءة به لشذوذها عن قراءة قرّاء الأمصار وخلاف ما هم عليه في أمصارهم.

الآية : 154

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لّكُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لّعَلّهُمْ بِلِقَآءِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ثُمّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ ثم قل بعد ذلك يا محمد: آتى ربك موسى الكتاب. فترك ذكر «قل», إذ كان قد تقدم في أوّل القصة ما يدلّ على أنه مراد فيها, وذلك قوله: قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرّمَ رَبّكُمْ عَلَيْكُمْ فقصّ ما حرّم عليهم وأحلّ, ثم قال: ثم قل: آتينا موسى, فحذف «قل» لدلالة قوله: «قل» عليه, وأنه مراد في الكلام.

وإنما قلنا ذلك مراد في الكلام, لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا شكّ أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه, ومعلوم أن موسى أوتي الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه, و«ثم» في كلام العرب حرف يدلّ على أنه ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله: تَماما على الّذِي أحْسَنَ فقال بعضهم: معناه: تماما على المحسنين. ذكر من قال ذلك:

11099ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: تماما على الّذِي أحْسَنَ قال: على المؤمنين.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن نجيح, عن مجاهد: تَماما على الّذي أحْسَنَ المؤمنين والمحسنين.

وكأن مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده.

فإن قال قائل: فكيف جاز أن يقال: على الّذِي أحْسَنَ فيوحد «الذي», والتأويل على الذين أحسنوا؟ قيل: إن العرب تفعل ذلك خاصة في الذي وفي الألف واللام إذا أرادت به الكلّ والجميع, كما قال جلّ ثناؤه: وَالعَصْرِ إنّ الإنْسانَ لَفي خُسْرٍ وكما قالوا: أكثر الذي هم فيه في أيدي الناس. وقد ذُكِر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك: «تَماما على الّذِينَ أحْسَنُوا» وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد. وإذا كان المعنى كذلك, كان قوله: «أحْسَنَ» فعلاً ماضيا, فيكون نصبه لذلك. وقد يجوز أن يكون «أحسن» في موضع خفض, غير أنه نصب, إذ كان «أفعل», و«أفعل» لا يجرى في كلامها. فإن قيل: فبأيّ شيء خفض؟ قيل: ردّا على «الذي» إذ لم يظهر له ما يرفعه. فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي هو أحسن, ثم حذف «هو», وجاور «أحسن» «الذي», فعرف بتعريفه, إذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه, «والذي» مثله, كما تقول العرب: مررت بالذي خير منك وشرّ منك, وكما قال الراجز:

إنّ الزّبَيْرِيّ الّذِي مِثْلُ الحَلَمْمَسّى بأسْلابِكُمْ أهْلَ العَلَمْ

فأتبع «مثل» «الذي» في الإعراب. ومن قال ذلك لم يقل: مررت بالذي عالم, لأن «عالما» نكرة «والذي» معرفة, ولا تتبع نكرة معرفة.

وقال آخرون: معنى ذلك: تماما على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه. ذكر من قال ذلك:

11100ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع: ثُمّ آتَيْنا مُوسَى الكَتابَ تَمَاما على الّذِين أحْسَنَ فيما أعطاه الله.

11101ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ثُمّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ تَمَاما على الّذِي أحْسَنَ قال: من أحسن في الدنيا تمم الله له ذلك في الآخرة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ثُمّ آتَيْنا مُوسى الكِتابَ تَمَاما على الّذِي أحْسَنَ يقول: من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامته الله في الآخرة.

وعلى هذا التأويل الذي تأوّله الربيع تماما على ما أحسن موسى, أي آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة تماما على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته.

وقال آخرون في ذلك: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماما على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم. ذكر من قال ذلك:

11102ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ثُمّ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ تمَاما على الّذِي أحْسَنَ قال: تماما من الله وإحسانه الذي أحسن إليهم وهداهم للإسلام, وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليه وإحسانه.

«وأحسن» على هذا التأويل أيضا في موضع نصب على أنه فعل ماض. «والذي» على هذا القول والقول الذي قاله الربيع بمعنى: «ما». وذكر عن يحيى بن يعمُر أنه كان يقرأ ذلك: «تَمَاما على الّذِي أحْسَنُ» رفعا, بتأويل: على الذي هو أحسن.

11103ـ حدثني بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا الحجاج, عن هارون, عن أبي عمرو بن العلاء, عن يحيى بن يعمُر.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وإن كان لها في العربية وجه صحيح, لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام, وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة, فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة. ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام: ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسنّا, أو: ثم آتى الله موسى الكتاب تماما على الذي أحسن. وفي وصفه جلّ ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله: «أحسن», إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين, الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد. وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه «الذي» إلى معنى الجميع فلا دليل في الكلام يدلّ على صحة ما قال من ذلك, بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه. وإذا تنوزع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر, إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنىّ به غير ذلك.

وأما قوله: وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ فإنه يعني: وتبيينا لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به.

فتأويل الكلام إذن: ثم آتينا موسى التوراة تماما لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله, تتمّ به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه, وتبيينا لكلّ ما لقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم. كما:

11104ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَتَفْصِيلاً لِكُلّ شَيْءٍ فيه حلاله وحرامه.

القول في تأويل قوله تعالى: وَهُدًى وَرَحمَةً لَعَلّهُمْ بِلِقاءِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلاً لكلّ شيء. وَهُدًى يعني بقوله «وهدى»: تقويما لهم على الطريق المستقيم, وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا. وَرَحْمَةً يقول: ورحمة منا بهم, ورأفة, لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة.

وأما قوله: لَعَلّهُمْ بِلِقَاءِ رَبّهِمْ يُؤْمِنُونَ فإنه يعني: إيتائي موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على إحسان موسى, وتفصيلاً لشرائع دينه, وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالاّ, لينجيه الله به من الضلالة, وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه, فيرتدع عما هو عليه مقيم

من الكفر به, وبلقائه بعد مماته, فيطيع ربه, ويصدّق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم.

الآية : 155

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتّبِعُوهُ وَاتّقُواْ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَهَذا كِتابٌ أنْزَلْناهُ مُبارَكٌ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. كتاب أنزلناه مبارك. فاتّبِعُوهُ يقول: فاجعلوه إماما تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس. وَاتّقُوا يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه, وتتعدّوا حدوده, وتستحلوا محارمه. كما:

11105ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهَذَا كِتابٌ أنْزَلْناهُ مُبارَكٌ وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام. فاتّبِعُوهُ يقول: فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه.

وقوله: لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: لترحموا فتنّجوا من عذاب الله وأليم عقابه.

الآية : 156

القول في تأويل قوله تعالى: {أَن تَقُولُوَاْ إِنّمَآ أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىَ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ }.

اختلف أهل العربية في العامل في «أن» التي في قوله: أنْ تَقُولُوا وفي معنى هذا الكلام, فقال بعض نحوّيي البصرة: معنى ذلك: ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن كراهية أن تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: بل ذلك في موضع نصب بفعل مضمر, قال: ومعنى الكلام: فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا أن تقولوا. قال: ومثله بقول الله أن تَحْبَطَ أعْمَالُكُمْ وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ.

وقال آخرون منهم: هو في موضع نصب. قال: ونصبه من مكانين, أحدهما «أنزلناه لئلا يقول: إنما أنزل الكتاب على». والآخر من قوله: اتّقوا قال: ولا يصلح في موضع أن كقوله: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نصب «أن» لتعلقها بالإنزال, لأن معنى الكلام: وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا. فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله, وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد, لئلا يقول المشركون: لم ينزل علينا كتاب فنتبعه, ولم نؤمر ولم ننه, فليس علينا حجة فيما نأتي ونذر, إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول, وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا, فإنهما اليهود والنصارى.

وكذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11106ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: أنْ تَقُولُوا إنّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وهم اليهود والنصارى.

11107ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أنْ تَقُولُوا إنّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا اليهود والنصارى نخاف أن تقوله قريش.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جريج عن مجاهد: أنْ تَقُولُوا إنّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا قال: اليهود والنصارى قال: أن تقول قريش.

11108ـ حدثنا بشر,قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أنْ تَقُولُوا إنّما أُنْزِلَ الكِتابُ على طائفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وهم اليهود والنصارى.
11109ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا أما الطائفتان: فاليهود والنصارى.
وأما وَإنْ كُنّا عَنْ دِرَاستِهِمْ لغَافِلِينَ فإنه يعني: أن تقولوا: وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذي أنزلت عليهم غافلين, لا ندري ما هي, ولا نعلم ما يقرءون وما يقولون وما أنزل إليهم في كتابهم, لأنهم كانوا أهله دوننا, ولم نعن به, ولم نؤمر بما فيه, ولا هو بلساننا, فيتخذوا ذلك حجة. فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11110ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: وَإنْ كُنّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغافِلِينَ يقول: وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين.
11111ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَإنْ كُنّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغافِلِينَ أي عن قراءتهم.
11112ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنْ كُنّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغافِلِينَ قال: الدراسة: القراءة والعلم وقرأ: وَدَرَسُوا ما فِيهِ قال: علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة.
11113ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإنْ كُنّا عَنْ دِرَاسَتهمْ لَغافِلينَ يقول: وإن كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هي.

الآية : 157

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنّآ أُنـزِلَ عَلَيْنَـا الْكِتَـابُ لَكُنّـآ أَهْدَىَ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيّنَةٌ مّن رّبّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَـمُ مِمّـن كَـذّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَـا سُـوَءَ الْعَـذَابِ بِمَـا كَانُواْ يَصْدِفُونَ }.
يقول تعالى ذكره: وهذا كتاب أنزلناه مبارك, لئلا يقول المشـركون مـن عبدة الأوثان من قريش: إنما أنزل الكتاب علـى طـائفتين مـن قبلنـا, أو لئلا يقولوا: لَوْ أنّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكِتابَ كما أنزل علـى هـاتين الطـائفتين مـن قبلنـا, فأمرنا فيه ونهينا, وبَيّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه. لَكُنّا أهْدَى مِنْهُمْ: أي لكنا أشدّ استقامة على طريق الحقّ واتباعـا للكتـاب, وأحسـن عملاً بمـا فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهمـا الكتـاب مـن قبلنـا. يقـول اللـه: فَقَـدْ جاءَكُمْ بَيّنَةٌ مِنْ رَبّكُمْ يقول: فقد جاءكم كتـاب بلسـانكم عربـيّ مـبين, حجـة عليكم واضـحة بينـة مـن ربكـم. وَهُـدًى يقـول: وبيـان للحـقّ, وفرقـان بيـن الصواب والخطأ. وَرَحْمَةً لمن عمل به واتبعه. كما:
11114ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, قال: حدثنا أسباط, عن السدِيّ: أوْ تَقُولُوا لَوْ أنّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكَتابُ لَكُنّا أهدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيّنَةٌ مِنْ رَبّكُمْ يقول: قد جاءكم بينة لسان عربيّ مبين, حيـن لـم تعرفوا دراسة الطائفتين, وحين قلتم: لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم.

11115ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكِتابُ لَكُنّا أَهْدَى مِنْهُمْ فهذا قول كفار العرب, فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: فَمَنْ أظْلَمُ مِمّنْ كَذّبَ بآياتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْها سَنَجزْي الّذِينَ يَصْدِفُونَ.

يقول جلّ ثناؤه: فمن أخطأُ فعلاً وأشدّ عدوانا منكم أيها المشركون, المكذّبون بحجج الله وأدلته وهي آياته. وَصَدَفَ عَنْها يقول: وأعرض عنها بعد ما أتته, فلم يؤمن بها ولم يصدّق بحقيقتها. وأخرج جلّ ثناؤه الخبر بقوله: فَمَنْ أظْلَمُ مِمّنْ كَذّبَ بآياتِ اللّهِ مخرج الخبر عن الغائب, والمعنّى به المخاطبون به من مشركي قريش.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَصَدَفَ عَنْها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11116ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَصَدَفَ عَنْها يقول: أعرض عنها.

11117ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا: يعرضون عنها, والصدف: الإعراض.

11118ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَصَدَفَ عَنْها أعرض عنها, سَنَجْزِي الّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ العَذَابِ بِمَا كانُوا يَصْدِفُونَ أي يعرضون.

11119ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَصَدَفَ عَنْها فصدّ عنها.

وقوله: سَنَجزِي الّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ العَذَابِ يقول: سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرّفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوّة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم سُوءَ العَذَاب يقول: شديد العقاب, وذلك عذاب النار التي أعدّها الله لكفرة خلقه به. بِمَا كانُوا يَصْدِفُونَ يقول: يفعل الله ذلك بهم, جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 158

القول في تأويل قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيَ إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوَاْ إِنّا مُنتَظِرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام, إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم, أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة أوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبّكَ يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل: طلوع الشمس من مغربها. ذكر من قال من أهل التأويل ذلك:

11120ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: إلاّ أنْ تَاتِيَهُمُ المَلائِكَةُ يقول: عند الموت حين توفاهم, أو يأتي ربك ذلك يوم القيامة. أوْ يَأْتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ طلوع الشمس من مغربها.

11121ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ بالموت, أوْ يَأتَي رَبّكَ يوم القيامة, أوْ يأتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: آية موجبة طلوع الشمس من مغربها, أو ما شاء الله.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ يَنْظُرونَ إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ يقول: بالموت, أوْ يَأتيَ رَبّكَ وذلك يوم القيامة, أوْ يَأتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ.

11122ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ عند الموت, أوْ يَأتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ يقول: طلوع الشمس من مغربها.

11123ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: قال عبد الله في قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أوْ يَأتَي رَبّكَ أوْ يَأتَي بعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: يصبحون والشمس والقمر من هنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين. زاد ابن حميد في حديثه: فذلك حين لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانها خَيْرا وقال: كالبعيرين المقترنين.

11124ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ تقبض الأنفس بالموت, أوْ يَأتَي رَبّكَ يوم القيامة, أوْ يَأتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ.

القول في تأويل قوله تعالى: يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْرا.

يقول تعالى ذكره: يوم يأتي بعض آيات ربك, لا ينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية. وقيل: إن تلك الآية التي أخبر الله جلّ ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها: طلوع الشمس من مغربها.

ذكر من قال ذلك وما ذُكِر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

11125ـ حدثني عيسى بن عثمان الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن ابن أبي ليلى, عن عطية, عن أبي سعيد الخدريّ, قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها قال: «طُلُوعُ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن ابن أبي ليلى, عن عطية, عن أبي سعيد, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

11126ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن فضيل, وجرير عن عمارة, عن أبي زرعة, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها» قال: «فإذَا رآها النّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها, فَتِلْكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتِ فِي إيمانِها خَيْرا».

11127ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان اليَشْكريّ وإسحاق بن شاهين, قالا: أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان, عن يونس, عن إبراهيم التيمي, عن أبيه, عن أبي ذرّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: «أتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشّمْسُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنّها تَذْهَبُ إلى مُسْتَقَرّها تَحْتَ العَرْشِ, فَتَخِرّ ساجِدَة, فَلا تَزَالُ كَذلكَ حتى يُقالَ لَهَا ارْتَفِعي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ, فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلَعِها. ثُمّ تَجْرِى إلى أنْ تَنْتَهيَ إلى مُسْتَقَرَ لَهَا تَحْتَ العَرْشِ, فَتَخِرّ ساجِدَةً, فَلا تَزَالُ كَذلكَ حتى يقالَ لَهَا ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلَعِها. ثُمَ تَجْرِى لا يُنْكِرُ النّاسُ مِنْها شَيْئا, حتى تَنْتَهيَ فَتَخِرّ ساجِدَةً فِي مُسْتَقَرّ لَهَا تَحْتَ العَرْشِ, فَيُصْبِحُ النّاسُ لا يُنْكِرُونَ مِنْها شَيْئا, فَيُقال لَهَا: اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَغْرِبها». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتَدْرُونَ أيّ يَوْمٍ ذلكَ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: «ذَاكَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا».

حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا ابن علية, عن يونس, عن إبراهيم بن يزيد التيمي, عن أبيه, عن أبي ذرّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

11128ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبيد الله, عن إسرائيل, عن عاصم, عن زرّ, عن صفوان بن عسال, قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشّمْسِ بابا مَفْتُوحا للتّوْبَةِ حتى تطلع الشمس من نحوه, فإذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

حدثنا المفضل بن إسحاق, قال: حدثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامي, عن أبيه, عن زبيد, عن زرّ بن حبيش, عن صفوان عسال المرادي, قال: ذكرت التوبة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «للتّوْبَةِ بابٌ بالمَغْرِبِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاما أوْ أرْبَعِينَ عاما, فَلايَزَالُ كذلكَ حتى يَأتَى بَعْضُ آياتِ رَبّكَ».

حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا سهل بن عامر, قال: حدثنا مالك, عن عاصم بن أبي النّجود, عن زرّ بن حبيش, عن صفوان بن عسال, أنه قال: «إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما, فإذا طلعت الشمس من مغربها, لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل, أو كسبت في إيمانها خيرا».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن عمارة بن القعقاع, عن أبي زرعة, عن أبي هريرة, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها, فإذَا طَلَعَتْ ورآها النّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها, فَذلك حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن مخلد, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقُوم السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها, فَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِن النّاسُ كُلّهُمْ أجْمَعُونَ, وَذلكَ حِينَ لا يَنْفَعَ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا».

11129ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي عون, عن ابن سيرين, عن أبي هريرة, قال: التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

11130ـ حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ, قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن, قال: حدثنا ابن عياش, قال: حدثنا ضمضم بن زرعة, عن شريح بن عبيد, عن مالك بن يخامر, عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف, وعبد الله بن عمرو بن العاص, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «لا تَزَلُ التّوْبَةُ مَقْبُولَةً حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها, فإذَا طَلَعَتْ طُبِعَ على كُلّ قَلْبٍ بِما فِيهِ, وكُفِيَ النّاسُ العَمَلَ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو أسامة وجعفر بن عون, بنحوه.

11131ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي حيان التيمي, عن أبي زرعة, قال: جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة, فسمعوه وهو يحدّث عن الآيات, أن أوّلها خروجا الدجّالُ. فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو, فحدثوه بذلك, فقال: لم يقل مروان شيئا, قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيئا لم أنسه, لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ أوّلَ الآياتِ خُرُوجا: طُلُوعُ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها, أوْ خُروجُ الدّابّةِ على النّاسِ ضُحًى, أيّتُهُما كانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِها فَالأُخْرَى عَلى أثَرِها قَرِيبا». ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب: أظنّ أوّلهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش, فسجدت واستأذنت في الرجوع, فيؤذن لها في الرجوع, حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش, فسجدت واستأذنت في الرجوع, فلم يردّ عليها شيئا, فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يردّ عليها بشيء, حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب, وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق, قالت: ما أبعد المشرق ربّ من لي بالناس, حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع, فقيل لها: اطلعي من مكانك فتطلع من مغربها. ثم قرأ: يَوْمَ يأتى بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها... إلى آخر الآية.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو ربيعة فهد, قال: حدثنا حماد, عن يحيى بن سعيد أبي حيان, عن الشعبيّ, أن ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم, فذكر نحوه, عن عبد الله بن عمرو.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, قال: سمعت عاصم بن أبي النجود يحدّث عن زرّ بن حبيش, عن صفوان بن عسال, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بالمَغْرِبِ بابا مَفْتُوحا للتّوْبَةِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاما, لا يُغْلَقُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ».

11132ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد, عن حجاج, عن عاصم, عن زرّ بن حبيش, عن صفوان بن عسال, قال: إذا طلعت الشمس من مغربها, فيؤمئذٍ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو ربيعة فهد, قال: حدثنا عاصم بن بهدلة, عن زرّ بن حبيش, قال: غدونا إلى صفوان بن عسال, فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ بابَ التّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ. عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عاما, فَلا يَزَالُ مَفْتُوحا حتى تَطْلُعَ مِنْ قِبَلِهِ الشّمْسُ». ثم قرأ: «هَل يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أوْ يَأتَي رَبّكَ أوْ يأتَي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ... إلى: خَيْرا.
حدثني الربيع بن سليمان, قال: حدثنا شعيب بن الليث, قال: حدثنا الليث, عن جعفر بن ربيعة, عن عبد الرحمن بن هرمز, أنه قال: قال أبو هريرة, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ», قال: «فإذَا طَلَعَتِ الشّمْسُ مِنْ المَغْرِبِ آمَنَ النّاسُ كُلّهُمْ وذلكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا».
11133ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أيوب, عن ابن سيرين, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تابَ قَبْلَ أنْ تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها قُبِلَ مِنْهُ».
11134ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا فهد, قال: حدثنا حماد, عن يونس بن عبيد, عن إبراهيم بن يزيد التيمي, عن أبي ذرّ, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إنّ الشّمْسَ إذَا غَرَبَتْ, أتَتْ تَحْتَ العَرْشِ فَسَجَدَتْ, فَيُقالُ لَهَا: اطلُعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ» ثم قرأ هذه الآية: هَل يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ تَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ... إلى آخر الآية.
11135ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن سفيان بن حسين, عن الحكم, عن إبراهيم التيمي, عن أبيه, عن أبي ذرّ, قال: كنت ردف النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار, فنظر إلى الشمس حين غربت, فقال: «إنّها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ, تَنْطَلِقُ حتى تَخِرّ لِرَبّها ساجِدَةً تَحْتَ العَرْشِ حتى يَأذَنَ لَهَا, فإذَا أرَادَ أنْ يُطْلِعَها مِنْ مَغْرِبها حَبَسَها, فَتَقُولُ: يا رَبّ إنّ مَسِيرِي بَعِيدٌ, فَيَقُولُ لَهَا: اطْلِعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ فذلكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبدة, عن موسى بن المسيب, عن إبراهيم التيمي, عن أبيه, عن أبي ذرّ قال: نظر النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما إلى الشمس فقال: «يُوشِكُ أنْ تَجِيءَ حتى تَقِفَ بينَ يَدَيِ اللّهِ, فَيَقُولُ: ارجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَعِنْدَ ذلكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا».
11136ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانها خَيْرا فهو أنه لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات, وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك.قال ابن عباس: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات, فقال لهم: «يا عِبَادَ الله, تُوبُوا إلى الله فإنّكُمْ تُوشِكُونَ أنْ

تَرَوُا الشّمْسَ مِنْ قَبِل المَغْرِبِ, فإذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ حُبِسَتِ التّوْبَةُ وطُوِيَ العَمَلُ وخُتِمُ الإيمَانُ». فقال الناس: هل لذلك من آية يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن آيَةَ تِلْكُمُ اللّيْلَةَ أنْ تَطُولَ كَقَدْرِ ثَلاثِ لَيالٍ, فَيَسْتَيْقِظُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ فَيُصَلّونَ لَهُ, ثُمّ يَقْضُونَ صَلاَتَهُمْ واللّيْلُ مَكَانَهُ لَمْ يَنْقَضِ, ثمّ يأتُونَ مَضَاجِعَهُمْ فيَنامُونَ, حتى إذا اسْتَيْقَظُوا وَاللّيْلُ مَكانَهُ, فإذَا رأوْا ذلكَ خافُوا أنْ يَكُونَ ذلكَ بينَ يَدَيْ أمْرٍ عَظِيمٍ, فإذَا أصْبَحُوا وَطال عَلَيْهِم طُلُوعُ الشّمْسِ. فَبَيْنا هُمْ يَنْتَظِرُونها إذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ, فإذَا فَعَلَتْ ذَلكَ, لَمْ يَنْفَعْ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ».

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن صالح مولى التوأمة, عن أبي هريرة, أنه سمعه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبها, فإذَا طَلَعَتْ ورآها النّاسُ آمَنُوا كُلّهُمْ أجْمَعُونَ, فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها»... الآية.

11137ـ وبه قال: حدثني حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني بن أبي عتيق, أنه سمع عبيد بن عمير يتلو: يَوْمَ يَأتى بَعْضُ آياته رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها قال: يقول: نتحدّث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها. قال ابن جريج: وأخبرني عمرو بن دينار, أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن أبي مليكة, أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: إن الآية التي لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها إذا طلعت الشمس من مغربها. قال ابن جريج: وقال مجاهد ذلك أيضا.

11138ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شعبة, عن قتادة, عن زرارة بن أوفى, عن ابن مسعود: يَوْمَ يَأتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى, عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

11139ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب بن عوف, عن ابن سيرين, قال: ثني أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود, قال: كان عبد الله بن مسعود يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع: طلوع الشمس من مغربها, ودابة الأرض, والدجال, وخروج يأجوج ومأجوج. والآية التي تختم بها الأعمال: طلوع الشمس من مغربها, ألم تر أن الله قال: يَوْمَ يَأتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا؟ قال: فهي طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: قال عبد الله: يَوْم يأتي بَعْضُ آياتِ ربّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر, كأنهما بعيران مقرونان.

قال شعبة: وحدثنا قتادة, عن زرارة, عن عبد الله بن مسعود: يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله بن مسعود: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور والأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق عن عبد الله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين.

11140ـ وقال: حدثنا أبي, عن إسرائيل وأبيه, عن أشعث بن أبي الشعثاء, عن أبيه, عن عبد الله, قال: التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

11141ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد,, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول: لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها, فإذا رأى الناس ذلك آمنوا, وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا عبد الله بن جعفر, قال: حدثنا العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها, فإذَا طَلَعَتْ آمَنَ النّاسُ كُلّهُم, فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ, أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا».

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عبيد بن عمير: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

11142ـ وقال: حدثنا أبي, عن الحسن بن عقبة أبي كيران, عن الضحاك: يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانها قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرني أشعث ابن أبي الشعثاء, عن أبيه, عن ابن مسعود, في قوله: لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ قال: لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها.

11143ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَوْمَ يأْتِي بَعْضُ آياتُ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

11144ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ يقول: إذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا إيمانها, يقول: طلوع الشمس من مغربها.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, الثوريّ, عن عاصم بن أبي النجود, عن زرّ بن حبيش, عن صفوان بن عسال: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن وهب بن جابر, عن عبد الله بن عمرو: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ قال: طلوع الشمس من مغربها.

وقال آخرون: بل ذلك بعض الآيات الثلاثة: الدابة, ويأجوج ومأجوج, وطلوع الشمس من مغربها. ذكر من قال ذلك:

11145ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن المسعودي, عن القاسم, قال: قال عبد الله: التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: ما لم تطلع الشمس من مغربها, أو الدّابة, أو فتح يأجوج ومأجوج.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَيَة, قال: حدثنا المسعوديّ, عن القاسم بن عبد الرحمن, قال: قال عبد الله: التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: الدابة, وطلوع الشمس من مغربها, وخروج يأجوج ومأجوج.

11146ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن عامر, عن عائشة, قالت: إذا خرج أوّل الآيات طرحت الأقلام, وحبست الحفظة, وشهدت الأجساد على الأعمال.

11147ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أبيه, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ إذَا خَرَجَتْ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا: طُلُوع الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبها, وَالدّجّالُ, وَدَابّةُ الأرْضِ».

11148ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا معاوية بن عبد الكريم, قال: حدثنا الحسن, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادِرُوا بالأعْمالِ سِتّا: طُلُوعَ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبها, وَالدّجّالَ, والدّخانَ, وَدَابّةَ الأرْضِ, وخُوَيّصَةَ أحَدِكُمْ, وأمْرَ العامّةِ».

11149ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يقول, فذكر نحوه.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك, ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ذَلِكَ حِينَ تطلع الشمسُ من مغربها».

وأما قوله: أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله, وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها, لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها, كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدّق بالله ورسله, لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله, فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار, ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدّقا ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل, وكسبه إن اكتسب, لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك. كما:

11150ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ يَوْمَ يأتي بَعْضُ آياتِ رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرا يقول: كسبت في تصديقها خيرا عملاً صالحا, فهؤلاء أهل القبلة. وإن كانت مصدّقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها. وإن عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا, قُبِل منها.

11151ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ

آيات رَبّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانها قال: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك.
القول في تأويل قوله تعالى: قُلِ انْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِرُونَ.
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام: انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت, فتقبض أرواحكم, أو أن يأتي ربك لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة, أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها, فتُطوى صحائف الأعمال, ولا ينفعكم إيمانكم حينئذٍ إن آمنتم, حتى تعلموا حينئذٍ المحقّ منا من المبطل, والمسيء من المحسن, والصادق من الكاذب, وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله, ومَن الناجي منا ومنكم ومَن الهالك, إنا منتظرو ذلك, ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه, وإخلاصنا العبادة له, وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه, ويفصل بيننا وبينكم بالحقّ, وهو خير الفاصلين.

الآية : 159

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ فَرّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمّ يُنَبّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }.
اختلف القرّاء في قراءة قوله: فَرّقُوا فرُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, ما:
11152ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن دينار, أن عليّا رضي الله عنه, قرأ: «إنّ الّذِينَ فارَقُوا دينَهُمْ».
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, قال: قال حمزة الزيات, قرأها عليّ رضي الله عنه: «فارَقُوا دِينَهُمْ».
11153ـ وقال: حدثنا الحسن بن عليّ, عن سفيان, عن قتادة: «فارَقُوا دينَهُمْ».
وكأن عليّا ذهب بقوله: «فارَقُوا دينَهُمْ» خرجوا فارتدّوا عنه من المفارقة.
وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود, كما:
11154ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن رافع, عن زهير, قال: حدثنا أبو إسحاق أن عبد الله كان يقرؤها: فَرّقُوا دينَهُمْ.
وعلى هذه القراءة, أعني قراءة عبد الله, قرّاء المدينة والبصرة وعامة قرّاء الكوفيين. وكأن عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد, وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة, ففرّق ذلك اليهود والنصارى, فتهوّد قوم, وتنصّر آخرون, فجعلوه شيعا متفرّقة.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان, قد قرأتْ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء, وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه. وذلك أن كلّ ضالّ فلدينه مفارق, وقد فرّق الأحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده, فتهوّد بعض, وتنصّر آخرون, وتمجّس بعض, وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرّقين غير مجتمعين, فهم لدين الله الحقّ مفارقون وله مفرّقون فبأيّ ذلك قرأ القارىء فهو للحقّ مصيب, غير أنّي أختار القراءة بالذي عليه عظم القرّاء, وذلك تشديد الراء مِن «فرّقوا».
ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله إنّ الّذِينَ فَرّقوا دِينَهُمْ فقال بعضهم: عني بذلك اليهود والنصارى. ذكر من قال ذلك:
11155ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وكانُوا شِيَعا قال: يهود.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.
11156ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: فَرّقُوا دِينَهُمْ قال: هم اليهود والنصارى.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيعَا من اليهود والنصارى.
11157ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ هؤلاء اليهود والنصارى.
وأما قوله: فَرّقُوا دِينَهُمْ فيقول: تركوا دينهم وكانوا شيعا.
11158ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرّقوا, فلما بعث محمد أنزل الله: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينهمْ وكانُوا شِيعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ.
11159ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا يعني: اليهود والنصارى.
11160ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حسين بن عليّ, عن شيبان, عن قتادة: «فارَقُوا دِينَهُمْ» قال: هم اليهود والنصارى.
وقال آخرون: عُني بذلك: أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه. ذكر من قال ذلك:
11161ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن طاوس, عن أبي هريرة, قال: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُم قال: نزلت هذه الآية في هذه الأمة.
11162ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن ليث, عن طاوس, عن أبي هريرة: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا قال: هم أهل الضلالة.
11163ـ حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: كتب إليّ عباد بن كثير, قال: ثني ليث, عن طاوس, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: «إن الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ وَلَيْسُوا مِنْكَ, هُمْ أهْل البِدَعِ وأهْلُ الشُّبُهاتِ وأهْلُ الضّلالَةِ مِنْ هَذِهِ الأمّة».
والصواب من القول في ذلكّ عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برىء ممن فارق دينه الحقّ, وفرّقه, وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا, وأنه ليس منهم ولاهم منه لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام دين إبراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول: قُلْ إنّنِي هدانِي رَبّي إلى صراطٍ مستقيم دِينا قيمَا مِلّةَ إبرَاهيمَ حَنيفا ومَا كانَ مِنَ المشرِكِينَ فكان من فارق دينه الّذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنيّ ويهوديّ ونصرانيّ ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم, ملة إبراهيم المسلم, فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه بريء, وهو داخل في عموم قوله: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ.

وأما قوله: لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنّمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: نزلت هذه الآية على نبيّ الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم, ثم نسخها الأمر بقتالهم في سورة براءة, وذلك قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ. ذكر من قال ذلك:

11164ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قوله: لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنّمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ لم يؤمر بقتالهم, ثم نسخت, فأمر بقتالهم في سورة براءة.

وقال آخرون: بل نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم إعلاما من الله له أن من أمته من يحدث بعده في دينه وليست بمنسوخة, لأنها خبر لا أمر, والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي. ذكر من قال ذلك:

11165ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا مالك بن مغول, عن عليّ بن الأقمر, عن أبي الأحوص, أنه تلا هذه الآية: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ثم يقول: بريء نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم.

11166ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي وابن إدريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم, عن مالك بن مغول, بنحوه.

11167ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا شجاع أبو بدر, عن عمرو بن قيس الملأ, قال: قالت أمّ سلمة: ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ثم قرأت: إنّ الّذِينَ فَرّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ قال عمرو بن قيس: قالها مرّة الطيب وتلا هذه الآية.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوله: لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء, ومن الأحزاب من مشركي قومه ومن اليهود والنصارى. وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم, لأنه غير محال أن في الكلام: لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم, فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضّل على من شاء منهم, فيتوب عليه, ويهلك من أراد إهلاكه مهم كافرا, فيقبض روحه, أو يقتله بيدك على كفره, ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه. وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم, وقوله: لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنّمَا أمْرُهُمْ إلى اللّهِ ولم يكن في الآية دليل واضح على أنها منسوخة ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ, كان غير جائز أن يقضي عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بيّنا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة في كتابنا كتاب «اللطيف عن أصول الأحكام».

وأما قوله: إنمَا أمْرُهُمْ لي اللّهِ فإنه يقول: أنا الذي إليّ أمر هؤلاء المشركين فارقوا دينهم وكانوا شيعا, والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك, دونك ودون كل أحد إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها, وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم. ثُمّ يُنَبّئُهُمْ بما كَانُوا يَفْعَلُونَ يقول: ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم عليّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون فأجازي كلاّ منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون, المحسن منهم بالإحسان والمسيء بالإساءة. ثم أخبر جلّ ثناؤه ما مبلغ

جزائه مَن جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة, فقال: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ فَلا يُجْزَي إلاّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

الآية : 160

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسّيّئَةِ فَلاَ يُجْزَىَ إِلاّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته, وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله, فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها. ويعني بقوله: فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ يقول: ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحقّ والكفر بالله, فلا يُجْزَى إلا ما ساءه من الجزاء, كما وافى الله به من عمله السيىء. وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول: ولا يظلم الله الفريقين: لا فريق الإحسان, ولا فريق الإساءة, بأن يجازي المحسن بالإساءة والمسيء بالإحسان ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له, لأنه جلّ ثناؤه حكيم لا يضع شيئا إلا في موضعه الذي يستحقّ أن يضعه فيه, ولا يجازي أحدا إلا بما يستحقّ من الجزاء.

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة في هذا الموضع الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والتصديق برسوله, والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله, فللإيمان أمثال فيجازَى بها المؤمن, وإن كان له مثل فكيف يجازَي به, والإيمان إنما هو عندك قول وعمل, والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة في الآخرة, والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم في دار الخلود, وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذّ بها, لا قول يُسمع ولا كسب جوارح؟ قيل: إن معنى ذلك غير الذي ذهبت إليه, وإنما معناه: من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا, فإن له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها.

فإن قلت: فهل لقول لا إله إلا الله من الحسنات مثل؟ قيل: له مثل هو غيره, وليس له مثل هو قول لا إله إلا الله, وذلك هو الذي وعد الله جلّ ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله, وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك, إلا أن لا يجازي صاحبها عليها إلا ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11168ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر بن أبي المُغيرة, عن سعيد بن جبير, قال: لما نزلت: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْر أمثالِهَا قال رجل من القول: فإن «لا إله إلا الله» حسنة؟ قال: نعم, أفضل الحسنات.

11169ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن الأعمش والحسن بن عبيد الله, عن جامع بن شدّاد, عن الأسود بن هلال, عن عبد الله: مَن جاءَ بالحَسَنةِ لا إله إلا الله.

11170ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا حفص, قال: حدثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله, عن جامع بن شدّاد, عن الأسود بن هلال, عن عبد

الله, قال: مَنْ جاءَ بالحَسَنةِ قال: من جاء بلا إله إلا الله, قال: وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن فضيل, عن الحسن بن عبيد الله, عن جامع بن شدّاد, عن الأسود بن هلال, عن عبد الله: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله.
11171ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا معاوية بن عمرو, والمعنى عن زائدة, عن عاصم, عن شقيق: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
11172ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, وعن عثمان بن الأسود, عن مجاهد والقاسم بن أبي بزّة: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قالوا: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قالوا: بالشرك وبالكفر.
11173ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير وابن فضيل, عن عبد الملك, عن عطاء: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
11174ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير وابن فضيل, عن عبد الملك, عن عطاء: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
11175ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا قال: لا إله إلا الله.
11176ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي المحجّل, عن إبراهيم: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا سفيان, عن أبي المحجل, عن أبي معشر, عن إبراهيم, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي المحجل, عن إبراهيم, مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن أبي المحجل, عن أبي معشر, قال: كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثني, أن مَن جاءَ بالحَسَنَةِ لا إله إلا الله, وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ من جاء بالشرك.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبد الملك, عن عطاء, في قوله: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله. وَمَن جاءَ بالسّيّئَةِ قال: بالشرك.
11177ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, وحدثنا المثنى بن إبراهيم, قال: حدثنا أبو نعيم جميعا, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي صالح: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
11178ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير, عن عثمان بن الأسود, عن القاسم بن أبي بزّة: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: كلمة الإخلاص. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الكفر.
11179ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة, عن الضحاك: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله.

11180ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن أشعث, عن الحسن: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله.
11181ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ قال: لا إله إلا الله.
11182ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد, مثله.
11183ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ يقول: من جاء بلا إله إلا الله. وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ قال: الشرك.
11184ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا, وَمَنْ جاءَ بالسّيّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الأعْمالُ سِتّةٌ: مُوجِبَةٌ وَمُوجِبَةٌ, وَمُضَعّفَةٌ وَمُضَعّفَةٌ, وَمِثْلٌ وَمِثْلٌ. فأمّا المُوجِبَتانِ: فَمَنْ لَقِيَ اللّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الجَنّةَ, وَمَنْ لَقَيَ اللّهَ مُشْرِكا بِهِ دَخَلَ النّارَ وأمّا المُضَعّفُ والمُضَعّفُ: فَنَفَقَةُ المُؤمِنِ فِي سَبِيلِ اللّهِ سَبْعٌ مِئَةِ ضِعْفٍ, وَنَفَقَتُهُ على أهْلِ بَيْتِهِ عَشْرُ أمْثالِهَا. وأمّا مِثْلٌ وَمِثْلٌ: فإذَا هَمّ العَبْدُ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً, وَإذَا هَمّ بِسَيّئةٍ ثُمّ عَمَلَها كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيّئَةً».
11185ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا الأعمش, عن شمر بن عطية, عن شيخ من التيم, عن أبي ذرّ, قال: قلت: يا رسول الله علمني عملاً يقرّبني إلى الجنة ويباعدني من النار قال: «إذَا عَمِلْتَ سَيّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً, فإنّها عَشْرُ أمْثالِهَا». قال: قلت: يا رسول الله, لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال «هيَ أحْسَنُ الحَسَناتِ».
وقال قوم: عُني بهذه الآية: الأعراب فأما المهاجرون, فإن حسناتهم سبع مئة ضعف أو أكثر. ذكر من قال ذلك:
11186ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: حدثنا أبي, عن قتادة, عن أبي الصديق الناجي, عن أبي سعيد الخدريّ, في قوله: مَنْ جاءَ بالحَسَنَة فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا قال: هذه للأعراب, وللمهاجرين سبع مئة.
11187ـ حدثنا محمد بن نشيط بن هارون الحربيّ, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكر, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق. عن عطية العوفي, عن عبد الله بن عمرو, قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا قال: قال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: إنّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرّةٍ وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْرا عَظِيما وإذا قال الله لشيء عظيم, فهو عظيم.
11188ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, قال: نزلت هذه الآية: مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدّون عشر أموالهم, ثم نزلت الفرائض بعد ذلك: صوم رمضان والزكاة.
فإن قال قائل: وكيف قيل عشر أمثالها, فأضيف العشر إلى الأمثال, وهي الأمثال, وهي يضاف الشيء إلى نفسه؟ قيل: أضيفت إليها لأنه مراد بها: فله عشر حسنات أمثالها, فالأمثال حلّت محلّ المفسر, وأضيف العشر

إليها, كما يقال: عندي عشر نسوة, فلأنه أريد بالأمثال مقامها فقيل: عشر أمثالها, فأخرج العشر مخرج عدد الآيات, والمِثْل مذكر لا مؤنث, ولكنها لما وضعت موضع الآيات, وكان المثْل يقع للمذكر والمؤنث, فجعلت خلفا منها, فُعِل بها ما ذكرتُ ومن قال: عندي عشر أمثالها, لم يقل: عندي عشر صالحات, لأن الصالحات فعل لا يعدّ, وإنما تعدّ الأسماء والمِثل اسم, ولذلك جاز العدد به. وقد ذكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك: «فَلَهُ عَشرٌ» بالتنوين «أمْثالُها» بالرفع, وذلك على وجه صحيح في العربية, غير أن القرّاء في الأمصار على خلافها, فلا نستجيز خلافها, فيما هي عليه مجتمعة.

الآية : 161

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّنِي هَدَانِي رَبّيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مّلّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام إنّنِي هَدَانِي رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم, هو دين الله الذي ابتعثه به, وذلك الحنيفية المسلمة, فوفقني له. دِينا قِيَما يقول: مستقيما. ملّةَ إبْرَاهِيمَ يقول: دين إبراهيم. حَنِيفا يقول: مستقيما. وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ يقول: وما كان من المشركين بالله, يعني: إبراهيم صلوات الله عليه, لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: دِينا قِيَما فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين: «دِينا قَيّما» بفتح القاف وتشديد الياء إلحاقا منهم ذلك بقول الله: ذلكَ الدّينُ القَيّمُ وبقوله: ذلكَ دِينُ القَيّمَةِ. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيين: دِينا قِيَما بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها, وقالوا: القَيّمُ والقِيَم بمعنى واحد, وهم لغتان معناهما: الدين المستقيم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار, متفقتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فهو للصواب مصيب, غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إليّ, لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما. ونصب قوله: دِينا على المصدر من معنى قوله: إنّنِي هَدَانِي رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وذلك أن المعنى هداني ربي إلى دين قويم, فاهتديت له دينا قيما, فالدين منصوب من المحذوف الذي هو اهتديت الذي ناب عنه قوله: إنني هَدَاني رَبّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وقال بعض نحويي البصرة: إنما نصب ذلك لأنه لما قال: هَدَانِي رَبي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قد أخبر أنه عرف شيئا, فقال: «دِينا قَيّما» كأنه قال: عرفت دينا قيما ملة إبراهيم. وأما معنى الحنيف, فقد بينته في مكانه في سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 162-163

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوّلُ الْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام, الذين يسألونك أن تتّبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان: إنّ صَلاتِي ونُسُكي يقول: وذبحي. وَمحْيايَ يقول: وحياتي. وَمَماتِي يقول: ووفاتي. لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ يعني أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان. لا شَرِيكَ لَهُ في

شَيْءٍ من ذلك من خلقه, ولا لشيء منهم فيه نصيب, لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصا. وبذلكَ أُمِرْتُ يقول: وبذلك أمرني ربي. وأنا أوّلُ المُسْلِمِينَ يقول: وأنا أوّل من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه, بأن ذلك كذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال: النسك في هذا الموضع: الذبح:

11189ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد: إنّ صَلاتي ونُسُكي قال: النسك: الذبائح في الحجّ والعُمرة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ونُسُكي: ذبيحتي في الحجّ والعُمرة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ونُسُكي: ذبيحتي في الحجّ والعُمرة.

11190ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل, وليس بابن أبي خالد, عن سعيد بن جبير, في قوله: صَلاتِي ونُسُكي قال: ذبحي.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن إسماعيل, عن سعيد بن جبير, في قوله: صَلاتي ونُسُكي قال: ذبيحتي.

11191ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن سفيان, عن إسماعيل بن جبير, قال ابن مهدي: لا أدري من إسماعيل هذا. صَلاتِي ونَسُكي قال: صلاتي وذبيحتي.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: حدثنا الثوريّ, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن سعيد بن جبير, في قوله: صَلاتي ونُسُكي قال: وذبيحتي.

11192ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: ونُسُكي قال ذبحي.

11193ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: ونُسُكي قال: ذبيحتي.

11194ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: صَلاتي ونُسُكي قال: الصلاة: الصلاة, والنسك: الذبح.

وأما قوله: وأنا أوّلُ المُسْلِمِينَ فإن:

11195ـ محمد بن عبد الأعلى حدثنا, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن قتادة وأنا أوّلُ المُسْلِمِينَ قال: أوّل المسلمين من هذه الأمة.

الآية : 164

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبّ كُلّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلّ نَفْسٍ إِلاّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ ثُمّ إِلَىَ رَبّكُمْ مّرْجِعُكُمْ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان, الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: أغيرَ اللّهِ أبْغِي رَبّا يقول: أسِوَى الله أطلب سيّدا يسودني. وَهُوَ رَبّ كُلّ شَيْءٍ يقول: وهو سيد كلّ شيء دونه, ومدبره ومصلحه. وَلا تَكْسِبُ

كُلّ نَفْسٍ إلاّ عَلَيْها يقول: ولا تجترح نفس إثما إلا عليها أي لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها, بل كلّ ذي إثم فهو المعاقَب بإثمه والمأخوذ بذنبه. وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى يقول: ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها, ولكنها تأثم باثمها وعليه تعاقب دون إثم أخرى غيرها. وإنما يعني بذلك المشركين الذين أم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم, يقول: قل لهم: إنا لسنا مأخوذين بآثامكم, وعليكم عقوبة إجرامكم, ولنا جزاء أعمالنا. وهذا كما أمره الله جلّ ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ. وذلك كما:

11196ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قال: كان في ذلك الزمان لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خَلّتين, إحداهما أفضل من صاحبتها: إما أمر ودعاء إلى الحقّ, أو الاعتزال, فلا تشارك أهل الباطل في عملهم, وتؤدّي الفرائض فيما بينك وبين ربك, وتحبّ لله, وتبغض لله, ولا تشارك أحدا في أثم. قال: وقد أنزل في ذلك آية محكمة: قُلْ أغيرَ اللّهِ أبْغِي رَبّا وَهُوَرَبّ كُلّ شَيْءٍ... إلى قوله: فِيهِ تَخْتَلِفُونَ, وفي ذلك قال: وَما تَفَرّقَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمْ البَيّنَةُ.

يقال من الوِزْر: وَزِرَ يَوْزَر, فهو وَزِير, ووُزِرَ يُوْزَر فهو مَوْزُور.

القول في تأويل قوله تعالى: ثُمّ إلَى رَبّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان: كلّ عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره, فاعملوا ما أنتم عاملوه. ثُمّ إلى رَبّكُمْ أيها الناس, مَرْجِعُكُمْ يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم, فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ في الدنيا, تَخْتَلِفُونَ من الأديان والملل, إذ كان بعضكم يدين باليهودية, وبعض بالنصرانية, وبعض بالمجوسية, وبعض بعبادة الأصنام, وادّعاه الشركاء مع الله والأنداد, ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شرّ, فتعلموا حينئذٍ مَن المحسن منا والمسيء.

الآية : 165

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ إِنّ رَبّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنّهُ لَغَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته: والله الّذِي جَعَلَكُمْ أيها الناس خَلائِفَ الأرْضِ بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية, واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض, تخلفونهم فيها, وتعمرونها بعدهم. والخلائف: جمع خليفة, كما الوصائف جمع وصيفة, وهي من قول القائل: خَلَف فلان فلانا في داره يَخْلُفُه فهو خليفة فيها, كما قال الشماخ:

تُصِيبُهُمْ وتُخْطِئنِي المنَاياوأُخْلَفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ

وذلك كما:

11197ـ حدثني الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ قال: أما خلائف الأرض: فأهلك القرون, واستخلفنا فيها بعدهم.

وأما قوله: وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ فإنه يقول: وخالف بين أحوالكم, فجعل بعضكم فوق بعض, بأن ربع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوّله من أسباب الدنيا, وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوّة على هذا الضعيف الواهن القُوَى, فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا. وذلك كالذي:

11198ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ يقول: في الرزق.

وأما قوله: لِيَبْلُوَكُمْ فِيما آتاكُمْ فإنه يعني: ليختبركم فيما خوّلكم من فضله ومنحكم من رزقه, فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي, ومن المؤدّي مما آتاه الحقّ الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه.

القول في تأويل قوله تعالى: إنّ رَبّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإنّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه, ولمن ابتلي منه فيما منحه من فضله وطوْله, توليا وإدبارا عنه, مع إنعامه عليه وتمكينه إياه في الأرض, كما فعل بالقرون السالفة. وَإنّهُ لَغَفُورٌ: وإنه لساتر ذنوب من ابتلي منه إقبالاً إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة, واختباره إياه بأمره ونهيه, فمغطّ عليه فيها وتارك فضيحته بها في موقف الحساب. رَحِيمٌ بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه.

سورة الأعراف

سورة الأعراف مكية
وآياتها ست وَمائتان

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {الَمَصَ }.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى: المص فقال بعضهم: معناه: أنا الله أفضل. ذكر من قال ذلك:

11199ـ حدثنا سفيان, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن عطاء بن السائب, عن أبي الضحى, عن ابن عباس: المص: أنا الله أفضل.

11200ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا القاسم بن سلام, قال: حدثنا عمار بن محمد, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, في قوله: المص: أنا الله أفضل.

وقال آخرون: هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذي هو المصوّر. ذكر من قال ذلك:

11201ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: المص قال: هي هجاء المصوّر.

وقال آخرون: هي اسم من أسماء الله أقسم ربنا به. ذكر من قال ذلك:

11202ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قـوله: المـص قسـم أقسـمه اللـه, وهو من أسماء الله.
وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:
11203ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: المص قال: اسم من أسماء القرآن.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.
وقال آخرون: هي حروف هجاء مقطعة.
وقال آخرون: هي من حساب الجمّل.
وقال آخرون: هي حروف تحوي معاني كثيرة دلّ بها الله خلقه على مراده من ذلك.
وقال آخرون: هي حروف اسم الله الأعظم.
وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه, وتعليـل كـلّ فريـق قـال فيـه قـولاً. وأمـا الصواب من القول عندنا في ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنـى عـن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُـنْ فِـي صَـدْرِكَ حَـرَجٌ مّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىَ لِلْمُؤْمِنِينَ }.
قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد في كتاب أنزله الله إليك. ورفع «الكتاب» بتأويل: هذا كتاب.
القول في تأويل قوله تعالى: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَـرَجٌ منـه. يقـول جـل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يضق صدرك يا محمد من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به, وإبلاغه من أمرتك بابلاغه إياه, ولا تشـكّ فـي أنـه من عندي, واصبر بالمضي لأمر الله واتباع طـاعته فيمـا كلفـك وحَمّلـك مـن عبء أثقال النبوة, كما صبر أولو العزم من الرسل, فإن الله معك. والحرج: هو الضيق في كلام العرب, وقد بينا معنى ذلك بشـواهده وأدلتـه فـي قـوله: ضَيّقا حَرَجا بما أغنى عن إعادته. وقال أهل التأويل في ذلك, ما:
11204ـ حدثني به محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قـال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: فَلا يَكُنْ فِي صَـدْرِكَ حَـرَجٌ مِنْـهُ قال: لا تكن في شك منه.
11205ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول اللـه: فَلا يَكُـنِ فِـي صَـدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ قال: شكّ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
11206ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمـد بـن ثـور, قـال: حـدثنا معمر, عن قتادة: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ: شكّ منه.
حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مثله.
11207ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السّديّ: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْـهُ قـال: أمـا الحـرج: فشكّ.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: سمعت مجاهدا, في قوله: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ قال: شكّ من القرآن.

قال أبو جعفر: وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ما قلنا في الحرج لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به وقلة الإتساع لتوجيهه وجْهته التي هي وجهته الصحيحة. وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق, لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب, كما قد بيناه قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤمِنِينَ.

يعني بذلك تعالى ذكره: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بإنذاره, وذِكْرى للمُؤْمِنِينَ وهو من المؤخّر الذي معناه التقديم, ومعناه: كتاب أنزل ليك لتنذر به, وذكرى للمؤمنين, فلا يكن في صدرك حرج منه. وإذا كان معناه كان موضع قوله: وَذِكْرَى نصبا بمعنى: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به, وتذكّر به المؤمنين. ولو قيل: معنى ذلك: هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكّر به المؤمنين, كان قولاً غير مدفوعة صحته. وإذا وجه معنى الكلام إلى هذا الوجه كان في قوله: وَذِكْرَى من الإعراب وجهان: أحدهما النصب بالردّ على موضع لتنذر به, والآخر الرفع عطفا على الكتاب, كأنه قيل: المص كتاب أنزل إليك وذكرى للمؤمنين.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {اتّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مّن رّبّكُمْ وَلاَ تَتّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلاً مّا تَذَكّرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى, واعملوا بما أمركم به ربكم, ولاَ تَتّبِعُوا شيئا مِنْ دُونهِ يعني: شيئا غير ما أنزل إليكم ربكم, يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان, فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم.

فإن قال قائل: وكيف قلت: معنى الكلام قل اتبعوا, وليس في الكلام موجودا ذكر القول؟ قيل: إنه وإن لم يكن مذكورا صريحا, فإن في الكلام دلالة عليه, وذلك قوله: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ, ففي قوله: «لِتُنْذِرَ بِهِ» الأمر بالإنذار, وفي الأمر بالإنذار الأمر بالقول لأن الإنذار قول. فكان معنى الكلام: أنذر القوم وقل لهم: اتبعوا ما أنزل إليكم, كان غير مدفوع. وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله: اتّبِعُوا خط اب النبيّ صلى الله عليه وسلم, ومعناه: كتاب أنزل إليك, فلا يكن في صدرك حرج منه, اتبع ما أنزل إليك من ربك. ويرى أن ذلك نظير قول الله: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ إذ ابتدأ خطاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, ثم جعل الفعل للجميع, إذ كان أمْرُ الله نبيه بأمر أمرا منه لجميع أمته, كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته: أما تتقون الله؟ أما تستحيون من الله؟ ونحو ذلك من الكلام. وذلك وإن كان وجها غير مدفوع, فالقول الذي اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذي وصفنا عليه.

وقوله: قَليلاً ما تَذَكّرُونَ يقـول: قليلاً مـا تتعظـون وتعتـبرون, فـتراجعون الحق.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَم مّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتـاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: حذّر هؤلاء العابدين غيري والعادلين بي الآلهة والأوثان سخطي, لأحلّ بهم عقوبتي فأهلكهم كمـا أهلكتُ من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم, فكثيرا ما أهلكت قبلهم مـن أهـل قرًى عصوني وكذّبوا رسلي وعبدوا غيري. فجاءَها بأسُنا بَياتا يقول: فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا, أوجاءتهم قائلين, يعني نهارا فـي وقـت القائلة. وقيل: «وكم» لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عـن كـثرة مـا قد أصاب الأمم السالفة من المثلاث بتكذيبهم رسله وخلافهم عليـه, وكـذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد, كما قال الفرزدق:

كَمْ عَمّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وخالَةٍفَدْعاءَ قدْ حَلَبَتْ عَليّ عِشارِي

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره إنما أخبر أنه أهلك قرى, فما في خبره عن إهلاكه القرى من الدليل على إهلاكـه أهلهـا؟ قيـل: إن القـرى لا تسـمى قرى ولا القرية قرية إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم, ففي إهلاكها مـن فيها من أهلها. وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخـرج الخـبر عن القرية, والمراد به أهلها. والـذي قلنـا فـي ذلـك أولـى بـالحقّ لمـوافقته ظاهر التنزيل المتلوّ.

فإن قال قائل: وكيف قيل: وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أهْلَكْناها فَجاءَها بأْسُنا بَيَاتا أوْ هُمْ قائِلُونَ وهل هلكت قرية إلا بمجيء بأس اللـه وحلـول نقمتـه وسـخطه بهـا؟ فكيف قيل «أهلكناها فجاءها» وإن كان مجيء بأس اللـه إياهـا بعـد هلاكهـا؟ فما وجه مجيء ذلك قوما قـد هلكـوا وبـادوا ولا يشـعرون بمـا ينـزل بهـم ولا بمساكنهم؟ قيل: إن لذلك من التأويل وجهين كلاهما صـحيح واضـح منهجـه: أحدهما أن يكون معناه: وكم من قرية أهلكناها بخـذلاننا إياهـا عـن اتبـاع مـا أنزلنا إليها من البينات والهـدى واختيارهـا اتبـاع أمـر أوليائهـا, المُغويهـا عـن طاعة ربها, فجاءها بأسنا إذ فعلت ذلـك بياتـا, أو هـم قـائلون. فيكـون إهلاك الله إياها: خـذلانه لهـا عـن طـاعته, ويكـون مجيـء بـأس اللـه إيـاهم جـزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم. والآخـر منهمـا: أن يكـون الإهلاك هـو البـأس بعينه. فيكون في ذكر الإهلاك الدلالـة علـى ذكـر مجيـء البـأس, وفـي ذكـر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك. وإذا كان ذلك كذلك, كان سـواء عنـد العرب بُدىء بالإهلاك ثم عطف عليـه بالبـأس, أو بـديء بالبـأس ثـم عطـف عليه بالإهلاك, وذلك كقولهم: زرتني فأكرمتني إذّ كانت الزيارة هي الكرامة, فسواء عندهم قدّم الزيـارة وأخّـر الكرامـة, أو قـدّم الكرامـة وأخّـر الزيـارة فقـال: أكرمتنـي فزرتنـي. وكـان بعـض أهـل العربيـة يزعـم أن فـي الكلام محذوفا, لولا ذلك لم يكن الكلام صـحيحا, وأن معنـى ذلـك: وكـم مـن قريـة أهلكناها, فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا. وهذا قول لا دلالة على صـحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجـب التسـليم لـه, وإذا خلا القـول مـن دلالـة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها كان بيّنا فساده.

وقال آخر منهم أيضا: معنى الفاء في هذا الموضع معنى الواو, وقال: تأويل الكلام: وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتا. وهذا قـول لا معنـى لـه, إذ

كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام, فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ما وجد إلى ذلك سبيل أولى من صرفها إلى غيره.

فإن قال: كيف قيل: فجاءَها بأسُنا بَياتا أوْ هُمْ قائِلُون, وقد علمت أن الأغلب من شأن «أو» في الكلام اجتلاب الشكّ, وغير جائز أن يكون في خبر الله شك؟ قيل: إن تأويل ذلك خلاف ما إليه ذهبتَ, وإنما معنى الكلام: وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا, وبعضها وهم قائلون. ولو جعل مكان «أو» في هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال, ولصار الأغلب من معنى الكلام: إن القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بياتا, وفي وقت القائلة وذلك خبر عن البأس أنه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فني, وذلك من الكلام خُلْف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التزيل, إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بياتا من القرى التي جاءها ذلك قائلة, ولو فصلت لم يخبر عنها إلا بالواو. وقيل: «فجاءها بأسُنا» خبرا عن القرية أن البأس أتاها, وأجرى الكلام على ما ابتدىء به في أوّل الآية ولو قيل: فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا ردّا للكلام إلى معناه, إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها, وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحوٌ من الذي نال سكانها. وقد رجع في قوله: أوْ هُمْ قائِلُونَ إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وإن كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها. ولو قيل: «أو هي قائلة» كان صحيحا إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام.

فإن قال قائل: أو ليس قوله: أوْ هُمْ قائِلُونَ خبرا عن الوقت الذي أتاهم فيه بأس الله من النهار؟ قيل: بلى. فإن قال: أو ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت؟ قيل: إن ذلك وإن كان كذلك, فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالاً للجمع بين حرفي عطف, إذ كان «أو» عندهم من حروف العطف, وكذلك الواو, فيقولون: لقيتني مملقا أو أنا مسافر, بمعنى: أو وأنا مسافر, فيحذفون الواو وهم مريدوها في الكلام لما وصفت.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَآ إِلاّ أَن قَالُوَاْ إِنّا كُنّا ظَالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها إذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا أو هم قائلون, إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ولأمره ونهيه مخالفين. وعنى بقوله جلّ ثناؤه: دَعْواهُمْ في هذا الموضع دعاءهم. وللدعوى في كلام العرب وجهان: أحدهما الدعاء والآخر الادّعاء للحقّ. ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى: فَمَا زَالَتْ تِلكَ دَعْوَاهُمْ ومنه قول الشاعر:

وَإنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفيبدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِها فَيَهُونُ

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن البأس والبأساء: الشدّة, بشواهد ذلك الدالة على صحته, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أنْفُسِهِمْ». وقد تأوّل ذلك كذلك بعضهم.

11208ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن أبي سنان, عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد, قال: قال عبد الله بن مسعود, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أنْفُسِهِمْ» قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: فَمَا كانَ دَعْـوَاهُمْ إذْ جـاءَهُمْ بأسُـنا... الآية

فإن قال قائل: وكيف قيل: فَمَا كانَ دَعْوَاهُمْ إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا إلاّ أنْ قالُوا إنّا كُنّا ظالِمِينَ وكيف أمكنتهم الـدعوى بـذلك وقـد جـاءهم بـأس اللـه بـالهلاك, أقالوا ذلك قبل الهلاك؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك, فإنهم قالوا قبل مجيـء البأس, والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك, أو قالوه بعد مـا جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها, فكيف يجوز وصـفهم بقيـل ذلـك إذا عـاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة اللـه؟ قيـل: ليـس كـل الأمم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوّله وآخره مهـل, بـل كـان منهـم مـن غرق بالطوفان, فكان بين أوّل ظهور السبب الذي علمـوا أنهـم بـه هـالكون وبين آخره الذي عمّ جميعهم هلاكه المـدّة الـتي لا خفـاء بهـا علـى ذي عقـل ومنهم من متع بالحياة بعـد ظهـور علامـة الهلاك لأعينهـم أيامـا ثلاثـة, كقـوم صالح وأشباههم, فحينئذٍ لما عاينوا أوائل بأس اللـه الـذي كـانت رسـل اللـه تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نـزول سـطوة اللـه بهـم, دعـوا: يـا وَيْلَنـا إنّـا كُنّـا ظالِمِين فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم, فحذّر ربنا جلّ ثنـاؤه الـذين أرسـل إليهـم نـبيه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله, ما حلّ بمن كان قبلهم من الأمم, إذ عصوا رسله واتبعوا أمر كلّ جبار عنيد.

الآية : 6

القول في تأويـل قـوله تعـالى: {فَلَنَسْـأَلَنّ الّـذِينَ أُرْسِـلَ إِلَيْهِـمْ وَلَنَسْـأَلَنّ الْمُرْسَلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: لنسألنّ الأمم الذين أرسلت إليهم رسلي ماذا عملـت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي, هل عملوا بما أمرتهم بـه وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمري, أم عصوني, فخالفوا ذلك؟ وَلَنَسْـأَلَنّ المُرْسَلِينَ يقول: ولنسألنّ الرسل الـذين أرسـلتهم إلـى الأمـم, هـل بلغتهـم رسالاتي وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليه, أم قصّروا في ذلك ففرّطـوا ولـم يبلغوهم؟.

وكذلك كان أهل التأويل يتأوّلونه. ذكر من قال ذلك:

11209ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاويـة بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابـن عبـاس, قـوله: فَلَنَسْـأَلَنّ الّـذِينَ أُرْسِـلَ إِلَيْهِـمْ وَلَنَسـأَلَنّ المُرْسَـلِينَ قـال: يسـأل اللـه النـاس عمـا أجـابوا المرسلين, ويسأل المرسلين عما بلغوا.

11210ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قـوله: فَلَنَسـأَلَنَ الّـذِينَ أُرْسِـلَ إِلَيْهِـمْ... إلـى قوله: غائِبِينَ قال: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون.

11211ـ حدثني محمد بن الحسين, قلا: حدثنا أحمد بـن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَلَنَسْأَلَنّ الّذِينَ ارْسِلَ إلَيْهِمْ وَلَنَسْـأَلَنّ المُرْسَـلِينَ

يقول فلنسألن الأمم ما عملوا فيما جاءت به الرسل, ولنسـألنّ الرسـل هـل بّلغوا ما أرسلوا به.

11212ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبـد العزيـز, قـال: حـدثنا أبـو سـعد المدني, قال: قال مجاهـد: فَلَنَسْـأَلَنّ الّـذِينَ أُرْسِـلَ إلَيْهِـمْ الأمـم, ولنسـألنّ الذين أرسلنا إليهم عما ائتمناهم عليه, هل بّلغوا.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَنَقُصّنّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنّا غَآئِبِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فلنخبرنّ الرسل ومن أرسلتهم إليـه بيقيـن علـم بمـا عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به, وما كنت نهيتهم عنه, ومـا كنـا غـائبين عنهم وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها.

فإن قال قائل: وكيف يسأل الرسل والمرسل إليهم, وهو يخبر أنـه يقـصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك؟ قيل: إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ولا مسألة تعرّف منهم ما هو به غير عالم, وإنما هو مسألة توبيخ وتقريـر معناهـا الخـبر, كمـا يقـول الرجـل للرجـل: ألـم أحسـن إليـك فأسأت؟ وألم أصلك فقطعت؟ فكذلك مسألة الله المرسل إليهم بأن يقــول لهم: ألـم يـأتكم رسـلي بالبينـات؟ ألـم أبعـث إليكـم النـذر فتنـذركم عـذابي وعقابي في هذا اليوم من كفر بي وعبد غيري؟ كما أبر جـلّ ثنـاؤه أنـه قائـل لهم يومئذٍ: أَلَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ ألاّ تَعْبُدُوا الشّيْطانَ إنّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِـينٌ وأنِ اعْبُدونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ونحو ذلك من القول الذي ظاهره مسـألة, ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتقرير. وأما مسألة الرسل الـذي هـو قصص وخبر, فإن الأمم المشركة لما سئلت في القيامة قيل لها: أَلَمْ يَـأتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبّكُمْ أنكر ذلك كثير منهم وقالوا: ما جاءنـامن بشير ولا نذير, فقيل للرسل: هل بلّغتـم مـا أرْسـلتم بـه؟ أو قيـل لهـم: ألـم تبّلغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به؟ كما جاء الخـبر عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم, وكما قال جلّ ثناؤه لأمـة نبينـا محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم: وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمّـةً وَسَـطا لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ علـى النّـاسِ ويَكُـونَ الرّسُـولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا فكل ذلك من الله مسألة للرسـل علـى وجـه الاستشـهاد لهـم على من أرسلوا إليه من الأمم وللمرسل إليهم على وجـه التقريـر والتوبيـخ, وكلّ ذلك بمعنى القصص والخبر. فأما الذي هو عن الله منفـىّ مـن مسـألته خلقه, فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمـه السـائل عنها ويعلمه المسئول, ليعلم السائل علم ذلك من قبله. فذلك غيـر جـائز أن يوصف الله به لأنه العالم بالأشياء قبل كونهـا وفـي حـ ال كونهـا وبعـد كونهـا, وهي المسألة التي نفاها جلّ ثناؤه عن نفسـه بقـوله: فَيَوْمَئِـذٍ لا يُسْـئَلُ عَـنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانّ, وبقوله: وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ المُجْرِمُونَ يعنـي: لا يسـأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت, ليعلم علم ذلك مـن قبـل مـن سـأل منـه, لأنه العالم بذلك كله وبكلّ شيء غيره. وقد ذكرنا ما رُوي في معنى ذلك من الخبر في غير هذا الموضع, فكرهنا إعادته. وقد رُوِي عن ابن عباس أنه كـان يقول في معنى قوله: فَلَنَقُصّنّ عَلَيْهِـمْ بِعِلْـمٍ أنـه ينطـق لهـم كتـاب عملهـم عليهم بأعمالهم. هذا قول غير بعيد من الحقّ, غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما مِنْكُـمْ مِـنْ أحَـدٍ إلاّ سَـيُكَلّمُهُ رَبّهُ يَوْمَ القِيامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ, فَيَقُولُ لَـهُ: أتَـذْكُرُ يَـوْمَ فَعَلْـتَ كَـذَا

وَفَعَلْتَ كَذَا؟ حتى يُذَكِّرَهُ ما فَعَلَ فِي الدّنْيا». والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

الوزن: مصدر من قول القائل: وَزَنْت كذا وكذا, أَزِنُه وَزْنا وزَنةً, مثل: وَعَدْته أَعِدُه وَعْدا وعِدَةً, وهو مرفوع بالحقّ, والحقّ به. ومعنى الكلام: والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين, الحقّ. ويعني بالحقّ: العدل. وكان مجاهد يقول: الوزن في هذا الموضع: القضاء.

11213ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: والوزن يومئذٍ: القضاء.

وكان يقول أيضا: معنى الحقّ ههنا: العدل. ذكر الرواية بذلك:

11214ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مجاهد: والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَق قال العدل.

وقال آخرون: معنى قوله: والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ وزن الأعمال. ذكر من قال ذلك:

11215ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ توزن الأعمال.

11216ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ قال: قال عبيد بن عمير: يؤتي بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب, فلا يزن جناح بعوضة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ قال: قال عبيد بن عمير: يؤتي بالرجل الطويل العظيم, فلا يزن جناح بعوضة.

11217ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا يوسف بن صهيب, عن موسى, عن بلال بن يحيى, عن حذيفة, قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام, قال: يا جبريل زن بينهم, فرُدّ على المظلوم, وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من سيئات صاحبه فيرجع الرجل عليه مثل الجبال, فذلك قوله: والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فقال بعضهم: معناه: فمن كثرت حسناته. ذكر من قال ذلك:

11218ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مجاهد: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ قال: حسناته.

وقال آخرون: معنى ذلك: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته, قالوا: وذلك هو الميزان الذي يعرفه الناس, له لسان وكفتان. ذكر من قال ذلك:

11219ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قال لي عمرو بن دينار: قوله: والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقّ قال: إنا نرى ميزانا وكفتين, سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان, ثم لا يقوم بجناح ذباب.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك: هو الميزان المعروف الذي يوزن به, وأن الله جلّ ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات, كما قال جلّ ثناؤه: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ موازين عمله الصالح, فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات, والخلود والبقاء في الجنات, لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلمبقوله: «ما وُضِعَ فِي المِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ», ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال على ما وصفت. فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عن وجهته, وقال: وكيف توزن الأعمال, والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة, وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها, وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة؟ اقيل له في قوله: «وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها»: وَزْن ذلك نظير إثباته إياه في أمّ الكتاب, واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به إليه ومن غير خوف من نسيانه, وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده, بل ليكون ذلك حجة على خلقه, كما قال جلّ ثناؤه في تنزيله: كُلّ أُمّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ... الآية, فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم, إما بالتقصير في طاعته والتضييع وإما بالتكميل والتتميم. وأما وجه جواز ذلك, فإنه كما:

11220ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي, عن عبد الله بن يزيد, عن عبد الله بن عمرو, قال: يؤتي بالرجل يوم القيامة إلى الميزن, فيوضع في الكفة, فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلاّ فيها خطاياه وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنملة, فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال: فتوضع في الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه.

فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان, وكتب سيئاته في الكفة الأخرى, ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم, استشهادا بذلك عليهم, وما أشبه ذلك من حججه. ويسئل من أنكر ذلك, فيقال له: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ويخفف موازين آخرين, وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك, فما الذي أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته الذي يتعارفه الناس؟ أحجة عقل؟ فقد يقال: وجه صحته من جهة العقل, وليس في موزن الله جلّ ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم, لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة, ولا دخول في جور في قضية, فما الذي أحال ذلك عندك من حجة أو عقل أو خبر؟ إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل إلى ذلك. وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحقّ في ذلك. وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته, إذ كان

قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره, ولولا ذلك لقرّبنا إلى ما ذكرنا نظائره, وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفّق لفهمه إن شاء الله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الّذِينَ خَسِرُوَاْ أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به وبرسوله واتباع أمره ونهيه, فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بِمَا كانَوا بآياتِنا يَظْلِمُونَ يقول: بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون, فلا يقرّون بصحتها, ولا يوقنون بحقيقتها. كالذي:

11221ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن مجاهد: وَمَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ قال: حسناته.

وقيل: «فأولئك» و«مَنْ» في لفظ الواحد, لأن معناه الجمع, ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكّنّاكُمْ فِي الأرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مّا تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد وطّأنا لكم أيها الناس في الأرض, وجعلناها لكم قرارا تستقرّون فيها, ومهادا تمتهدونها, وفراشا تفترشونها. وَجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ تعيشون بها أيام حياتكم, من مطاعم ومشارب, نعمة مني عليكم وإحسانا مني إليكم. قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ يقول: وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري, واتخاذكم إلها سواي. والمعايش: جمع معيشة. واختلفت القرّاء في قراءتها, فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: مَعايِشَ بغير همز, وقرأه عبد الرحمن الأعرج: «مَعائِشَ» بالهمز.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: مَعايِشَ بغير همز, لأنها مفاعل من قول القائل: عشت تعيش, فالميم فيها زائدة والياء في الحكم متحرّكة, لأن واحدها مَفْعَلَة مَعْيَشَة متحركة الياء, نُقلت حركة الياء منها إلى العين في واحدها فلما جمعت ردّت حركتها إليها لسكون ما قبلها وتحركها. وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا في نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتي على مثال مفاعل, وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التي تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل, فإن ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم: هذه مدائن وصحائف ونظائر, لأن مدائن جمع مدينة, والمدينة: فعيلة من قولهم: مدنت المدينة, وكذلك صحائف جمع صحيفة, والصحيفة فعيلة من قولك: صحفت الصحيفة, فالياء في واحدها زائدة ساكنة, فإذا جمعت همزت لخلافها في الجمع الياء التي كانت في واحدها, وذلك أنها كانت في واحدها ساكنة, وهي في الجمع متحركة, ولو جعلت مدينة مَفْعلة من دان يدين, وجمعت على مفاعل, كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء. وربما همزت العرب جمع مفعلة في ذوات الياء والواو وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها, إذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة, كما تشبه مَفْعلاً بفَعِيل, فتقول: مَسِيل الماء, من سَال يسيل, ثم تجمعها جمع «فعيل», فتقول: هي

أَمْسِلَة في الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل, إذ تجمعه أبْعِرة, وكذلك يجمع المصير وهو مَفْعل مُصْران, تشبيها له بمع بعير وهو فعيل, إذ تجمعه بُعران, وعلى هذا همز الأعرج: مَعائِشَ, وذلك ليس بالفصيح في كلامها. وأولى ما قرىء به كتاب الله من الألسن, أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذّها.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمّ صَوّرْنَاكُمْ ثُمّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مّنَ السّاجِدِينَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: تأويل ذلك: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ في ظهر آدم أيها الناس, ثُمّ صَوّرْناكُمْ في أرحام النساء خلقا مخلوقا ومثالاً ممثّلاً في صورة آدم. ذكر من قال ذلك:

11222ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ, قوله: خَلَقْناكُمْ يعني آدم, وأما صوّرناكم فذرّيته.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ... الآية, قال: أما خلقناكم فآدم, وأما صوّرناكم: فذرّية آدم من بعده.

11223ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ يعني: آدم, ثُمّ صَوّرْناكُمْ يعني: في الأرحام.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ يقول: خلقناكم خلق آدم, ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم.

11224ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ يقول: خلقنا آدم ثم صوّرنا الذرية في الأرحام.

11225ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: خلق الله آدم من طين, ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق, علقة ثم مضغة ثم عظاما, ثم كسا العظام لحما, ثم أنشأناه خلقا آخر.

11226ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: خلق الله آدم ثم صوّر ذرّيته من بعده.

11227ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمر بن هارون, عن نصر بن مشارس, عن الضحاك: خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: ذرّيته.

حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, قوله: ولَقَدْ خَلَقْناكُمْ يعني آم, ثُمّ صَوّرْناكُمْ, يعني: ذرّيته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم. ذكر من قال ذلك:

11228ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شريك, عن سماك, عن عكرمة: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُم صَوّرْناكُمْ قال: خلقناكم في أصلاب الرجال, وصوّرناكم في أرحام النساء.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سماك, عن عكرمة, مثله.

11229ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, قال: سمعت الأعمش يقرأ: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: خلقناكم في أصلاب الرجال, ثم صوّرناكم في أرحام النساء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خَلَقْناكُمْ يعني آدم, ثُمّ صَوّرْناكُمْ يعني في ظهره. ذكر من قال ذلك:

11230ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ قال: آدم, ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: في ظهر آدم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ في ظهر آدم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج عن مجاهد, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: صورّناكم في ظهر آدم.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: سمعت مجاهدا في قوله: ولقَد خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: في ظهر آدم لما تصيرون إليه من الثواب في الآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم, ثم صورناكم فيها. ذكر من قال ذلك:

11231ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عمن ذكره, قال: خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ قال: خلق الله الإنسان في الرحم, ثم صوّره فشقّ سمعه وبصره وأصابعه.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ولقد خلقنا آدم, ثُمّ صَوّرْناكُمْ بتصويرنا آدم, كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه, والمعنىّ في ذلك سلفه, وكما قال جلّ ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإذْ أخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوّةٍ وما أشبه ذلك من الخطاب الموجّه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدوم, فكذلك ذلك في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم, ثم صوّرناه.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب, لأن الذي يتلو ذلك قوله: ثُمّ قُلْنا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصوّر ذرّيته في بطون أمهاتهم, بل قبل أن يخلق أمهاتهم, و«ثم» في كلام العرب لا تأي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها, وذلك كقول القائل: قمت ثم قعدت, لا يكون القعود إذ عطف به ب«ثم» على قوله: «قمت» إلا بعد القيام, وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها, وذلك كقول القائل: قمت وقعدت, فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام, لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفا لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها من غير دلالة منها بنفسها, على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين, أو إن كانا في وقتين أيهما المتقدّم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا إن قوله: ولَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ

صَوّرْناكُمْ لا يصحّ تأويله إلا على ما ذكرنا. فإن ظنّ ظانّ أن العـرب إذا كـانت ربما نطقت ب«ثم» في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم:

سألْتُ رَبِيَعَةَ مَنْ خَيْرُهاأبا ثُمّ أمّا فَقالَتْ لِمَهْ

بمعنى: أبا وأما, فإن ذلك جائز أن يكون نظيره, فإن ذلك بخلاف مـا ظـنّ وذلك أن كتاب الله جلّ ثناؤه نزل بأفصح لغـات العـرب, وغيـر جـائز تـوجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنـى مفهـوم ووجـه معروف. وقد وجّه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلـى أنـه مـن المؤخر الذي معناه التقديم, وزعم أن معنى ذلـك: ولقـد خلقنـاكم, ثـم قلنـا للملائكة: اسجدوا لآدم, ثم صوّرناكم. وذلك غير جائز في كلام العـرب, لأنهـا لا تدخل «ثم» في الكلام وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر, وإن كانوا قد يقدّمونها في الكلام, إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير, وذلك كقولهم: قام ثم عبد الله عمرو فأما إذا قيل: قام عبـد اللـه ثـم قعـد عمـرو, فغير جائز أن يكون قعود عمرو كـان إلا بعـد قيـام عبـد اللـه, إذا كـان الخـبر صدقا, فقول الله تبارك وتعالى: وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمّ صَوّرْناكُمْ ثُمّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا نظير قول القائل: قام عبد الله ثم قعد عمرو في أنـه غيـر جـائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير لما وصـفنا قبل. وأما قوله: لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فإنه يقول جلّ ثناؤه: فلما صوّرنا آدم وجعلناه خلقا سويّا, ونفخنا فيه من روحنا, قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم, ابتلاءً منا واختبارا لهم بالأمر, ليعلـم الطـائع منهـم مـن العاصـي فَسَـجَدُوا يقـول: فسجد الملائكة إلاّ إبْلِيسَ فإنه لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود. وقد بيّنا فيما مضى المعنـى الـذي من أجله امتحن جلّ جلاله ملائكته بالسجود لآدم, وأمر إبليس وقصصه, وبما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُـكَ قَـالَ أَنَـاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس إذ عصاه, فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له, يقول: قالَ الله لإبليس: مـا مَنَعَـكَ أيّ شـيء منعـك ألاّ تَسْجُدَ: أن تدع السجود لآدم, إذْ أمَرْتُكَ أن تسجد. قـالَ أنـا خَيْـرٌ مِنْـهُ يقـول: قال إبليس: أنا خير من آدم, خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.

فإن قال قائل: أخبرنا عن إبليس, ألحقته الملامة علـى السـجود أم علـى ترك السجود؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود, فكيف قيل له: مـا مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ إذْ أمرْتُكَ؟ وإن كان النكيـر علـى السـجود, فـذلك خلاف مـا جاء به التنزيل فـي سـائر القـرآن, وخلاف مـا يعرفـه المسـلمون. قيـل: إن الملامة لم تلحق إبليس إلا علـى معصـيته ربـه بـتركه السـجود لآدم إذ أمـره بالسجود له, غير أن في تأويل قوله: ما مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُـكَ بيـن أهـل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا, ثم أذكر الذي هو أولـى ذلـك بالصواب فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ما منعك أن تسـجد, و«لا» ههنا زائدة, كما قال الشاعر:

أبَى جُودُه لا البُخْلَ واستَعْجَلَتْ بِهِنَعَمْ مِنْ فَتًى لا يَمْنَعُ الجُودَ قَاتِلَهْ

وقال: فسرته العرب: أبي جودة البخل, وجعلـوا «لا» زائـدة حشـوا ههنـا وصلوا بها الكلام. قال: وزعم يونس أن أبا عمرو كانَ يجرّ «البخل», ويجعـل

«لا» مضافة إليه, أراد: أبي جوده «لا» التي هي للبخل, ويجعل «لا» مضافة, لأن «لا» قد تكون للجود والبخل, لأنه لو قال له: امنع الحقّ ولا تعط المسكين, فقال «لا» كان هذا جودا منه.

وقال بعض نحويي الكوفة نحو القول الذي ذكرناه عن البصريين في معناه وتأويله, غير أنه زعم أن العلة في دخول «لا» في قوله: أنْ لا تَسْجُدَ أن في أوّل الكلام جحدا, يعني بذلك قوله: لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ فإن العرب ربما أعادوا في الكلام الذي فيه جحد الجحد, كالاستيثاق والتوكيد له قال: وذلك كقولهم:

ما إنْ رأيْنا مِثْلَهُنّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرّءُوسِ فَوَالِجٌ وَفُيُولُ

فأعاد على الجحد الذي هو «ما» جحدا, وهو قوله «إن» فجمعهما للتوكيد.

وقال آخر منهم: ليست «لا» بحشو في هذا الموضع, ولا صلة, ولكن المنع ههنا بمعنى القول. إنما تأويل الكلام: من قال لك لا تسجد إذا أمرتك بالسجود؟ ولكن دخل في الكلام «أنْ» إذا كان المنع بمعنى القول لا في لفظه, كما يفعل ذلك في سائر الكلام الذي يضارع القول, وهو له في اللفظ مخالف كقولهم: ناديت أن لا تقم, وحلفت أن لا تجلس, وما أشبه ذلك من الكلام.

وقال بعض من روى: «أبي جوده لا البخل» بمعنى: كلمة البخل, لأن «لا» هي كلمة البخل, فكأنه قال: كلمة البخل.

وقال بعضهم: معنى المنع: الحول بين المرء وما يريده, قال: والممنوع مضطّر به إلى خلاف ما منع منه, كالممنوع من القيام وهو يريده, فهو مضطّر من الفعل إلى ما كان خلافا للقيام, إذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل إليه وإلى خلافه, فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال: فلما كانت صفة المنع ذلك, فخوطب إبليس بالمنع, فقيل له: ما مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ كان معناه: كأنه قيل له: أيّ شيء اضطرّك إلى أن لا تسجد.

قال أبو جعفر: والصواب عندي من القول في ذلك أن يقال: إن في الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر منه, وهو أن معناه: ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد؟ فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين. قوله: إلاّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ أن ذلك معنى الكلام من ذكره, ثم عمل قولهما مَنَعَكَ في أن ما كان عاملاً فيه قبل أحوجك لو ظهر إذ كان قد ناب عنه.

وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له, وأن لكلّ كلمة معنى صحيحا, فتبين بذلك فساد قول من قال «لا» في الكلام حشو لا معنى لها.

وأما قول من قال: معنى المنع ههنا: القول, فلذلك دخلت «لا» مع «أن, فإن المنع وإن كان قد يكون قولاً وفعلاً, فليس المعروف في الناس استعمال المنع في الأمر بترك الشيء, لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادرا على فعله وتركه ففَعَله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله إلا على استكراه للكلام وذلك أن المنع من الفعل حوّل بينه وبينه, فغير جائز أن يكن وهو محُول بينه وبينه فاعلاً له, لأنه إن جاز ذلك وجب أن يكون محولاً بينه وبينه لا محولاً وممنوعا لا ممنوعا وبعد, فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله تعالى بالسجود لآدم كِبرا, فكيف كان يأتمر لغيره في ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم, فيجوز أن يقال له: أيّ شيء قال لك لا تسجد لآدم إذ أمرتك

بالسجود له؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت: ما منعك من السجود له, فأحوجك, أو فأخرجك, أو فاضطّرك إلى أن لا تسجد له على ما بيّنت.

وأما قوله: أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم, فأحوجه إلى أن لا يسجد له, واضطرّه إلى خلافه أمره به وتركه طاعته أن المانع كان له من السجود والداعي له إلى خلافه أمر ربه في ذلك أنه أشدّ منه أيدا وأقوى منه قوّة وأفضل منه فضلاً, لفضل الجنس الذي منه خلق وهو النار, من الذي خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدوّ الله وجه الحقّ, وأخطأ سبيل الصواب, إذ كان معلوما أن من جوهر النار: الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوّا, والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حمل الخبيثَ بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه, فأورثه العطب والهلاك, وكان معلوما أن من جوهر الطين: الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت, وذلك الذي في جوهره من ذلك كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته, ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: «أوّل من قاس إبليس», يعنيان بذلك: القياس الخطأ, وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله وبُعده من إصابة الحقّ في الفضل الذي خصّ الله به آدم على سائر خلقه من خلقه إياه بيده, ونفخه فيه من روحه, وإسجاده له الملائكة, وتعليمه أسماء كلّ شيء مع سائر ما خصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا, وقصد إلى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين, وهو في ذلك أيضا له غير كفء, لو لم يكن لآدم من الله جلّ ذكره تكرمة شيء غيره, فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده ويُمِلّ إحصاؤه؟.

11232ـ حدثني عمرو بن مالك, قال: حدثنا يحيى بن سليم الطائفي, عن هشام, عن ابن سيرين, قال: أوّل من قاس إبليس, وما عُبِدَتِ الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

11233ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن كثير, عن ابن شوذب, عن مطر الورّاق, عن الحسن, قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قال: قاس إبليس وهو أوّل من قاس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11234ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك عن ابن عباس, قال: لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر, لما كان حدّث نفسه من كبره واغتراره, فقال: لا أسجد له, وأنا خير منه, وأكبر سنّا, وأقوى خلقا, خلقتني من نار وخلقته من طين. يقول: إن النار أقوى من الطين.

11235ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: خَلَقْتَني منْ نارٍ قال: ثم جعل ذرّيته من ماء.

قال أبو جعفر: وهذ الذي قاله عدوّ الله ليس لما سأله عنه بجواب, وذلك أن الله تعالى ذكره قال له: ما منعك من السجود؟ فلم يجب بأن الذي منعه من السجود: أنه خلقه من نار, وخلق آدم من طين, ولكنه ابتدأ خبرا عن

نفسه, فيه دليل على موضع الجواب, فقال: أنـا خَيْـرٌ مِنْـهُ خَلَقْتَنِـي مـنْ نـارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَـا فَمَـا يَكُـونُ لَـكَ أَن تَتَكَبَّـرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ }.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قال الله لإبليس عند ذلك: فاهْبِطْ مِنْها وقد بيّنا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن إعـادته. فَمَـا يَكُـونُ لَـكَ أنْ تَتَكَبّـرَ فِيهـا يقول تعالى ذكره: فقال الله له: اهبط منها يعني: من الجنة فما يكـون لـك, يقول: فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري.

فإن قال قائل: هل لأحد أن يتكبر في الجنة؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ, وإنما معنى ذلك: فاهبط من الجنة, فـإنه لا يسـكن الجنـة متكـبر عن أمر الله, فأما غيرها فإنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمسـتكين لطاعته.

وقوله: فاخْرُجْ إنّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ يقول: فاخرج من الجنة إنك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذلّ والمهانة, يقال منه: صَغِرَ يَصْغَرا وصَـغْرانا وقـد قيل: صَغُر يَصْغُر صَغَارا وصَغَارَةً. وبنحو الذي قلنا قال السديّ.

11236ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فاخْرُجْ إنّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ والصغار: هو الذلّ.

الآية : 14-15

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ }.

وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة, سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه وذلك أنه سأل النظِرَة إلى قيـام السـاعة, وذلـك هـو يوم يبعث فيه الخلق, ولو أعطي ما سأل من النظرة كان قد أعطـي الخلـود وبقاءً لا فناءَ معه, وذلك أنه لا موت بعد البعث. فقال جلّ ثناؤه له: إنّـكَ مِـنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ وذلك إلى اليوم الذي قد كتب اللـه عليـه فيه الهَلاك والموت والفناء لأنه لا شَيء يبقى فلا يفني غير ربنا الحيّ الـذي لا يموت, يقول الله تعالى ذكره: كُلّ نَفْـس ذَائِقَـةُ المَـوْتِ. والإنظـار فـي كلام العرب: التأخير, يقال منه: أنْظَرتُه بحقي عليه, أُنْظِرُه به إنْظارا.

فإن قال قائل: فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يُبعثـون: إنّـكَ مِنَ المُنْظَرِينَ في هذا الموضع, فقد أجابه إلى ما سأل؟ قيل له: ليس الأمـر كذلك, وإنما كان مجيبا له إلى ما سأل لو كان قـال لـه: إنـك مـن المنظريـن إلى الوقت الذي سألت, أو إلى يوم البعث, أو إلى يوم يبعثـون, أو مـا أشـبه ذلك مما يدلّ على إجابته إلـى مـا سـأل مـن النظـرة. وأمـا قـوله: إنّـكَ مِـنَ المُنْظرِينَ فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التي قد بين فيهـا مـدة إنظـاره إيـاه إليها, وذلك قوله: فإنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ علـى المـدة التي أنظره إليها, لأنه إذا أنظره يوما واحدا أو أقلّ منه أو أكثر, فقد دخل في عداد المنظرين وتمّ فيه وعد الله الصادق, ولكنه قد بين قدر مدّة ذلك بالذي ذكرناه, فعلم بذلك الوقت الذي أنظر إليه. وبنحو ذلك كان السديّ يقول.

11237ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قالَ رَبّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قالَ فإنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ فلـم يُنْظِـره إلـى يـوم البعـث, ولكـن أنظَـرَه إلـى يـوم

الوقت المعلوم, وهو يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى, فصَعِق من في السموات ومن في الأرض, فمات.
فتأويل الكلام: قال إبليس لربه: أنظرني أي أخرني وأجّلْني, وأنسىءْ في أجلي, ولا تُمِتْني إلى يوم يُبعثون, يقول: إلى يوم يُبعث الخلق. فقال تعالى ذكره: إنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يوم ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.
فإن قال قائل: فهل أحد منظر إلى ذلك اليوم سوى إبليس فيقال له إنك منهم؟ قيل: نعم, من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة, فهم من المنظرين بآجالهم إليه ولذلك قيل لإبليس: إنَكَ مِنَ المُنْظَرِينَ بمعنى: الساعة, فهم من المنظرين بآجالهم إليه ولذلك قيل لإبليس: إنَكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }.
يقول جلّ ثناؤه: قال إبليس لربه: فَبِما أغْوَيْتَنِي يقول: فبما أضللتني. كما:
11238ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: فَبِما أغْوَيْتَنِي يقول: أضللتني.
11239ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَبِما أغْوَيْتَنِي قال: فبما أضللتني.
وكان بعضهم يتأوّل قوله: فَبِما أغْوَيْتَنِي: بما أهلكتني, من قولهم: غَوِيَ الفصيل يَغْوَى غَوًى, وذلك إذا فقد اللبن فمات, من قول الشاعر:
مُعَطّفَةُ الأثْناءِ ليسَ فَصِيلُها برازِئها دَرّا ولا مَيّتٍ غَوَى
وأصل الإغواء في كلام العرب: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده غارّا له. وقد حُكي عن بعض قبائل طيّ أنها تقول: أصبح فلان غاويا: أي أصبح مريضا. وكان بعضهم يتأوّل ذلك أنه بمعنى القسم, كأن معناه عنده: فبإغوائك إياي لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم, كما يقال: بالله لأفعلن كذا. وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى المجازاة, كأن معناه عنده: فلأنك أغويتني, أو فبأنك أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم. وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كلّ من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه, وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله: فَبِما أغْوَيْتَنِي: فبما أصلحتني, إذ كان سبب الإغواء, هو سبب الإصلاح, وكان في إخباره عن الإغواء إخبار عن الإصلاح, ولكن لما كان سبباهما مختلفين وكان السبب الذي به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك إليه فقال: فَبما أغْوَيْتَنِي. وكذلك قال محمد بن كعب القُرَظي, فيما:
11240ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا زيد بن الحباب, قال: حدثنا أبو مودود, سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: قاتل الله القدرية, لإبليسُ أعلم بالله منهم.
وأما قوله: لأَقْعُدَنّ لَهُمْ صرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ فإنه يقول: لأجلسنّ لبني آدم صراطك المستقيم, يعني: طريقك القويم, وذلك دين الله الحقّ, وهو الإسلام وشرائعه.

وإنما معنى الكلام: لأصدنّ بني آدم عن عبادتك وطاعتك, ولأغوينهم كما أغويتني, ولأضِلّنهم كما أضَللْتَني. وذلك كما رُوي عن سَبْرة بن الفاكه أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الشّيْطانَ قَعَد لابْنِ آدَمَ بأطْرَقَةٍ, فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإسْلام, فَقالَ: أتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِك؟ فَعَصَاهُ فَأسْلَم. ثُمّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيق الهجْرَةِ, فَقالَ: أتهاجِرُ وَتَذَرُ أرْضَكَ وَسَماءَكَ, وإنمَا مَثَلُ المُهاجِرِ كالفَرَسِ فِي الطّوَلِ؟ فَعَصَاه وَهاجَرَ. ثُمّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهادِ, وَهُوَ جَهْدُ النّفْسِ والمَالِ, فقالَ: أتُقاتِلُ فتُقْتَلَ فَتُنْكَحُ المَرأةُ ويُقَسّمُ المَالُ؟ قالَ: فَعَصَاهُ فَجاهَدَ». ورُوي عن عون بن عبد الله في ذلك, ما:

11241ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حيوة أبو يزيد, عن عبد الله بن بكير, عن محمد بن سوقة, عن عون بن عبد الله: لأَقْعُدَنّ لهُمْ صرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ قال: طريق مكة.

والذي قاله عون وإن كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله, وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيئا دون شيء, فالذي رُوي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل, لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصدّ عن كلّ ما كان لهم قربة إلى الله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل في معنى المستقيم في هذا الموضع. ذكر من قال ذلك:

11242ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ قال: الحقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11243ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدنيّ, قال: سمعت مجاهدا يقول: لأَقْعُدَنّ لَهُمْ صَرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ قال: سبيل الحقّ, فلأضلنهم إلا قليلاً.

واختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعض نحويي البصرة: معناه: لأقعدنّ لهم على صراطك المستقيم, كما يقال: توجه مكة: أي إلى مكة, وكما قال الشاعر:

كأني إذْ أسْعَى لِاَظْفَرَ طائِرامَعَ النّجْمِ مِنْ جَوّ السّماءِ يَصُوبُ

بمعنى: لأظفر بطائر, فألقى الباء وكما قال: أعَجِلْتُم أمْرَ رَبّكُمْ بمعنى: أعجلتم عن أمر ربكم. وقال بعض نحويي الكوفة: المعنى والله أعلم: لأقعدنّ لهم على طريقهم, وفي طريقهم قال: وإلقاء الصفة من هذا جائز, كما تقول: قعدت لك وجه الطريق, وعلى وجه الطريق لأن الطريق صفة في المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام, إذ قيل: آتيك غدا, وآتيك في غد.

وهذا القول هو أولى القولين في ذلك عندي بالصواب, لأن القعود مقتض مكانا يقعد فيه, فكما يقال: قعدت في مكانك, يقال: قعدت على صراطك, وفي صراطك, كما قال الشاعر:

لَدْنِ بَهزّ الكَفّ يَعْسِلُ مَتْنُهُفِيهِ كمَا عَسَلَ الطّرِيقَ الثّعْلَبُ

فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان, ولا يكادون يقولون: جلست مكة وقمت بغداد.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى قوله: لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ من قِبَل الآخرة, وَمِنْ خَلْفِهِمْ من قِبَل الدنيا, وَعَنْ أيمَانِهِمْ من قِبَل الحق, وَعَنْ شَمائِلهمْ من قِبَل الباطل. ذكر من قال ذلك:

11244ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ يقول: أشككهم في آخرتهم, وَمِنْ خَلْفِهِمْ أرغبهم في دنياهم وَعَنْ أيمانِهِمْ أشبه عليهم أمر دينهم, وَعنْ شَمائِلِهِمْ أشهّي لهم المعاصي.

وقد رُوي عن ابن عباس بهذا الإسناد في تأويل ذلك خلاف هذا التأويل, وذلك ما:

11245ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ يعني من الدنيا, وَمِنْ خَلْفِهِمْ من الآخرة, وَعَنْ أيمَانِهِمْ من قِبَل حسناتهم, وَعَنْ شَمائِلِهِمْ من قِبَل سيئاتهم. وتحقق هذه الرواية الأخرى التي:

11246ـ حدثني بها محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِم وعن أيمانهم وَعَنْ شَمائِلِهِمْ قال: ما بين أيديهم فمن قبلهم أما ومن خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيمانهم: فمن قِبَل حسناتهم وأما عن شمائلهم: فمن قِبَل سيئاتهم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِم... الآية, أتاهم من بين أيديهم, فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار, ومن خلفهم من أمر الدنيا, فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم: من قِبَل حسناتهم بطّأهم عنها وعن شمائلهم: زيّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها, أتاك يا ابن آدم من كلّ وجه, غير أنه لم يأتك من فوقك, لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

وقال آخرون: بل معنى قوله: مِنْ بين أيْدِيهِمْ من قِبَل دنياهم, وَمِنْ خَلْفِهِمْ من قبَل آخرتهم. ذكر من قال ذلك:

11247ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, في قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ قال: من بين أيديهم من قِبَل دنياهم ومن خلفهم من قِبَل آخرتهم. وَعَنْ أيمانِهِمْ من قِبَل حسناتهم, وَعَنْ شَمائِلِهِمْ: من قبل سيئاتهم.

11248ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن الحكم: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمَانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ قال: من بين أيديهم: من دنياهم ومن خلفهم: من آخرتهم وعن أيمانهم: من حسناتهم وعن شمائلهم:: من قِبَل سيئاتهم.

حدثنا سفيان, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الحكم: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بين أيْدِيهِمْ قال: من قِبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قِبَل الآخرة يبطّئهم عنها وعن أيمانهم: من قِبَل الحقّ يصدّهم عنه وعن شمائلهم من قِبَل الباطل يرغبهم فيه, ويزينه لهم.

11249ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: ثُمّ لآتِيَنّهُم مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ أما من بين أيديهم: فالدنيا أدعوهم إليها وأرغبهم فيها ومن خلفهم: فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعّدها عليهم وعن أيمانهم يعني الحقّ فأشككهم فيه وعن شمائلهم: يعني الباطل أخففه عليهم, وأرغبهم فيه.

11250ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قوله: مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ من دنياهم أرغبهم فيها, وَمِنْ خَلْفِهِمْ آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها, وَعَنْ أيمَانِهِمْ حسناتهم أزهدهم فيها, وَعَنْ شَمائِلِهِمْ مساوىء أعمالهم أحسّنها إليهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون. ذكر من قال ذلك:

11251ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قول الله: مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَعَنْ أيمَانِهِمْ قال: حيث يبصرون, وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ حيث لا يبصرون.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

11252ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير, عن منصور, قال: تذاكرنا عند مجاهد قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ فقال مجاهد: هو كما قال: يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم. زاد ابن حميد, قال: يأتيهم من ثَمّ.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: قال مجاهد: فذكر نحو حديث محمد بن عمرو, عن أبي عاصم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل, فأصدّهم عن الحقّ وأحسّن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقيب قوله: لأَقْعُدَنّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه, وهو ما وصفنا من دين الله الحقّ, فيأتيهم في ذلك من كلّ وجوهه من الوجه الذي أمرهم الله به, فيصدّهم عنه, وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم, ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه, فيزينه لهم ويدعوهم إليه, وذلك من خلفهم وعن شمائلهم. وقيل: ولم يقل: «من فوقهم» لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم. ذكر من قال ذلك:

11253ـ حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ, قال: حدثنا حفص بن عمر, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ ولم يقل: «من فوقهم», لأن الرحمة تنزل من فوقهم.

وأما قوله: ولاَ تَجد أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ فإنه يقول: ولا تجد رب أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به, من إسجادك له ملائكتك, وتفضيلك إياه عليّ, وشكرهم إياه طاعتهم له بالإقرار بتوحيده, واتباع أمره ونهيه. وكان ابن عباس يقول في ذلك بما:

11254ـ حدثني به المثنى, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن صـالح, قـال: ثنـي معاوية, عن عليّ بن أبي طلحـة, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وَلا تَجِـدُ أَكْثَرَهُـمْ شاكِرِينَ يقول: موحدين.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مّـدْحُوراً لّمَـن تَبِعَـكَ مِنْهُمْ لأمْلأنّ جَهَنّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره, عن إحلاله بالخبيث عدوّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته, وطرده إياه عن جنتـه, إذ عصـاه وخـالف أمـره, وراجعـه مـن الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول: قال الله له عند ذلـك: اخْـرُجْ مِنْهـا أي من الجنة مَذْءُوما مَدْحُورا يقول: معيبا. والذأم: العيب, يقـال منـه: ذأمـه يذأمه ذأما فهو مذءوم, ويتركون الهمـز فيقولـون: ذِمْتُـه أذيمـه ذيْمـا وذامـا, والذأم والذّيم أبلغ في العيب من الذمّ وقد أنشد بعضهم هذا البيت:

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْنِي عَلَيْها غِشاوَةٌفَلَمّا انْجَلَتْ قَطّعْتُ نَفْسِي أذِيمُها

وأكثر الرواة على إنشاهد «ألومها». وأما المدحور: فهو المُقْصَى, يقـال: دحره يَدْحَره دَحْـرا ودُحُـورا: إذا أقصـاه وأخرجـه ومنـه قـولهم: ادحـر عنـك الشيطان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11255ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوما مَدْحُورا يقول: اخرج منها لعينا منفيّا.

11256ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: مذءوما: ممقوتا.

11257ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَ اخْرُجْ مِنْها مَـذْءُوما يقـول: صـغيرا منفيّا.

11258ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوما مَـدْحُورا: أمـا مـذءوما: فمنفيّا, وأما مدحورا: فمطرودا.

11259ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهـد: مَـذْءُوما قـال: منفيّـا مَـدْحُورا قـال: مطرودا.

11260ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, قوله: اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوما قال: منفيّا, والمدحور, قال: المُصغّر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, عن يونس وإسرائيل, عن أبي إسحاق, عن التميمي, عن ابن عبـاس: اخْرُجْ مِنْها مَذْءُوما قال: منفيّا.

11261ـ حـدثني أبـو عمـرو القرقسـاني عثمـان بـن يحيـى, قـال: حـدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عـن التميمـي, سـأل ابـن عبـاس: مـا اخْـرُجْ مِنْهـا مَذْءُوما مَدْحُورا قال: مقيتا.

11262ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: اخْرُجْ مِنْها مَذْءوما مَـدْحُورا فقـال: مـا نعـرف المـذءوم والمـذموم إلا

واحدا, ولكن يكون... منتقصة, وقال العرب لعامر: يا عام, ولحارث: يا حار, وإنما أنزل القرآن على كلام العرب.

القول في تأويل قوله تعالى: لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنّ جَهَنّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ.

وهذا قسم من الله جلّ ثناؤه: أقسم أن من اتبع من بني آدم عدوّ الله إبليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم, يعني من كفرة بني آدم تبّاع إبليس ومن إبليس وذرّيته جهنم, فرحم الله امرءا كذّب ظنّ عدوّ الله في نفسه, وخيّب فيها أمله وأمنيته, ولم يكن ممن أطمع فيها عدوّه, واستغشّه ولم يستنصحه. وإن الله تعالى ذكره إنما نبه بهذه الآيات عباده على قِدم عداوة عدوّه وعدوّهم إبليس لهم, وسالف ما سلف من حسده لأبيهم, وبغيه عليه وعليهم, وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديما في أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته, وليتذكر أولو الألباب, فينزجروا عن طاعة عدوّه وعدوّهم إلى طاعته وينيبوا إليها.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـَذِهِ الشّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّالِمِينَ }.

يقول الله تعالى ذكره: وقال الله لآدم: يا آدَمُ اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما فأسكن جلّ ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها, وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أيّ مكان شاءا منها, ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها. وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك وما نرى من القول فيه صوابا في غير هذا الموضع, فكرهنا إعادته. فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ يقول: فتكونا ممن خالف أمر ربه. وفعل ما ليس له فعله.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبّكُمَا عَنْ هَـَذِهِ الشّجَرَةِ إِلاّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: فَوَسْوَسَ لَهُما فوسوس إليهما, وتلك الوسوسة كانت قوله لهما: ما نَهاكُما رَبّكُما عَنْ هَذِهِ الشّجَرَة إلاّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ وإقسامه لهما على ذلك. وقيل: «وسوس لهما», والمعنى ما ذكرت, كما قيل: غَرِضْتُ له, بمعنى: اشتقت إليه, وإنما يعني: غَرضت من هؤلاء إليه, فكذلكَ معنى ذلك: فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من من القيل لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوآتِهِما كما قال رؤبة:

(وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصا رَبّ الفَلَقْ)

ومعنى الكلام: فجذب إبليس إلى آدم حوّاء, وألقى إليهما: ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة إلا أن تكونا ملَكين, أو تكونا من الخالدين ليبدي لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما. فغطاه بستره الذي ستره عليهما.

وكان وهب بن منبه يقول في الستر الذي كان الله سترهما به ما:

11263ـ حدثني به حوثرة بن محمد المنقري, قال حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو, عن ابن منبه, في قوله: فَبَدَتْ لَهُما سَوآتُهُما قال: كان عليهما نور لا ترى سوآتهما.

القول في تأويل قوله تعالى: وَقالَ ما نَهاكُما رَبّكُما عَنْ هَذِهِ الشّجَرَةِ إلاّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ.

يقول جلّ ثناؤه: وقال الشيطان لآدم وزوجته حوّاء: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها إلا لئلا تكونا ملكين. وأسقطت «لا» من الكلام لدلالة ما ظهر عليها, كما أسقطت من قوله: يُبَيّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلّوا والمعنى: يبين اللهلكم أن لا تضلوا. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين, كما يقال: إياك أن تفعل كراهية أن تفعل, أو تكونا من الخالدين في الجنة الماكثين فيها أبدا فلا تموتا. والقراءة على فتح اللام بمعنى ملَكين من الملائكة. ورُوي عن ابن عباس ما:

11264ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا ابن أبي حماد, قال: حدثنا عيسى الأعمى, عن السديّ, قال: كان ابن عباس يقرأ: «إلاّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ» بكسر اللام. وعن يحيى بن أبي كثير ما:

11265ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: ثني القاسم بن سلام, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: حدثنا يعلى بن حكيم, عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأها: «ملكين» بكسر اللام.

وكأن ابن عباس ويحيى وجها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: «ما نَهاكُما رَبّكُما عَنْ هَذِهِ الشّجَرَةِ إلاّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ» من الملوك, وأنهما تأوّلا في ذلك قول الله في موضع آخر: قالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها, القراءة التي عليها قرّاء الأمصار, وهي فتح اللام من «مَلَكين», بمعنى: ملَكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا في أن كلّ ما كان مستفيضا في قرأة الإسلام من القراءة, فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَاسَمَهُمَآ إِنّي لَكُمَا لَمِنَ النّاصِحِينَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَقاسَمَهُما: وحلف لهما, كما قال في موضع آخر: تَقاسَمُوا باللّهِ لَنُبَيّتَنّهُ بمعنى: تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عمّ أبي ذؤيب:

وقاسَمَها باللّهِ جَهْدا لاَءَنْتُمُألَذّ منَ السّلْوَى إذَا ما نَشُورُها

بمعنى: وحالفها بالله وكما قال أعشى بني ثعلبة:

رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أمّ تَقَاسَمَابأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا تَتَفَرّقُ

بمعنى تحالفا. وقوله: إنّي لَكُما لِمنَ النّاصِحِينَ: أي لممن ينصح لكما في مشورته لكما, وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتما عن أكل ثمرها, وفي خبري إياكما بما أخبركما به من أنكما إن أكلتماه كنتما ملَكين, أو كنتما من الخالدين. كما:

11266ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ فحلف لهما بالله حتى خدعهما, وقد يُخدع المؤمن بالله, فقال: إني خُلقت قبلكما وأنا أعلم منكما, فاتبعاني أرشدكما. وكان بعض أهل العلم يقول: من خَادَعنا بالله خَدَعنا.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {فَدَلاّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمّا ذَاقَا الشّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنّةِ وَنَادَاهُمَا رَبّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشّجَرَةِ وَأَقُل لّكُمَآ إِنّ الشّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌ مّبِينٌ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ فخدعهما بغرور, يقال منه: ما زال فلان يدلّي فلانا بغرور, بمعنى: ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل. فَلَمّا ذَاقَا الشّجَرَةَ يقول: فلما ذاق آدم وحوّاء ثمر الشجرة, يقول: طعماه. بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما يقول: انكشفت لهما سوآتهما, لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة, فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطئا, أو المعصية التي ركبا. وَطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنّةِ يقول: أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما. كما:

11267ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس: وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنّةِ قال: جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما.

11268ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي بكر, عن الحسن, عن أبيّ بن كعب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ آدَمُ كأنّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ كَثِيرَ شَعْرِ الرأسِ, فَلَمّا وَقَعَ بالخَطِيئَةِ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ وكانَ لا يَرَاها, فانْطَلَقَ فارّا, فَتَعَرّضَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَحَبَسَتْهُ بِشَعْرِهِ, فَقالَ لَهَا: أرْسِلِيني, فَقالَتْ: لَسْتُ بمُرْسِلَتِكَ, فَنادَاهُ رَبّهُ: يا آدَمُ, أمِنّي تَفِرّ؟ قالَ: لا, وَلَكِنّي اسْتَحَيْتُكَ».

11269ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك, عن الحسن, عن عمارة, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته: السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما, وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنّةِ ورق التين يلصقان بعضها إلى بعض, فانطلق آدم مولّيا في الجنة, فأخذت برأسه شجرة من الجنة, فناداه: أي آدم أمني تفرّ؟ قال: لا, ولكني استحيتك يا ربّ قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرّمت عليك؟ قال: بلى يا ربّ, ولكن وعزّتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا. قال: وهو قول الله: وَقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ قال: فبعزّتي لأهبطنك إلى الأرض, ثم لا تنال العيش إلا كدّا قال: فأهبط من الجنة, وكانا يأكلان فيها رغدا, فأهبطا في غير رغد من طعام وشراب, فعلّم صنعة الحديد, وأمر بالحرث, فحرث وزرع ثم سقى. حتى إذا بلغ حصده ثم داسه, ثم ذراه, ثم طحنه, ثم عجنه, ثم خبزه, ثم أكله, فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ.

11270ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَخْصِفانِ قال: يرقعان كهيئة الثوب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب.

11271ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمّا ذَاقا الشّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وكانا قبل ذلك لا يريانها وطَفِقا يَخْصِفانِ... الآية.

11272ـ وقال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدثنا الحسن, عن أبيّ بن كعب: أن آدم عليه السلام كان رجلاً طوالاً, كأنه نخلة سحوق, كثير شعر

الرأس فلما وقع بما وقع به من الخطيئة, بدت له عورته عند ذلك, وكان لا يراها. فانطلق هاربا في الجنة, فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة, فقال لها: أرسليني قالت: إني غير مرسلتك. فناداه ربه: يا آدم, أمني تفرّ؟ قال: ربّ إني استحيتك.

11273ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن سفيان الثوريّ, عن ابن أبي ليلى, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنّةِ قال: ورق التين.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن ابن أبي ليلى, عن المنهال, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَطَفقا يَخْصِفان عَلَيْهِما مِنْ وَرَق الجَنّة قال: ورق التين.

11274ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن حسام بن معبد, عن قتادة وأبي بكر عن غير قتادة قال: كان لباس آدم في الجنة ظُفُرا كله, فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته. قال أبو بكر: قال غير قتادة: فَطَفِقا يَخْصِفان عَلَيْهِما مِنْ وَرَق الجَنّةِ قال: ورق التين.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: بَدَتْ لَهُما سَوآتُهُما قال: كانا لا يريان سوآتهما.

11275ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, قال: حدثنا عمرو, قال: سمعت وهب بن منبه يقول: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: كان لباس آدم وحوّاء عليهما السلام نورا على فروجهما, لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا. فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما.

القول في تأويل قوله تعالى: وَنادَاهُمَا رَبّهُما ألَمْ أنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشّجَرَةِ وأقُلْ لَكُما إنّ الشّيْطانَ لَكُما عَدُوّ مُبِينٌ.

يقول تعالى ذكره: ونادى آدم وحوّاء ربهما: ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها, وأعلمكما أن إبليس لكما عدوّ مبين؟ يقول: قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدا وبغيا. كما:

11276ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, عن محمد بن قيس, قوله: وَنادَاهُما رَبّهُما ألَمْ أنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشّجَرَةِ وأقُلْ لَكُما إنّ الشّيْطانَ لَكُما عَدُوٌ مُبِينٌ لِمَ أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ أطعمتني حوّاء قال لحوّاء: لم أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية. قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس. قال: ملعون مدحور أما أنتِ يا حوّاء فكما دَمِيت الشجرة تدْمين كلّ شهر, وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك, وسيشدخ رأسك من لقيك اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ.

11277ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن سفيان بن حسين, عن يعلى بن مسلم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلتَ من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حوّاء أمرتني, قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها. قال: فرنّت حوّاء عند ذلك, فقيل لها: الرنة عليك وعلى ولدك.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالاَ رَبّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }.

قَالاَ رَبّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن آدم وحوّاء فيما أجاباه به, واعترافهما على أنفسهما بالذنب, ومسئلتهما إياه المغفرة منه والرحمة, خلاف جواب اللعين إبليس إياه. ومعنى قوله: قالا رَبّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا قال: آدم وحوّاء لربهما: يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك وبطاعتنا عدوّنا وعدوّك, فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها. وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا, وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه, وترحمنا بتعطفك علينا, وتركك أخذنا به لَنَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ يعني: لنكوننّ من الهالكين. وقد بيّنا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

11278ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: قال آدم عليه السلام: يا ربّ, أرأيت إن تبت واستغفرتك؟ قال: إذا أدخلك الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة, وسأل النظِرة, فأعطى كلَّ واحد منهما ما سأل.

11279ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: رَبّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا وَإن لَمْ تَغْفِرْ لَنا... الآية, قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذرّيته وآدم وولده والحية, يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية: اهبطوا من السماء إلى الأرض بعضكم لبعض عدوّ. كما:

11280ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمرو بن طلحة, عن أسباط, عن السديّ: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدوّ قال: فلعن الحية, وقطع قوائمها, وتركها تمشي على بطنها, وجعل رزقها من التراب, وأهبطوا إلى الأرض, آدم وحوّاء وإبليس والحية.

11281ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن أبي عوانة, عن إسماعيل بن سالم, عن أبي صالح: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ قال: آدم وحوّاء والحية.

وقوله: وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ يقول: ولكم يا آدم وحوّاء وإبليس والحية, في الأرض قرار تستقرّونه وفراش تمتهدونه. كما:

11282ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا آدم العسقلاني, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, في قوله: وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ قال: هو قوله: الّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأرْضَ فِرَاشا. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

11283ـ حُدثت عن عبيد الله, عن إسرائيل, عن السديّ, عمن حدثه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكُمْ فِي الأرْضِ مُسْتَقَرّ قال: القبور.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر آدم وحوّاء وإبليس والحية إذ أهبطوا إلى الأرض, أنهم عدوّ بعضهم لبعض, وأنّ لهم فيها مستقرّا يستقرّون فيه, ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرّا في حال حياتهم دون حال موتهم, بل عمّ الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرّا, فذلك على عمومه كما عمّ خبر الله, ولهم فيها مستقرّ في حياتهم

على ظهرها وبعد وفاتهم في بطنها, كما قال جل ثناؤه: أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتا أحْياءً وأمْواتا.
وأما قوله: وَمَتاعٌ إلى حِينٍ فإنه يقول جلّ ثناؤه: ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا, وذلك هو الحين الذي ذكره. كما:
11284ـ حُدثت عن عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن السديّ, عمن حدثه, عن ابن عباس: وَمَتاعٌ إلى حِينٍ قال: إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا.
والحين نفسه الوقت, غير أنه مجهول القدر, يدلّ على ذلك قول الشاعر:
وَما مِرَاحُكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدّينِوَقَدْ عَلاكَ مَشِيبٌ حَينَ لا حِينِ
أي وقت لا وقت.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ }.
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ يقول تعالى ذكره: قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه: فِيها تَحْيَوْنَ يقول: في الأرض تحيون, يقول: تكونون فيها أيام حياتكم, وَفِيها تَمُوتُونَ يقول في الأرض تكون وفاتكم, وَمِنْها تُخْرَجُونَ: يقول: ومن الأرض يخرجكم ربكم, ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {يَابَنِيَ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلّهُمْ يَذّكّرُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرّون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان وتركا منهم طاعة الله, فعرّفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم, حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض, مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به, وأنهم قد سار بهم سيرته في أبَوَيهم آدم وحوّاء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما سِترِ الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا: يعني بإنزاله عليهم ذلك: خلقه لهم, ورزقه إياهم. واللباس: ما يلبسون من الثياب. يُوَارِي سَوآتِكُمْ يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم. وكنى بالسوآت عن العورات, واحدتها سَوْأة, وهي فَعْلة من السوء, وإنما سميت سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده, كما قال الشاعر:
خَرَقُوا جَيْبَ فَتاتِهِمْلم يُبالُوا سَوْأةَ الرّجُلَهْ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11285ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة, ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

11286ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشا قال: أربع آيات نزلت في قريش, كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة.

11287ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عوف, قال: سمعت معبدا الجُهني يقول في قوله: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشا قال: اللباس الذي يلبسون.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ قال: كانت قريش تطوف عراة, لا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه, وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف, عن عوف, عن معبد الجهني: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ قال: اللباس الذي يواري سوآتكم: هو لبوسكم هذا.

11288ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ قال: هي الثياب.

11289ـ حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: ثني من سمع عروة بن الزبير, يقول: اللباس: الثياب.

11290ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَوآتِكُمْ قال: يعني ثياب الرجل التي يلبسها.

القول في تأويل قوله تعالى: وَرِيشا.

اختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وَرِيشا بغير ألف. وذُكِر عن زرّ بن حبيش والحسن البصريّ أنهما كانا يقرآنه: «وَرِياشا».

11291ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, عن أبان العطار, قال: حدثنا عاصم, أن زرّ بن حبيش قرأها: «وَرِياشا».

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك قراءة من قرأ: وَرِيشا بغير ألف لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبر في إسناده نظر, أنه قرأه: «وَرِياشا», فمن قرأ ذلك: «وَرِياشا» فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش, كما تجمع الذئب ذئابا والبئر بئارا, ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا من قول القائل: رَاشَهُ الله يَرِيشُه رِيَاشا وريشا, كما يقال: لَبِسه يلبسه لباسا ولِبْسا وقد أنشد بعضهم:

فَلَمّا كَشَفْنَ اللّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُبأطْرَافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلاً مُوشّما

بكسر اللام من «اللّبس». والرياش في كلام العرب: الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار. والريش: إنما هو المتاع والأموال عندهم, وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال, يقولون: أعطاه سرجا بريشه, ورحلاً بريشه: أي بكسوته وجهازه, ويقولون: إنه لحسن ريش الثياب. وقد يستعمل الرياش في الخصب ورفاهة العيش.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال: الرياش المال:

11292ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَرِيشا يقول: مالاً.

11293ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَرِيشا قال: المال.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
11294ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: «وَرِياشا» قال: أما رياشا: فرياش المال.
11295ـ حدثني الحرث قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: ثني من سمع عروة بن الزبير يقول: الرياش: المال.
11296ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, قوله: «وَرِياشا» يعني: المال.
ذكر من قال: هو اللباس ورفاهة العيش:
11297ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: «وَرِياشا» قال: الرياش: اللباس, والعيش: النعيم.
11298ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف, عن عوف, عن معبد الجهني: «وَرِياشا» قال: الرياش: المعاش.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا عوف, قال: قال معبد الجهني: «وَرِياشا» قال: هو المعاش.
وقال آخرون: الريش الجمال. ذكر من قال ذلك:
11299ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «وَرِياشا» قال: الريش: الجمال.
القول في تأويل قوله تعالى: وَلِباسُ التّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ.
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: لباس التقوى هو الإيمان. ذكر من قال ذلك:
11300ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلِباسُ التّقْوى هو الإيمان.
11301ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِباسُ التّقْوَى: الإيمان.
11302ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: أخبرني حجاج, عن ابن جريج: وَلِباسُ التّقْوى الإيمان.
وقال آخرون: هو الحياء. ذكر من قال ذلك:
11303ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف, عن عوف, عن معبد الجهنيّ, في قوله: وَلِباسُ التّقوَى الذي ذكر الله في القرآن هو الحياء.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا عوف, قال: قال معبد الجهنيّ, فذكر مثله.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن عوف, عن معبد بنحوه.
وقال آخرون: هو العمل الصالح. ذكر من قال ذلك:
11304ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَلِباسُ التّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ قال: لباس التقوى: العمل الصالح.
وقال آخرون: بل ذلك هو السمت الحسن. ذكر من قال ذلك:

11305ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا عبد الله بن داود, عن محمد بن موسى, عن الزباء بن عمرو, عن ابن عباس: وَلِباسُ التّقْوَى قال: السمت الحسن في الوجه.

11306ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج, قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل, عن سليمان بن أرقم, عن الحسن, قال: رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قُوهيّ محلول الزّرّ, وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهي عن اللعب بالحمام, ثم قال: يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر, فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ ما عَمِلَ أحَدٌ قطّ سِرّا إلاّ ألْبَسَهُ اللّهُ رِداءَهُ عَلانِيَةً, إنْ خَيْرا فخَيْرا, وَإنْ شَرّا فَشَرّا» ثم تلا هذه الآية: «وَرِياشا», ولم يقرأها: وَرِيشا وَلِباسُ التّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ قال: السمت الحسن.

وقال آخرون: هو خشية الله. ذكر من قال ذلك:

11307ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد المدني, قال: ثني من سمع عروة بن الزبير يقول: لِباسُ التّقْوى خشية الله.

وقال آخرون: لِباسُ التّقْوَى في هذه المواضع: ستر العورة. ذكر من قال ذلك:

11308ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِباسُ التقْوَى يتقي الله فيواري عورته, ذلك لباس التقوى.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المكيين والكوفيين والبصريين: وَلِباسُ التّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ برفع «ولباسُ». وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «ولِباسَ التّقْوَى» بنصب اللباس, وهي قراءة بعض قراء الكوفيين. فمن نصب: «وَلِباسَ» فإنه نصبه عطفا على «الريش» بمعنى: قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا, وأنزلنا لباسَ التقوى. وأما الرفع, فإن أهل العربية مختلفون في المعنى الذي ارتفع به اللباس, فكان بعض نحويي البصرة يقول: هو مرفوع على الابتداء, وخبره في قوله: ذلِكَ خَيْرٌ. وقد استخطأه بعض أهل العربية في ذلك وقال: هذا غلط, لأنه لم يعد على اللباس في الجملة عائد, فيكون اللباس إذًا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا.

وقال بعض نحويي الكوفة: وَلِباسُ يُرفع بقوله: «ولباس التقوى خير», ويجعل ذلك من نعته. ب«خير» لم يكن في ذلك وجه إلا أن يجعل اللباس نعتا, لا أنه عائد على اللباس من ذكره في قوله: ذلكَ خَيْرٌ فيكون خير مرفوعا بذلك وذلك به. فإذ كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام إذن: رفع لباس التقوى, ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه خير لكم يا بني آدم من لباس الثياب التي تواري سوآتكم, ومن الرياش التي أنزلناها إليكم فالبسوه. وأما تأويل من قرأه نصبا, فإنه: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم, وريشا, ولباس التقوى هذا الذي أنزلنا عليكم, من اللباس الذي يواري سوآتكم, والريش, ولباس التقوى خير لكم من التعرّي والتجرّد من الثياب في طوافكم بالبيت, فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش, ولا تطيعوا الشيطان بالتجرّد والتعرّي من الثياب, فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة, كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله

الذي كان ألبسهما بطاعتهما له في أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التي عصياه بأكلها.

وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب, أعني نصب قوله: «وَلِباسَ التَّقْوَى» لصحة معناه في التأويل على ما بينت, وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذي يواري سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجرّدون في حال طوافهم بالبيت, ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها في كلّ حال مع الإيمان به واتباع طاعته, ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعرّيهم, لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض. وما يدلّ على صحة ما قلنا في ذلك الآيات التي بعد هذه الآية, وذلك قوله: يا بَني آدَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كمَا أخْرَجَ أبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوآتِهِما وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله: وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ فإنه جلّ ثناؤه يأمر في كلّ ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرّد والتعرّي وبالإيمان به واتباع أمره والعمل بطاعته, وينهي عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا في كل ذلك ما قد أجمله في قوله: يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِي سَواتِكُمْ وَرِيشا وَلِباس التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ.

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: «وَلِباسَ التَّقْوَى» استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن, لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملاً ومنه خائفا وله مراقبا, ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا. ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه, فحسن سمته وهديه ورُؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره.

وإنما قلنا: عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لأن اللباس إنما هو ادّراع ما يلبس واحتباء ما يكتسي, أو تغطية بدنه أو بعضه به, فكلّ من ادّرع شيئا أو احتبي به حتى يرى هو أو أثره عليه, فهو له لابس ولذلك جعل جلّ ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهنّ لهم لباسا, وجعل الليل لعباده لباسا.

ذكر من تأوّل ذلك بالمعنى الذي ذكرنا من تأويله إذا قرىء قوله: وَلِباسُ التَّقْوَى رفعا:

11309ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلِباسُ التَّقْوَى: الإيمان ذلكَ خَيْرٌ يقول: ذلك خير من الرياش واللباس يواري سوآتكم.

11310ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلِباسُ التَّقْوَى قال: لباس التقوى خير, وهو الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذّكّرُونَ.

يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله, وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة. لَعَلَّهُم يَذّكّرُون يقول جلّ ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلاً على ما وصفت ليذكّروا, فيعتبروا وينيبوا إلى الحقّ وترك الباطل, رحمة مني بعبادي.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {يَـابَنِيَ آدَمَ لاَ يَفْتِنَنّكُـمُ الشّـيْطَانُ كَمَـآ أَخْـرَجَ أَبَوَيْكُمْ مّنَ الْجَنّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ إِنّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُـهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنّا جَعَلْنَا الشّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم, كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدْعه من الجنة, ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة. وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلف أهل التأويل في صفة اللباس الذي أخبر الله جلّ ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان, فقال بعضهم: كان ذلك أظفارا. ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا في ذلك:

11311ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن عكرمة: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: لباس كلّ دابة منها, ولباس الإنسان: الظّفُر, فأدركت آدم التوبة عند ظفره, أو قال: أظفاره.

11312ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الحميد الحماني, عن نصر بن عمر, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: تركت أظفاره عليه زينة ومنافع في قوله: يَنْزِعُ عنهما لِباسَهُما.

حدثني أحمد بن الوليد القرشيّ, قال: حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير, قال: أخبرنا مخلد بن الحسين, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, في قوله: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما, وتركت الأظفار تذكرة وزينة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سماك, عن عكرمة, في قوله: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: كان لباسه الظفر, فانتهت توبته إلى أظفاره.

وقال آخرون: كان لباسهما نورا. ذكر من قال ذلك:

11313ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن وهب بن منبه: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما: النور.

11314ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن الزبير, عن ابن عيينة, قال: حدثنا عمرو, قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوآتِهِما قال: كان لباس آدم وحوّاء نورا على فروجهما, لا يرى هذا عورة هذه, ولا هذه عورة هذا.

وقال آخرون: إنما عنى الله بقوله: يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِباسَهُما يسلبهما تقوى الله. ذكر من قال ذلك:

11315ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا مطلب بن زياد, عن ليث, عن مجاهد: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: التقوى.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن ليث, عن مجاهد: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما قال: التقوى.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن ليث, عن مجاهد, مثله.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى حذّر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحوّاء, وأن

يجرّدهم من لباس اللـه الـذي أنزلـه إليهـم, كمـا نـزع عـن أبـويهم لباسـهما. واللباس المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعـارف النـاس, هـو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء, أو غطى بدنه أو بعضه. وإذ كـان ذلـك كذلك, فالحقّ أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحوّاء من لباسـهما الـذي نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانـا يواريـان بـه أبـدانهما وعورتهمـا وقـد يجوز أن يكون ذلك كان ظُفُرا, ويجوز أن يكون نـورا, ويجـوز أن يكـون غيـر ذلك, ولا خبر عندنا بأيّ ذلك تثبت به الحجة, فلا قول في ذلك أصوب مـن أن يقال كما قال جلّ ثناؤه: يَنْزِعُ عَنهُما لِباسَهُما. وأضاف جلّ ثناؤه إلـى إبليـس إخراج آدم وحوّاء من الجنة, ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وإن كـان الله جلّ ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه, إذ كـان الـذي كان منهما في ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه, فأضيف إليـه أحيانـا بذلك المعنى, وإلى الله أحيانا بفعله ذلك بهما.

القول في تأويل قوله تعالى: إِنّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْـثُ لا تَرَوْنَهُـمْ إنّـا جَعَلْنا الشيّاطِينَ أولِياءَ للّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ.

يعني جلّ ثناؤه بذلك: إن الشيطان يراكم هو. والهاء في «إنه» عائدة على الشيطان. وقبيله: يعني وصنفه وجنسه الذي هو منـه, واحـد جمعـه «قُبُـل» وهم الجنّ. كما:

11316ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنـي حجـاج, عـن ابـن جريج, عن مجاهد, قوله: إنّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ قال: الجنّ والشياطين.

11317ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: إنّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ قال: قبيله: نسله.

وقوله: مِنْ حَيْـثُ لا تَرَوْنَهُـمْ يقـول: مـن حيـث لا تـرون أنتـم أيهـا النـاس الشيطان وقبيلَه. إنّا جَعَلْنا الشّياطِينَ أوْلِيـاءَ للّـذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ يقـول: جعلنـا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدّقون رسله.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَـدْنَا عَلَيْهَـآ آبَاءَنَـا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ }.

ذكر أن معنى الفاحشة في هذا الموضع, ما:

11318ـ حدثني عليّ بن سعيد بن مسروق الكنديّ, قال: حدثنا أبو محياة عن منصور, عن مجاهد: وَإذَا فَعَلُوا فاحِشَـةً قـالُوا وَجَـدْنا عَلَيْهـا آباءَنـا وَاللّـهُ أمَرَنا بِها قـال: كـانوا يطوفـون بـالبيت عُـراة, يقولـون: نطـوف كمـا ولـدتنا أمّهاتنا, فتضع المرأة على قُبُلها النّسْعة أو الشيء فتقول:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلّهفَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أحِلّهُ

11319ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قـوله: وَإذَا فَعَلُـوا فاحِشَـةً قـالُوا وَجَـدْنا عَلَيْهَـا آباءَنـا فاحشـتهم أنهـم كـانوا يطوفون بالبيت عُراة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عـن مفضـل, عـن منصـور, عـن مجاهد, مثله.

11320ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حـدثنا عمـران بـن عيينـة, عـن عطـاء بـن السائب, عن سعيد بن جبير والشعبيّ: وَإذَا فَعَلُوا فاحِشَة قالُوا وَجَـدْنا عَلَيْهـا آباءَنا قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة.

11321ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجْدنا عَلَيْها أباءَنا وَاللـه أمَرَنا بِها قال: كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة, فإذا قيل: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا, والله أمرنا بها.

11322ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَإذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قال: طوافهم بالبيت عراة.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: وَإذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا قال: في طواف الخُمْس في الثياب وغيرهم عراة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: وَإذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْهَا آباءَنا قال: كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة, فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم قُلْ إن اللـه لا يَأمُرُ بِالفَحْشاءِ... الآية.

فتأويل الكلام إذن: وإذا فعل الذي لا يؤمنون بالله الذين جعل اللـه الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة, وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت وتجرّدهم له, فعُذِلوا على ما أتوا من قَبيح فعلهم وعُوتبوا عليه, قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا, فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون, ونقتدي بهديهم ونستنّ بسنتهم, والله أمرنا به, فنحن نتبع أمره فيه, يقول اللـه جلّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم: إن اللـه لا يأمر بالفحشاء, يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومَساويها, أتقولون أيها الناس على الله ما لا تعلمون يقول: أتروون على الله أنه أمركم بالتعرّي والتجرّد من الثياب واللباس للطواف, وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَىَ وَفَرِيقاً حَقّ عَلَيْهِمُ الضّلاَلَةُ إِنّهُمُ اتّخَذُوا الشّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنّهُم مّهْتَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قُلْ يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله: ما أمر ربي بما تقولون, بل أمَرَ رَبي بالقِسْطِ يعني: بالعدل. كما:

11323ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: قُلْ أمَرَ رَبي بالقِسْطِ بالعدل.

11324ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قُلْ أمَرَ رَبي بالقِسْطِ والقسط: العدل.

وأما قوله: وأقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معناه: وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة. ذكر من قال ذلك:

11325ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ إلى الكعبة حيثما صليتم في الكنيسة وغيرها.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَأقيمُـوا وُجُـوهَكُمْ عِنْـدَ كُـلّ مَسْـجِدٍ قـال: إذا صـليتم فاستقبلوا الكعبة في كنائسكم وغيرها.

11326ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وأقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُـلّ مَسْـجِدٍ هـو المسـجد: الكعبة.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا خالد بن عبد الرحمن, عن عمر بن ذرّ, عن مجاهد في قوله: وأقِيمُوا وُجُـوهَكُمْ عِنْـدَ كُـلّ مَسْـجِدٍ قـال: الكعبة حيثما كنت.

11327ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وأقيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: أقيموها للقبلة هذه القبلة الـتي أمركم الله بها.

وقال آخرون: بل عني بذلك: واجعلوا سجودكم لله خالصا دون مـا سـواه من الآلهة والأنداد. ذكر من قال ذلك:

11328ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبيه, عن الربيع, فـي قـوله: وأقِيمُـوا وُجُـوهَكُمْ عِنْـدَ كُـلّ مَسْـجِدٍ قال: في الإخلاص أن لا تدعوا غيره, وأن تخلصوا له الدين.

قال أبو جعفر: وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قـاله الربيـع, وهـو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصـلاتهم إلـى ربهـم, لا إلـى مـا سـواه مـن الأوثـان والأصنام, وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا, لا مُكاءً ولا تصدية.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية, لأن الله إنما خاطب بهذه الآيـة قومـا من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبِيَع, وإنما كانت الكنـائس والـبيع لأهل الكتابين, فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعـة: وجّـه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة.

وأما قوله: وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ فإنه يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة, لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شـيء ممـا تعملـون له شريكا. كما:

11329ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبيه, عن الربيع: وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَه الدّين قـال: أن تخلصـوا لـه الدين والدعوة والعمل, ثم توجهون إلى البيت الحرام.

القول في تأويل قوله تعالى: كَما بَدأكُمْ تَعُودُونَ فَريقا هَـدَى وَفَرِيقـا حَـقّ عَلَيْهِمْ الضّلالَةِ.

اختلف أهل التأويل في تأويل قـوله: كَمـا بَـدأكُمْ تَعُـودُونَ فقـال بعضـهم: تأويله: كما بدأكم أشقياء وسعداء, كذلك تُبعثون يوم القيامة. ذكـر مـن قـال ذلك:

11330ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كمَا بَـدأكُمْ تَعُـودُونَ فَرِيقـا هَـدَى وَفَرِيقـا حَـقّ عَلَيْهِـمُ الضّلاَلَةُ قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكـافرا, كمـا قـال جـلّ ثناؤه: هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا.

11331ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, قال: حدثنا أصحابنا, عن ابن عباس: كمَا بَدأكُم تَعُودُونَ قال: يبعث المؤمن مؤمنا, والكافر كافرا.

11332ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن الضريس, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن رجل, عن جابر, قال: يُبعثون على ما كانوا عليه, المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه.

11333ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع, عن أبي العالية, قال: عادوا إلى علمه فيهم, ألم تسمع إلى قول الله فيهم: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ؟ ألم تسمع قوله: فَرِيقا هَدَى وَفَرِيقا حَقّ عَلَيْهِمُ الضّلاَلَةُ؟.

11334ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية: كمَا بَدأكُمْ تَعُودون قال: رُدّوا إلى علمه فيهم.

11335ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا أبو همام الأهوازي, قال: حدثنا موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب, في قوله: كمَا بَدَأكُمْ تَعُودُونَ قال: من ابتدأ الله خلقه على الشّقوة صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل السعادة, كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى ما ابتدىء عليه خلقه. ومن ابتدىء خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدىء عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء, كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدىء عليه خلقهم.

11336ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن وفاء بن إياس أبي يزيد, عن مجاهد: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: يبعث المسلم مسلما, والكافر كافرا.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو دكين, قال: حدثنا سفيان, عن أبي يزيد, عن مجاهد: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: يبعث المسلم مسلما, والكافر كافرا.

11337ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير: كمَا بَداكُمْ تَعُودُونَ قال: كما كتب عليكم تكونون.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد, مثله.

11338ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقا هَدَى وَفَرِيقا حَقّ عَلَيْهُمْ الضّلاَلَةُ يقول: كما بدأكم تعودون كما خلقناكم, فريق مهتدون وفريق ضالّ, كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتم.

11339ـ حدثنا ابن بشار, قل: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن سفيان, عن جابر, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «تُبْعَثُ كُلّ نَفْسٍ على ما كانَتْ عَلَيْهِ».

حدثنا ابن وكيع, قال: أبو داود الحفري, عن شريك, عن سالم, عن سعيد بن جبير: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: كما كُتبَ عليكم تكونون.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن ليث, عن مجاهد, قال: يبعث المؤمن مؤمنا, والكافر كافرا.

11340ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ شقيّا وسعيدا.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابـن المبـارك قـراءة عـن مجاهد, مثله.
وقال آخرون: معنى ذلك: كما خلقكم ولم تكونوا شيئا تعودون بعد الفناء. ذكر من قال ذلك:
11341ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا غندر, عن عوف, عن الحسـن: كمَـا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: كما بدأكم ولم تكونوا شيئا فأحيـاكم, كـذلك يميتكـم ثـم يحييكم يوم القيامة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الأعلى, عـن عـوف, عـن الحسـن: كمَـا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء.
11342ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: كمَا بَدأكُمْ تَعُودُونَ قال: بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا, ثم ذهبوا ثـم يعيدهم.
11343ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: كمَا بَدأكُمْ تَعُـودُونَ فَرِيقـا هَـدَى يقـول: كما خلقناكم أوّل مرّة كذلك تعودون.
11344ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قـول اللـه: كمَـا بَـدأكُمْ تَعُـودُونَ يحييكم بعد موتكم.
11345ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: كمَا بَدأكُمْ تَعودُونَ قال: كما خلقهم أوّلاً, كذلك يعيدهم آخرا.
قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب, القول الـذي قـاله من قال معناه: كما بدأكم اللـه خلقـا بعـد أن لـم تكونـوا شـيئا تعـودون بعـد فنائكم خلقا مثله, يحشركم إلى يوم القيامة لأن الله تعـالى أمـر نـبيه صـلى الله عليه وسلم أن يُعْلِمَ بما فِـي هـذه الآيـة قومـا مشـركين أهـل جاهليـة لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدّقون بالقيامة, فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ومُثيب من أطاعه ومعـاقب مـن عصـاه, فقـال لـه: قـل لهم: أمر ربي بالقسط, وأن أقيموا وجـوهكم عنـد كـلّ مسـجد, وأن ادعـوه مخلصين له الدين, وأن أقرّوا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكـر «وأن أقـرّوا بأن» كما ترك ذكر «أن» مع «أقيموا», إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه. وإذ كان ذلك كذلك, فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات إلى الإقرار بالصفة التي عليها يُنشر من نُشـر, وإنمـا يـؤمر بالـدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدّقا, فأما من كان لـه جاحـدا فإنمـا يُـدعى إلـى الإقرار به ثم يُعَرّف كيف شرائط البعث. على أن في الخـبر الـذي رُوي عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي.
11346ـ حَدثنَاه محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قـال: حـدثنا سفيان, قال: ثني المغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جبير, عـن ابـن عبـاس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «يُحْشَر النّاسُ عُرَاةً غُـرْلاً, وأوّل مَـن يُكْسَى إبْرَاهِيمُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ» ثـمّ قَـرأ: كمَـا بَـدأنا أولَ خَلْـقٍ نُعِيـدُهُ وَعْدا عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلينَ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف, قال: حدثنا سفيان, عن المغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن المُغيرة بن النعمان, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة, فقال: «يا أيّها النّاسُ إنّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللّهِ حُفاةً غُرْلاً كمَا بَدأنْا أولَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدا عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلِينَ».

ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك, من أن معناه: أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقا أحياء كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء, يقال منه: بدأ الله الخلق يَبْدَؤهم وأبدأهم يُبْدِئهم إبداء بمعنى خلقهم, لغتان فصيحتان. ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه عما سبق من علمه في خلقه وجرى به فيهم قضاؤه, فقال: هدى الله منهم فريقا فوفّقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون, وحقّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد, باتخاذهم الشيطان من دون الله وليّا.

وإذا كان التأويل هذا, كان الفريق الأوّل منصوبا بإعمال هَدَى فيه, والفريق الثاني بوقوع قوله حقّ على عائد ذكره في عليهم, كما قال جلّ ثناؤه: يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظّالِمِينَ أعَدّ لَهُمْ عَذَابا أليما. ومن وجّه تأويل ذلك إلى أنه كما بدأكم في الدنيا صنفين: كافرا, ومؤمنا, كذلك تعودون في الآخرة فريقين: فَرِيقا هَدَى وَفَريقا حَقّ عَلَيْهِمُ الضّلالَةُ نصب «فريقا» الأوّل بقوله: «تعودون», وجعل الثاني عطفا عليه. وقد بيّنا الصواب عندنا من القول فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: إنّهُمُ اتّخذُوا الشّياطِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أنّهُمْ مُهْتَدُونَ.

يقول تعالى ذكره: إن الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة, باتخاذهم الشياطين نُصَراء من دون الله وظهراء, جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحقّ, وأن الصواب ما أتوه وركبوا. وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذّب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها, لأن ذلك لو كان كذلك, لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلّ وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرقٌ, وقد فرّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {يَابَنِيَ آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْمُسْرِفِينَ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرّون عند طوافهم ببيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب, والمحرّمين منهم أكل ما لم يحرّمه الله عليهم من حلال رزقه تبرّرا عند نفسه لربه: يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ من الكساء واللباس, عِنْدَ كُلْ مَسْجِد وكُلُوا من طيبات ما رزقتكم, وحللته لكم, وَاشْرَبُوا من حلال الأشربة, ولا تحرّموا إلا ما حرّمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11347ـ حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي, قال: حدثنا خالد بن الحرث, قال: حدثنا شعبة, عن سلمة, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: أنّ النساء كنّ يطفن بالبيت عراة وقال في موضع آخر: بغير ثياب إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف إن شاء الله, وتقول:
اليَوْمَ يَبْدُوا بَعْضُهُ أوْ كُلّهُفَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلّهُ
قال: فنزلت هذه الآية: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِد.
حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سلمة بن كهيل, عن مسلم البطين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كانوا يطوفون عراة, الرجال بالنهار, والنساء بالليل, وكانت المرأة تقول:
اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلهُفَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أحِلّهُ
فقال الله: خُذُوا زِينَتَكُمْ.
11348ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن ابن عباس: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلْ مَسْجِدٍ قال: الثياب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عندر ووهب بن جرير, عن شعبة, عن سلمة بن كهيل, قال: سمعت مسلما البطين يحدّث عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة قال غُنْدَرٌ: وه ي عريانة, قال وهب: كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك.

قال غندر: وتقول: من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول:
اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلّهُوَما بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلّهُ
فأنزل الله يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِد.
حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِد قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة, فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مسْجِدٍ... الآية, قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة, فأمرهم الله بالزينة. والزينة: اللباس, وهو ما يواري السوأة, وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع, فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد.
11349ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي وابن فضيل, عن عبد الملك, عن عطاء: خُذُوا زِينَتَكُمْ قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة, فأمروا أن يلبسوا ثيابهم.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن عبد الملك, عن عطاء, بنحوه.
حدثني عمرو, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا عبد الملك, عن عطاء, في قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ: البسوا ثيابكم.
11350ـ حدثنا يعقوب قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة عن إبراهيم في قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة, فأمروا أن يلبسوا الثياب.

11351ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: ما وارى العورة ولو عباءة.

حدثنا عمرو قال: حدثنا يحيى بن سعيد, وأبو عاصم, وعبد الله بن داود, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد, في قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: ما يواري عورتك ولو عباءة.

11352ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ في قريش, لتركهم الثياب في الطواف.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

11353ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا سفيان, عن سالم, عن سعيد بن جبير: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: الثياب.

11354ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن حباب, عن إبراهيم, عن نافع, عن ابن طاوس, عن أبيه: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: الشملة من الزينة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن طاوس: خُذوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: الثياب.

11355ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا سويد وأبو أسامة, عن حماد بن زيد, عن أيوب, عن سعيد بن جبير, قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة, فطافت امرأة بالبيت وهي عريانة, فقالت:

اليَوْمَ يَبْدو بَعْضُهُ أوْ كُلّهُفَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلّهُ

11356ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ قال: كان حيّ من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجّاً أو معتمرا يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنّست فيه, فيقول: من يعيرني مئزرا؟ فإن قدر على ذلك, وإلا طاف عريانا, فأنزل الله فيه ما تسمعون: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ.

11357ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قال الله: يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ يقول: ما يواري العورة عند كلّ مسجد.

11358ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ: أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة, إلا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس, فإنه لا يحلّ له أن يلبس ثيابه, فإن لم يجد من يعيره من الحمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عريانا, وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه, فلذلك قال: خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ.

وبه عن معمر قال: قال ابن طاوس, عن أبيه: الشملة من الزينة.

11359ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلّ مَسْجِدٍ... الآية, كان ناس من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلاً, فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم وَلا يتعرّوا في المسجد.

11360ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد: خُـذُوا زِينَتَكُمْ قال: زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون.
11361ـ وحدثني به مرة أخرى بإسناده, عن ابن زيد في قـوله: قُـلْ مَـنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ, وَالطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ قـال: كـانوا إذا جـاءوا البيت فطافوا به حرمت عليهـم ثيـابهم الـتي طـافوا فيهـا, فـإن وجـدوا مـن يعيرهم ثيابا, وإلا طافوا بالبيت عراة, فقال: مَنْ حَرّمَ زِينَـةَ اللّـهِ ق ال: ثيـاب الله التي أخرج لعباده... الآية.
وكالذي قلنا أيضا, قالوا في تأويل قوله: وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلا تُسْـرِفُوا. ذكـر من قال ذلك:
11362ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: أحلّ الله الأكل والشرب مـا لم يكن سرفا أو مخيلة.
حـدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا الحسـين, قـال: ثنـي حجـاج, عـن عطـاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: وكُلُـوا وَاشْـرِبُوا وَلا تُسْـرِفُوا إنّـهُ لا يُحِـبّ المُسْرِفِينَ في الطعام والشراب.
11363ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قال: كان الذين يطوفون بـالبيت عـراة يحرّمـون عليهم الوَدَك ما أقاموا بالموسم, فقال الله لهم: كُلُـوا وَاشْـرَبُوا وَلا تُسْـرِفُوا إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ يقول: لا تسرفوا في التحريم.
11364ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيـز, قـال: حـدثنا أبـو سـعد, قال: سـمعت مجاهـدا يقـول فـي قـوله: وكُلُـوا وَاشْـرَبُوا وَلا تُسْـرِفُوا قـال: أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله.
11365ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَلا تُسْرِفُوا لا تأكلوا حراما ذلك الإسراف.
وقوله إنّهُ لا يُحِبّ المُسْرِفِينَ يقول: إن الله لا يحبّ المتعدّين حدّه في حلال أو حرام, الغالين فيما أحـلّ اللـه أو حـرّم بـإحلال الحـرام, وبتحريـم الحلال, ولكنه يحب أن يحلل ما أحلّ ويحرّم ما حرّم, وذلك العدل الذي أمر به.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّـهِ الّتِـيَ أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَالْطّيّبَاتِ مِنَ الـرّزْقِ قُـلْ هِـي لِلّـذِينَ آمَنُـواْ فِـي الْحَيَـاةِ الـدّنْيَا خَالِصَـةً يَـوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهـؤلاء الجهلـة مـن العـرب الـذين يتعـرّون عنـد طـوافهم بـالبيت, ويحرّمـون علـى أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق: مَنْ حَرّمَ أيهـا القـوم عليكـم زِينَـةَ اللّهِ التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها, والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم.
واختلف أهل التأويل في المعنىّ بالطيبات من الرزق بعد إجماعهم على أن الزينة ما قلنا, فقال بعضهم: الطيبات من الرزق فـي هـذا الموضـع: اللحـم, وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه في حال إحرامهم. ذكر من قال ذلك منهم:

11366ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ وهو الودك.

11367ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ الذي حرّموا على أنفسهم, قال: كانوا إذا حجوا أو اعتمروا حرّموا الشاة عليهم وما يخرج منها.

وحدثني به يونس مرّة أخرى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال بن زيد, في قوله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ... إلى آخر الآية, قال: كان قوم يحرّمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها, فقال الله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ قال: والزينة من الثياب.

11368ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا حبان بن موسى, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن سفيان, عن رجل, عن الحسن, قال: لما بعث محمدا فقال: هذا نبيي هذا خياري, استنّوا به خذوا في سنته وسبيله لم تُغلق دونه الأبواب ولم تُقم دونه الحُجُب, ولم يغد عليه بالجبار ولم يرجع عليه بها. وكان يجلس بالأرض, ويأكل طعامه بالأرض, ويلعق يده, ويلبس الغليظ, ويركب الحمار, ويردف عبده, وكان يقول: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنّتِي فَلَيْسَ مِنّي». قال الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها, ثم عُلوجا فسّاقا, أكلة الربا والغلول, قد سفههم ربي ومقتهم, زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت, يتأوّلون هذه الآية: قُل مَنْ حَرمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطّيّباتِ مِن الرّزْقِ وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان, قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان.

وقال آخرون: بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرّم من البحائر والسوائب. ذكر من قال ذلك:

11369ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيّباتِ مِنَ الرّزقِ وهو ما حرّم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم: البحيرة, والسائبة, والوصيلة, والحام.

11370ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ قال: إن الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها, وهو قول الله: قُلْ أرأيْتُمْ ما أنْزَلَ الله لَكُم مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلالاً وهو هذا, فأنزل الله: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ.

القول في تأويل قوله تعالى: قُلْ هِيَ للّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنْيا خالِصَة يَوْمَ القِيامَةِ.

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيّباتِ مِن الرّزْقِ إذ عيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك: زينة الله التي أخرج لعباده, وطيبات رزقه للذين صدّقوا الله ورسوله, واتبعوا ما أنزل إليك من ربك في الدنيا, وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف

أمر ربه, وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة, لا يشركهم في ذلك يومئذٍ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: ذكر من قال ذلك:

11371ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس: قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ يقول: شارك المسلمون الكفار في الطيّبات, فأكلوا من طيبات طعامها, ولبسوا من خيار ثيابها, ونكحوا من صالح نسائها, وخلصوا بها يوم القيامة.

وحدثني به المثنى مرّة أخرى بهذا الإسناد بعينه, عن ابن عباس, فقال: قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنَيا يعني: يشارك المسلمون المشركين في الطيّبات في الحياة الدنيا, ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا, وليس للمشركين فيها شيء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيّباتِ مِنَ الرّزْقِ قُلْ هِي للَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياة الدّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القيامةِ يقول: قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا, لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة في الدنيا لكلّ بني آدم, فجعلها الله خالصة لأوليائه في الآخرة.

11372ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك: قُلْ هِيَ الّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ قال: اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا, وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة.

11373ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: قُلْ هِيَ الّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار, فأما في الدنيا فقد شاركوهم.

11374ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: قُلْ هِيَ للَّذِينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ من عمل بالإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة, ومن ترك الإيمان في الدنيا قدم على ربه لا عذر له.

11375ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قُل هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنْيا يشترك فيها معهم المشركون, خالِصَةً يَومَ القِيامَةِ للذين آمنوا.

11376ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قُل مَنْ حَرمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطّيّباتِ مِنَ الرّزقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنْيا خالِصَةً يَومَ القِيامَةِ يقول: المشركون يشاركون المؤمنين في الدنيا في اللباس والطعام والشراب, ويوم القيامة يُخَلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين, وليس للمشركين في شيء من ذلك نصيب.

11377ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر, ويخلص خير الآخرة للمؤمنين, وليس للكافر فيها نصيب.

11378ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: قُلْ هِيَ لِلّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنيْا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ قال: هذه يوم القيامة للذين آمنوا, لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها فِي الـدنيا, وإذا كـان يـوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير. وقال سعيد بن جبير في ذلك, بما:

11379ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسماعيل بن أبان وحيوية الرازي أبو يزيد عن يعقوب القمي, عن سعيد بن جبير: قُلَ هِيَ لِلّذِينَ آمَنُوا فِـي الحَيـاةِ الدّنيْا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ قال: ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم إثمها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله «خالصة», فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة: «خالِصَةٌ» برفعها, بمعنى: قل هي خالصة للـذين آمنـوا. وقـرأه سـائر قـرّاء الأمصار: خالصَةً بنصبها على الحـال مـن لهـم, وقـد تـرك ذكرهـا مـن الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليهـا, علـى مـا قـد وصـفت فـي تأويـل الكلام أن معنى للكلام: قل هي للـذين آمنـوا فـي الحيـاة الـدنيا مشـتركة, وهـي لهـم الآخرة خالصة. ومن قال ذلك بالنصب جعل خـبر «هـي» فـي قـوله: لِلّـذِينَ آمَنُوا.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي بالصحة قراءة من قرأ نصبا, لإيثـار العرب النصب في الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة وإن كان الرفـع جـائزا, غير أن ذلك أكثر في كلامهم.

القول في تأويل قوله تعالى: كَذَلِكَ نُفَصّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

يقول تعالى ذكره: كمـا بينـت لكـن الـواجب عليكـم فـي اللبـاس والزينـة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها, وميزت بيـن ذلـك لكـم أيهـا الناس, كذلك أبين جميع أدلـتي وحججـي وأعلام حلالـي وحرامـي وأحكـامي لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما يميز لهم.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّمَا حَرّمَ رَبّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزّلْ بِـهِ سُـلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمـد: قـل يـا محمـد لهـؤلاء المشـركين الـذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت, ويحرمون أكل طيبات ما أحلّ الله لهـم من رزقه أيها القوم: إن الله لـم يحـرّم مـا تحرّمـونه, بـل أجـلّ ذلـك لعبـاده المؤمنين وطيّبه لهم. وإنما حرّم ربي القبائح من الأشـياء, وهـي الفـواحش, ما ظهر منها فكان علانية, وما بطن منها فكان سرّا في خفاء. وقد رُوي عـن مجاهد في ذلك ما:

11380ـ حدثني الحرث, قال: ثني عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا يقول في قوله: ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَـنَ قـال: مـا ظهـر منهـا طواف أهل الجاهلية عراة, وما بطن: الزنا.

وقد ذكرت اختلاف أهـل التأويـل فـي تأويـل ذلـك بالروايـات فيمـا مضـى فكرهت إعادته.

وأما الإثم: فإنه المعصية. والبغي: الاستطالة علـى النـاس. يقـول تعـالى ذكره: إنما حرّم ربي الفواحش مع الإثم والبغي على الناس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11381ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَالإثمَ والبَغْيَ أما الإثم: فالمعصية, والبغي: أن يبغي على الناس بغير الحقّ.

11382ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا في قوله: ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ قال: نهى عن الإثم وهي المعاصي كلها, وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى: وأنْ تُشْرِكُوا باللّهِ ما لَمْ يُنزّلْ بِهِ سُلْطانا وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ.

يقول جلّ ثناؤه: إنما حرم ربي الفواحش والشرك به أن تعبدوا مَعَ الله إلها غيرَهُ, ما لَمْ ينزّلْ بِهِ سُلْطانا يقول: حرّم ربكم عليكم أن تجعلوا معه في عبادته شركا لشيء لم يجعل لكم في إشراككم إياه في عبادته حجة ولا برهانا, وهو السلطان. وأنْ تَقُولُوا على اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ يقول: وأن تقولوا: إن الله أمركم بالتعرّي والتجرّد للطواف بالبيت, وحرّم عليكم أكل هذه الأنعام التي حرّمتموها وسيّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي, وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه أو أمر به أو أباحه, فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به, فإن ذلك هو الذي حرّمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرّمه أو تقولون إن الله أمركم به جهلاً منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِكُلّ أُمّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره مهدّدا للمشركين الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها, ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه وعلى إصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم, ومذكّرا لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم: وَلِكُلّ أمّةٍ أجَلٌ يقول: ولكلّ جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردّ نصائحهم, والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم, أجل, يعني: وقت لحلول العقوبات بساحتهم, ونزول المثلات بهم على شركهم. فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقّته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم لا يَسْتأخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ يقول: لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان. وَلا يَسْتَقْدِمُون يقول: ولا يتقدمون بذلك أيضا عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتا للهلاك.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {يَابَنِيَ آدَمَ إِمّا يَأْتِيَنّكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتّقَىَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره معرّفا خلقه ما أعدّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله, وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله: يا بَنِي آدَمَ إمّا يَأتِيَنّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يقول: إن يجئكم رسلي الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعته والانتهاء إلى أمري ونهي منكم, يعني: من أنفسكم, ومن عشائركم وقبائلكم. يَقُصّون عَلَيْكُمْ آياتِي يقول: يتلون عليكم آيات كتابي, ويعرّفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاءوكم به من عندي,

وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدي. فَمَنْ اتّقَى وأصْلَحَ يقول: فمن آمن منكم بما أتاه به رسلي مما قصّ عليه من آياتي وصدّق واتقى الله, فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه, على لسان رسوله. وأصْلَحَ يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصي الله بالتحوّب منها. فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه. وَلاهُمْ لا يَحْزنُونَ على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها, وشهواتهم التي تجنبوها, اتباعا منهم لنهي الله عنها إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك.

11383ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام أبو عبد الله, قال: حدثنا هياج, قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد, عن أبي سيار السلمي, قال: إن الله جعل آدم وذرّيته في كفه, فقال: يا بَنِي آدَمَ إمّا يَأْتِيَنّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصّونَ عَلَيْهِمْ آياتِي فَمَنِ اتّقَى وأصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ, ثم نظر إلى الرسل فقال: يَا أيّها الرّسُلُ كُلُوا مِنَ الطّيّباتِ وَاعْمَلُوا صَالِحا إنّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإنّ هَذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً واحِدَةً وأنا رَبكُمْ فاتّقُونِ ثم بثهم.

فإن قال قائل: ما جواب قوله: إمّا يأْتِيَنّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك, فقال بعضهم في ذلك: الجواب مضمر, يدلّ عليه ما ظهر من الكلام, وذلك قوله: فَمَنِ اتّقَى وأصْلَحَ وذلك لأنه حين قال: فمَنِ اتّقَى وأصْلَحَ كأنه قال: فأطيعوهم.

وقال آخرون منهم: الجواب: «فمن اتقى», لأن معناه, فمن اتقى منكم وأصلح. قال: ويدلّ على أن ذلك كذلك, تبعيضه الكلام, فكان في التبعيض اكتفاء من ذكر «منكم».

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وأما من كذب بأنباء رسلي التي أرسلتها إليه وجحد توحيدي وكفر بما جاء به رسلي واستكبر عن تصديق حججي وأدلتي, فأُولَئِكَ أصحَابُ النّارِ هُمْ فيها خالدون يقول: هم في نار جهنم ماكثون, لا يخرجون منها أبدا.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مّنَ الْكِتَابِ حَتّىَ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفّوْنَهُمْ قَالُوَاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلّواْ عَنّا وَشَهِدُواْ عَلَىَ أَنْفُسِهِمْ أَنّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلاً وأجهل قولاً وأبعد ذهابا عن الحقّ والصواب مِمّن افْتَرَى على اللّهِ كَذِبا يقول: ممن اختلق على الله زورا من القول, فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها. أوْ كَذّبَ بآياتِهِ يقول: أو كذّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه, فجحد حقيقتها ودافع صحتها. أُولَئِكَ يقول: من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذّب بآياته, أُولَئِكَ يَنالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة ذلك النصيب الذي لهم في الكتاب وما هو, فقال بعضهم: هو عذاب الله الذي أعدّه لأهل الكفر به. ذكر من قال ذلك.
11384ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا مروان, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, قوله: أُولَئِكَ يَنالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ: أي من العذاب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن إسماعيل, عن أبي صالح, مثله.
11385ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أُولَئِكَ يَنالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ يقول: ما كتب لهم من العذاب.
11386ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن كثير بن زياد, عن الحسن في قوله: أُولَئِكَ ينالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: من العذاب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن جويبر, عن أبي سهل, عن الحسن, قال: من العذاب.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن رجل, عن الحسن, قال: من العذاب.
وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة. ذكر من قال ذلك.
11387ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سعيد: أولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: من الشقوة والسعادة.
11388ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ كشقيّ وسعيد.
11389ـ حدثنا واصل بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن الحسن, بن عمرو والفقيمي, عن الحكم قال: سمعت مجاهدا يقول: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: هو ما سبق.
حدثنا المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ: ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَنالُهُم نَصيبُهُم مِنَ الكِتابِ: ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة, كشقيّ وسعيد.
11390ـ قال: حدثنا ابن المبارك, عن شريك, عن جابر, عن مجاهد, عن ابن عباس: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ من الشقاوة والسعادة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نمير وابن إدريس, عن الحسن بن عمرو, عن الحكم, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِن الكِتابِ قال: ما قد سبق من الكتاب.
11391ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن فضيل بن مرزوق, عن عطية: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ما سبق لهم في الكتاب.

قال: حدثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم, عن شريك, عن سالم, عن سعيد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم قال: من الشقاوة والسعادة.
قال: حدثنا أبو معاوية, عن سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: ما قضى أو قدّر عليهم.
11392ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: يَنالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ ينالهم الذي كتب عليهم من الأعمال.
11393ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن إسماعيل بن سميع, عن بكر الطويل, عن مجاهد, في قول الله: أولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: قوم يعملون أعمالاً لا بدّ لهم أن يعملوها.
وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذي كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشرّ. ذكر من قال ذلك.
11394ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ يقول: نصيبهم من الأعمال, من عمل خيرا جزي به, ومن عمل شرّا جُزي به.
11395ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم.
11396ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ قال: ينالهم نصيبهم في الآخرة من أعمالهم التي عملوا وأسلفوا.
حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, عن سعيد, عن قتادة, قوله: أُولَئِكَ يَنالُهُم نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ أي أعمالهم, أعمال السوء التي عملوها وأسلفوها.
حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: قال أبي: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ زعم قتادة: من أعمالهم التي عملوا.
11397ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, قوله: أولَئِكَ يَنالُهُمُ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ يقول: ينالهم نصيبهم من العمل, يقول: إن عمل من ذلك نصيب خير جزي خيرا, وإن عمل شرّا جزي مثله.
وقال آخرون: معنى ذلك: ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شرّ. ذكر من قال ذلك:
11398ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد, عن ابن عباس في هذه الآية: أولَئِكَ يَنالُهمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: من الخير والشرّ.
11399ـ قال: حدثنا زيد, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: ما وعدوا.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ما وعدوا.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتابِ قال: ما وعدوا فيه من خير أو شرّ.

11400ـ قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد, عن ليث, عن ابن عباس: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ما وعدوا مثله.
11401ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, قال: ما وعدوا فيه من خير أو شرّ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ما وعدوا فيه.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ما وعدوا من خير أو شرّ.
حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن الحسين بن عمرو, عن الحكم, عن مجاهد, في قول الله: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: ينالهم ما سبق لهم من الكتاب.
وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذي كتبه الله على ما افترى عليه. ذكر من قال ذلك:
11402ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ يقول: ينالهم ما كتب عليهم, يقول: قد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسودّ.
وقال آخرون: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل. ذكر من قال ذلك:
11403ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرحمن بن سعد, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع ابن أنس: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ مما كتب لهم من الرزق.
11404ـ قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا محمد بن حرب, عن ابن لهيعة, عن أبي صخر, عن القرظي: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: عمله ورزقه وعمره.
11405ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ قال: من الأعمال والأرزاق والأعمال, فإذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها.
قال أبو جعفر, وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشرّ في الدنيا ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: حتى إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوفّوْنَهُمْ قالُوا أيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فأبان بإتباعه ذلك قوله: أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيا عليهم في الدنيا أن ينالهم, لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعدّ لهم في الآخرة, لم يكن محدودا بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لو فاتهم لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة, وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه, فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه.
القول في تأويل قوله تعالى: إذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفّوْنَهُمْ قالُوا أيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ قالُوا ضَلّوا عَنّا وشَهِدُوا على أنْفُسِهِمْ أنّهُمْ كانُوا كافِرِينَ.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: حتى إذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا إلى أن جاءتهم رسلنا, يقول جلّ ثناؤه: وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب أو كذّبوا بآيات ربهم, ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم وسبق في علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشرّ في الدنيا, إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم. فإذَا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يعني: ملك الموت وجنده. يَتَوَفّوْنَهُمْ يقول: يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة. قالُوا أيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: قالت الرسل: أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم, لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء, وهلاّ يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فأجابهم الأشقياء, فقالوا: ضلّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله يعني بقوله: ضَلّوا: جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا. يقول الله جلّ ثناؤه: وشهد القوم حينئذٍ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ ادْخُلُواْ فِيَ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مّن الْجِنّ وَالإِنْسِ فِي النّارِ كُلّمَا دَخَلَتْ أُمّةٌ لّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتّيَ إِذَا ادّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبّنَا هَـَؤُلآءِ أَضَلّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مّنَ النّارِ قَالَ لِكُلّ ضِعْفٌ وَلَـَكِن لاّ تَعْلَمُونَ }.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذّبين آياته يوم القيامة, يقول تعالى ذكره: قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة: ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذّبون رسله في جماعات من ضربائكم قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ يقول: قد سلفت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار. ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس. وإنما يعني بالأمم: الأحزاب وأهل الملل الكافرة. كُلّمَا دَخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا يقول جلّ ثناؤه: كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها, يقول: شتمت الجماعةُ الأخرى من أهل ملتها تبرّيا منها. وإنما عني بالأخت: الأخوّة في الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها, لأنه عني بها أمة وجماعة أخرى, كأنه قيل: كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11406ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: كُلّما دَخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها يقول: كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدنيا يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس, تلعن الآخرةُ الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى: حتى إذَا ادّارَكُوا فِيها جَمِيعا.

يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعا, يعني: اجتمعت فيها, يقال: قد ادّاركوا وتداركوا: إذا اجتمعوا, يقول: اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبنا هَؤُلاءِ أضَلّونا فَآتِهِمْ عَذَابا ضِعْفا مِنَ النّارِ قالَ لِكُلَ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة, يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فادّاركوا, قالت أخرى أهل كلّ ملة دخلت النار الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا وإماما في الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعوْنا إلى عبادة غيرك وزيّنُوا لنا طاعة الشيطان, فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا. كما:

11407ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين: رَبّنا هَؤلاءِ أضَلّونا فَآتِهِمْ عَذَابا ضِعْفا مِنَ النّارِ.

وأما قوله: قالَ لِكُلَ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمونَ فإنه خبر من الله عن جوابه لهم, يقول: قال الله للذين يدعونه فيقولون: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكلكم, أوّلكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعف, يقول: مكررٌ عليه العذاب. وضعف الشيء: مثله مرّة: وكان مجاهد يقول في ذلك, ما:

11408ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: عَذَابا ضِعْفا مِنَ النّارِ قالَ لِكلّ ضِعْفٌ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11409ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال الله: لِكُلَ ضِعْفٌ للأولى وللآخرة ضعف.

11410ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, قال: ثني غير واحد, عن السديّ, عن مرّة, عن عبد الله: ضِعْفا مِنَ النّارِ قال: أفاعي.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن مرّة, عن عبد الله: فآتهم عَذَابا ضِعْفا مِنَ النّارِ قال: حيات وأفاعي.

وقيل: إن الضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك.

وقوله: وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ يقول: ولكنكم يا معشر أهل النار, لا تعلمون ما قدر ما أعدّ الله لكم من العذاب, فلذلك تسأل الضعف منه الأمة الكافرة الأخرى لأختها الأولى.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وقالت أولى كلّ أمة وملة سبقت في الدنيا لأخراها الذين جاءوا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها, فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم: فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ وقد علمتم ما حلّ بنا من عقوبة الله بمعصيتنا إياه وكفرنا به, وجاءتنا وجاءَتكم بذلك الرسل والنّذر, هل انتهيتم إلى طاعة الله, وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم؟ فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابا بأن يقولوا فُضّلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدّقنا

رسله, قال الله لجميعهم: فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم, بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي, وتجترحون من الذنوب والأجرام

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11411ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت عمران, عن أبي مجلز: وَقالَتْ أُولاهم لِإخْرَاهُمْ فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ قال: يقول: فما فضلكم علينا, وقد بين لكم ما صنع بنا وحُذرتم.

11412ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَقالَتْ أُولاهُمْ لِإخْرَاهُمْ فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فقد ضللتم كما ضللنا.

وكان مجاهد يقول في هذا بما:

11413ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ قال: من التخفيف من العذاب.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فَمَا كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْل قال: من تخفيف.

وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له, لأن قول القائلين: فما كان لكم علينا من فضل, لمن قالوا ذلك إنما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال, يدلّ على ذلك دخول «كان» في الكلام, ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذي قالول لربهم: آتهم عذابا ضعفا من النار, لكان التوبيخ أن يقال: فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا. ولم يقل: فما كان لكم علينا من فضل.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّىَ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدّقوا بها ولم يتبعوا رسلنا, واسْتَكْبَرُوا عَنْها يقول: وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا, لا تفتح لهم لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء, ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل, لأن أعمالهم خبيثة. وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح, كما قال جلّ ثناؤه: إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ وَالعَمَلَ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ فقال بعضهم: معناه: لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء. ذكر من قال ذلك:

11414ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يعلى, عن أبي سنان, عن الضحاك, عن ابن عباس: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: عنى بها الكفار أن السماء لا تفتح لأرواحهم وتفتح لأرواح المؤمنين.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو معاوية, عن أبي سنان, عن الضحاك, قال: قال ابن عباس: تفتح السماء لروح المؤمن, ولا تفتح لروح الكافر.

11415ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: إن الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء, فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط, فضربته ملائكة الأرض فارتفع, فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا, فهبط إلى أسفل الأرضين وإذا كان مؤمنا أخذ روحه, وفُتح له أبواب السماء, فلا يمرّ بملك إلاّ حياه وسلم عليه حتى ينتهي إلى الله, فيعطيه حاجته, ثم يقول الله: ردّوا روح عبدي فيه إلى الأرض, فإني قضيت من التراب خلقه, وإلى التراب يعود, ومنه يخرج.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء إلى الله. ذكر من قال ذلك:

11416ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبيد الله, عن سفيان, عن ليث, عن عطاء, عن ابن عباس: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ: لا يصعد لهم قول ولا عمل.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: إنّ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتّحُ لَهُم أبْوَابُ السّماءِ يعني: لا يصعد إلى الله من عملهم شيء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ يقول: لا تفتح لخير يعملون.

11417ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: لا يصعد لهم كلام ولا عمل.

11418ـ حدثنا مطر بن محمد الضبي, قال: حدثنا عبد الله بن داود, قال: حدثنا شريك, عن منصور, عن إبراهيم, في قوله: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء.

11419ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن شريك, عن سالم, عن سعيد: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحماني, قال: حدثنا شريك, عن سعيد: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم. ذكر من قال ذلك:

11420ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج: لا تُفَتّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ قال: لأرواحهم ولا لأعمالهم.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا في تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جلّ ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم, ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء, فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا في ذلك. وذلك ما:

11421ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن الأعمش, عن المنهال, عن زاذان, عن البراء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر, وأنه يصعد بها إلى السماء, قال: «فَيَصْعَدُونَ بِها فَلا يَمُرّونَ على مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلاّ قالوا: ما هَذَا الرّوحُ الخَبِيثُ, فَيَقُولُونَ: فُلانٌ, بأقْبَحِ أسْمائِهِ التي كان يُدعَى بهَا فِي الدّنْيا. حتى يَنْتَهُوا بِها إلى السّماءِ, فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه

وسلم: لا تُفَتّح لَهُمْ أبْوَابُ السّماء وَلا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ.

11422ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن, عن ابن أبي ذئب, عن محمد بن عمرو بن عطاء, عن سعيد بن يسار, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «المَيّتُ تَحْضُرُهُ المَلائِكَةُ, فإذَا كانَ الرّجُلُ الصّالِحُ قالُوا اخْرُجِي أيّتُها النّفْسُ الطّيّبَةُ كانَتْ في الجَسَدِ الطّيّبِ, اخْرُجِي حَمِيدَةً, وأبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ وَرَبَ غيرِ غَضْبانَ قال: فَيَقُولُونَ ذلكَ حتى يُعْرَجَ بِها إلى السّماءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا, فَيُقالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلانٌ, فَيُقال: مَرْحَبا بالنّفْسِ الطّيّبَةِ التي كانَتْ في الجَسَدِ الطّيّبِ, ادْخُلِي حَمِيدَةً, وأبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحانٍ وَرَبَ غيرِ غَضْبانَ فَيُقالُ لهَا ذلكَ حتى تَنْتَهِيَ إلى السّماءِ التي فِيها اللّهُ. وَإذَا كان الرّجُلُ السّوءُ قال: اخْرُجِي أيّتُها النّفْسُ الخَبِيثَةُ كانَت في الجَسَدِ الخَبِيثِ, اخْرِجِي ذَمِيمَةً, وَأبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسّاقٍ وآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ فَيَقُولُونَ ذلكَ حتى تَخْرُجَ ثُمّ يُعْرَجُ بِها إلى السّماءِ, فَيُسْتَفْتَحُ لَها, فَيُقالُ: من هَذَا؟ فَيَقُولُون: فُلانٌ, فَيَقُولُونَ: لا مَرْحَبا بالنّفْسِ الخَبِيثَةِ كانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ, ارجِعِي ذَمِيمَةً فإنّهُ لا تُفْتَحُ لكِ أبْوابُ السّماءِ فَتُرسَلُ بينَ السماءِ والأرضِ فَتَصِيرُ إلى القَبْرِ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبدَ الحكم, قال: حدثنا ابن أبي فديك, قال: ثني ابن أبي ذئب, عن محمد بن عمرو بن عطاء, عن سعيد بن يسار, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة: «لا يُفْتَحُ لَهُمْ أبْوَابُ السّماءِ» بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها, بمعنى: لا يفتح لهم جميعها بمرّة واحدة وفتحة واحدة. وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين: لا تُفَتّحُ بالتاء وتشديد التاء الثانية, بمعنى: لا يفتح لهم باب بعد باب وشيء بعد شيء.

قال أبو جعفر: والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى, وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرّة واحدة ولا مرّة بعد مرّة وباب بعد باب, فكلا المعنيين في ذلك صحيح, وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح, لأن الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء, لأن الأبواب جماعة, فيخبر عنها خبر الجماعة.

القول في تأويل قوله تعالى: وَلا يَدْخُلُونَ الجَنّةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِ ي سَمّ الخِياطِ وكذلكَ نَجْزِي المُجْرِمين.

يقول جلّ ثناؤه: ولا يدخل هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبدا, كما لا يلج الجمل فِي سَمّ الخياط أبدا, وذلك ثقب الإبرة. وكلّ ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك, فإن العرب تسميه سَمّا وتجمعه سُموما وسِماما, والسّمام في جمع السّمّ القاتل أشهر وأفصح من السموم, وهو في جمع السّمّ الذي هو بمعنى الثقب أفصح, وكلاهما في العرب مستفيض, وقد يقال لواحد السّموم التي هي الثقوب: سَمّ وسُمّ بفتح السين وضمها, ومن السّمّ الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق:

فَنَفّسْتُ عَنْ سَمّيْهِ حتى تَنَفّساوَقُلْتُ لهُ لا تَخْشَ شَيْئا وَرَائِيا

يعني بسَمّيه: ثقَبي أنفه. وأما الخِياط: فإنه المِخْيَط وهي الإبرة, قيل لها: خِيَاط ومخيط, كما قيل: قِنَاع ومِقْنَع, وإزار ومِئْزَر, وقِرَام ومِقْرَم, ولحاف

ومِلْحَف. وأما القرّاء من جميع الأمصار, فإنها قرأت قوله: فِي سَمّ الخِياطِ بفتح السين, وأجمعت على قراءة «الجَمَل» بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك. وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير, فإنه حُكي عنهم أنهم كانوا يقرءون ذلك: «الجُمّل» بضم الجيم وتشديد الميم, على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس.

فأما الذين قرءوه بالفتح من الحرفين والتخفيف, فإنهم وجهوا تأويله إلى الجمل المعروف وكذلك فسروه. ذكر من قال ذلك:

11423ـ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله في قوله: حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخياطِ قال: الجمل: ابن الناقة, أو زوج الناقة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن إبراهيم, عن عبد الله: حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخِياطِ قال: الجمل: زوج الناقة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن أبي حصين, عن إبراهيم, عن عبد الله, مثله.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله, قال: الجمل: زوج الناقة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله مثله.

11424ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا قرة, قال: سمعت الحسن يقول: الجمل الذي يقوم في المربد.

11425ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن: حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ قال: حتى يدخل البعير في خرق الإبرة.

11426ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن هشيم, عن عباد بن راشد, عن الحسن, قال: هو الجمل. فلما أكثروا عليه, قال: هو الأشتر.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن عباد بن راشد, عن الحسن, مثله.

حدثنا المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن يحيى, قال: كان الحسن يقرؤها: حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ قال: فذهب بعضهم يستفهمه, قال: أشتر أشتر.

11427ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو النعمان عارم, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن شعيب بن الحَبْحاب, عن أبي العالية: حتى يَلِجَ الجَمَلُ قال: الجمل: الذي له أربع قوائم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن أبي حصين, أو حصين, عن إبراهيم, عن ابن مسعود في قوله: حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ قال: زوج الناقة, يعني الجمل.

11428ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك: أنه كان يقرأ: الجَمَلُ وهو الذي له أربع قوائم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو تميلة, عن عبيد, عن الضحاك: حتى يَلِجَ الجَمَلُ الذي له أربع قوائم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا زيد بن الحباب, عن قرة, عن الحسن: حـتى يَلِجَ الجَمَلُ قال: الذي بالمربد.
11429ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابـن مسـعود أنـه كـان يقـرأ: «حـتى يَلـجَ الجَمَـلُ الأصْفَرُ».
11430ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا يحيى بن سليم, قال: حدثنا عبد الكريم بن أبي المخارق, عن الحسن, في قوله: حتى يَلِـجَ الجَمَـلُ فِـي سَـمّ الخِياطِ قال: الجمل: ابن الناقة, أو بعل الناقة.
وأما الذين خالفوا هذه القراءة فإنهم اختلفوا, فرُوي عن ابـن عبـاس فـي ذلك روايتان: إحداهما الموافقـة لهـذه القـراءة وهـذا التأويـل. ذكـر الروايـة بذلك عنه:
11431ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: حـتى يَلِـجَ الجَمَـلُ فِـي سَـمّ الخِيـاطِ والجمـل: ذو القوائم. وذكر أن ابن مسعود قال ذلك.
11432ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ: هـو الجمـل العظيم لا يدخل في خرق الإبرة من أجل أنه أعظـم منهـا. والروايـة الأخـرى ما:
11433ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عيـاض, عن منصور, عن مجاهد, عن ابن عباس: في قوله: «حـتى يَلِـجَ الجُمّـلُ فِـي سَمّ الخِياطِ» قال: هو قَلْس السفينة.
11434ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حـدثنا أبـو غسـان مالـك بـن إسماعيل, عن خالد بن عبد اللـه الواسـطي, عـن حنظلـة السدوسـيّ, عـن عكرمة, عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «حتى يَلِجَ الجُمّـلُ فِـي سَـمّ الخِيـاطِ» يعني: الحبل الغليظ. فذكرت ذلك للحسن, فقال: حتى يَلِجَ الجَمَلُ قال عبـد الأعلى. قال أبو غسان, قال خالد: يعني البعير.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أسامة, عن فضيل, عن مغيرة, عن مجاهـد, عن ابن عباس أنه قرأ: «الجُمّل» مثقلة, وقال: هو حبل السفينة.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابـن مهـدي, عـن هشـيم, عـن مغيـرة, عـن مجاهد, عن ابن عباس, قال: «الجُمّل»: حبال السفن.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن آدم, عن ابن المبارك, عن حنظلـة, عن عكرمة, عن ابن عباس: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» قال: الحبل الغليظ.
: حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عـن مغيـرة, عـن مجاهـد, عـن ابـن عباس: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ في سَمّ الخياطِ» قال: هو الحبل الذي يكون علـى السفينة.
واختلف عن سعيد بن جبير أيضا في ذلك, فرُوي عنه روايتان إحداهما مثل الذي ذكرنا عن ابن عباس بضمّ الجيم وتثقيل الميم. ذكر الرواية بذلك عنه:
11435ـ حدثنا عمران بن موسـى القـزّار, قـال: حـدثنا عبـد الـوارث بـن سعيد, قال: حدثنا حسين المعلم, عن أبـي بشـر عـن سـعيد بـن جـبير, أنـه قرأها: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ» يعني: قلوس السفن, يعني الحبال الغلاظ.
والأخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم. ذكر الرواية بذلك عنه:

11436ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عمرو, عن سالم بن عجلان الأفطس, قال: قرأت على أبي: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ» فقال: «حتى يَلِجَ الجُمَلُ» خفيفة: هو حبل السفينة, هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير.

وأما عكرمة, فإنه كان يقرأ ذلك: الجُمّل بضمّ الجيم وتشديد الميم, وبتأوّله كما:

11437ـ حدثني ابن وكيع, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, عن عيسى بن عبيدة, قال: سمعت عكرمة يقرأ «الجُمّلُ» مثقلة, ويقول: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا كعب بن فَرّوخ, قال: حدثنا قتادة, عن عكرمة, في قوله: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ فِي سَمّ الخِياطِ» قال: الحبل الغليظ في خرق الإبرة.

11438ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: «حتى يَلِجَ الجُمّلُ فِي سَمّ الخِياط» قال: حبل السفينة في سَمّ الخياط.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال عبد الله بن كثير: سمعت مجاهدا يقول: الحبل من حبال السفن.

وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضمّ الجيم على ما ذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصّرَد والجُعَل وجهه إلى جماع جملة من الحبال جمعت جُمَلاً, كما تجمع الظلمة ظُلَما والخربة خُرَبا.

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم, ويقول: إنما أراد الراوي الجُمَل بالتخفيف, فلم يفهم ذلك منه, فشدّده.

وحُدثت عن الفراء, عن الكسائي أنه قال: الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميّا. وأما من شدّد الميم وضمّ الجيم, فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد: وهو الحبل أو الخيط الغليظ.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار وهو: حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخياطِ بفتح الجيم والميم من «الجمل» وتخفيفها, وفتح السين من «السّمّ», لأنها القراءة المستفيضة في قرّاء الأمصار, وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القرّاء, وكذلك ذلك في فتح السين في قوله: سَمّ الخِياطِ.

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك, فتأويل الكلام: ولا يدخلون الجنة حتى يلج, والولوج: الدخول من قولهم: وَلَجَ فلان الدار يَلِجُ وُلُوجا, بمعنى: دخل الجمل في سَمّ الإبرة وهو ثقبها. وكذلكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من اللّه العذاب الأليم في الآخرة.

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله: سَمّ الخياط قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11439ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلبي, عن حماد بن زيد, عن يحيى بن عتيق, قال: سألت الحسن, عن قوله: حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخياطِ قال: ثقب الإبرة.

11440ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم, قال: حدثنا كعب بن فَرّوخ, قال: حدثنا قتادة, عن عكرمة: في سَمّ الخياطِ قال: ثقب الإبرة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن, مثله.
11441ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: في سَمّ الخياط قال: جحر الإبرة.
11442ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: في سَمّ الخياطِ يقول: جحر الإبرة.
11443ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: ثني عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: في سَمّ الخياطِ قال: في ثَقبه.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُمْ مّن جَهَنّـمَ مِهَـادٌ وَمِـن فَـوْقِهِمْ غَـوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ }.
يقول جلّ ثناؤه: لهؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها مِنْ جَهَنّم مِهادٌ وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يُفرش والبساط الذي يُبسط. وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وهو جمع غاشية, وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.
وإنما معنى الكلام: لهم من جهنم مهاد, من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لُحُف, وإنهم بين ذلك.
وبنحو ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11444ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن موسى بن عبيدة, عن محمد بن كعب: لَهُمْ مِنْ جَهَنّمَ مِهادٌ قال: الفراش, وَمِنْ فَوْقِهِمْ غوَاشٍ قال: اللحف.
11445ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن أبي روق, عن الضحاك: لَهُمْ مِنْ جَهَنّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ قال: المهاد: الفرش, والغواشي: اللحف.
11446ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: لَهُمْ مِن جَهَنّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ أما المِهاد لهم: كهيئة الفراش, والغواشي: تتغشاهم من فوقهم.
وأما قوله وكَذلكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ: فإنه يقول: وكذلك نثيب ونكافىء من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لاَ نُكَلّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه: والذين صدّقوا الله ورسوله وأقرّوا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله وشرائع دينه, وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه. لا نُكَلّفُ نَفْسا إلاّ وُسْعَها يقول: لا نكلف نفسا من الأعمال إلاّ ما يسعها فلا تَحْرَجَ فيه أولَئِكَ يقول: هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات, أصْحَابُ الجَنّةِ يقول: هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله, وعمل بسيئاتهم فيها خالِدُونَ يقول: هم في الجنة ماكثون, دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يُسْلَبون نعيمهم.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مّنْ غِلّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للّهِ الّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَـدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقّ وَنُودُوَاْ أَن تِلْكُـمُ الْجَنّـةُ أُورِثْتُمُوهَـا بِمَـا كُنتُـمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصـف صـفتهم وأخـبر أنهم أصحاب الجنة, ما فيها من حقد وغل وعداوة كان من بعضهم في الـدنيا على بعض, فجعلهم في الجنة إذْ أدخلَهموها علـى سـرر متقـابلين, لا يحسـد بعضهم بعضا على شيء خصّ الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه, تجري من تحتهم أنهار الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11447ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالـد الأحمـر, عـن جويـبر, عـن الضحاك: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ قال: العداوة.

11448ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن سعيد بن بشير, عن قتادة: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورهِمْ مِنْ غِلّ قال: هي الإحِنُ.

11449ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عـن ابـن عيينـة, عـن إسرائيل أبي موسى, عن الحسن, عن عليّ, قال: فينا والله أهل بدر نزلت: وَنَزَعْنا ما فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن إسرائيل, قال: سمعته يقول: قال عليّ عليه السلام: فينا والله أهل بدر نزلت: وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ.

11450ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال عليّ رضي الله عنه: إنـي لأرجـو أن أكـون أنـا وعثمـان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: وَنَزَعْنا ما فِي صُـدُورِهِمْ مِـنْ غِلّ رضوان الله عليهم.

11451ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَنَزَعْنا ما فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِـمُ الأنهَارُ قال: إن أهل الجنة إذا سـيقوا إلـى الجنـة, فبلغـوا, وجـدوا عنـد بابهـا شجرة في أصل ساقها عينان, فشربوا من إحداهما, فينزع ما في صـدورهم من غلّ, فهو الشراب الطهور. واغتسلوا من الأخرى, فجـرت عليهـم نضـرة النعيم, فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا.

11452ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن الجريـري, عن أبي نضرة, قال: يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يُقْضَـى لبعضـهم مـن بعض, حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلَمها إياه ويحبس أهـل النـار دون النـار حـتى يقضـى لبعضـهم مـن بعـض, فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحـدا بقلامـة ظفـر ظلمهـا إياه.

القول في تأويل قوله تعالى: وَقَالوُا الحَمْدُ لِلّهِ الّـذِي هَـدَانا لِهَـذَا وَمـا كُنّـا لنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين وصف جـلّ ثنـاؤه وهـم الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة, ورأوا ما أكرمهم اللـه بـه مـن كرامتـه, وما صُرف عنهم من العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهـم بربهـم وتكذيبهم رسله: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانا لِهَـذَا يقـول: الحمـد للـه الـذي وفّقنـا

للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا. وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ يقول: وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطَوْله. كما:

11453ـ حدثنا أبو هشام الرفاعي, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: حدثنا الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي سعيد, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلّ أهْلِ النّارِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنّةِ, فَيَقُولُونَ لَوْ هَدَانا اللّهُ, فَتَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً. وكُلّ أهْلِ الجَنّةِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ النّارِ, فَيَقُولُونَ لَولا أنْ هَدَانا اللّهُ. فَهَذَا شُكْرُهُمْ».

11454ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عاصم بن ضمرة, عن عليّ, قال: ذكر عمر لشيء لا أحفظه, ثم ذكر الجنة, فقال: يدخلون فإذا شجرة يخرج من تَحْت ساقها عينان, قال: فيغتسلون من إحداهما, فتجري عليهم نضرة النعيم, فلا تشعَث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم, ويشربون من الأخرى, فيخرج كلّ قذى وقذر, أو شيء في بطونهم. قال: ثم يفتح لهم باب الجنة, فيقال لهم: سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلُوها خالِدِينَ قال: فتستقبلهم الوِلدان, فيحُفّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته. ثم يأتون فيبشرون أزواجهم, فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم, فيقلن: أنت رأيته؟ قال: فيستخفهنّ الفرح, قال: فيجئن حتى يقفن على أسكفّة الباب. قال: فيجيئون فيدخلون, فإذا أسّ بيوتهم بجندل اللؤلؤ, وإذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كلّ لون, وسرر مرفوعة, وأكواب موضوعة, ونمارق مصفوفة, وزرابيّ مبثوثة, فلولا أن الله قدرها لالتُمعت أبصارهم مما يرون فيها. فيعانقون الأزواج, ويقعدون على السرر, ويقولون: الحَمْدُ لِلّه الّذِي هَدَانا لِهَذَا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبّنا بالحَقّ... الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبّنا بالحَقّ وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنّةُ أُورِثْتُموها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها, وهو أن أعداء الله في النار: والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار رسل ربنا بالحقّ من الأخبار, عن وعد الله أهل طاعته والإيمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به.

وأما قوله: وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فإن معناه: ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعدّ لهم من كرامته, أنْ يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها, أورثكموها الله عن الذين كذّبوا رسله, لتصديقكم إياهم وطاعتكم ربكم. وذلك هو معنى قوله: بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11455ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قال: ليس من كافر ولا مؤمن إلاّ وله في الجنة والنار منزل. فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار, ودخلوا منازلهم, رُفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله, ثم يقال: يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم.

11456ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري, عن سعيد بن بكر, عن سفيان الثوريّ, عن أبي إسحاق, عن الأغرّ: وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قال: نودوا أن صحّوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا تبأسوا

11457ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن الأغرّ, عن أبي سعيد: وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنّةُ... الآية, قال: ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا.

واختلف أهل العربية في «أن» التي مع «تلكم», فقال بعض نحويي البصرة: هي «أنّ» الثقيلة خففت, وأضمر فيها, ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة لأن بعدها اسما, والخفيفة لا تليها الأسماء, وقد قال الشاعر:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْد قدْ عَلِمُواأنْ هالكٌ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ

وقال آخر:

أُكاشِرُهُ وأعْلَمُ أنْ كِلانا عَلى ما ساءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ

قال: فمعناه: أنه كلانا قال, ويكون كقوله: أَنْ قَدْ وَجَدْنا في موضع «أي», وقوله: أنْ أقِيمُوا. وَلا تَكُونُ «أن» التي تعمل في الأفعال, لأنك تقول: غاظني أن قام, وأن ذهب, فتقع على الأفعال وإن كانت لا تعمل فيها, وفي كتاب الله: وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا أي امشوا. وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة, فقال: غير جائز أن يكون مع «أن» في هذا الموضع «هاء» مضمرة, لأن من قوله هذا بعض أهل الكوفة, فقال: غير جائز أن يكون مع «أن» في هذا الموضع «هاء» مضمرة, لأن «أن» دخلت في الكلام لتقي ما بعدها, قال: و «أن» هذه التي مع «تلكم», هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية, وليس بلفظ الحكاية, نحو: ناديت أنك قائم, وأن زيد قائم, وأن قمت, فتلي كلّ الكلام, وجعلت «أن» وقاية, لأن النداء يقع على ما بعده, وسلم ما بعد «أن» كما سلم ما بعد القول, ألا ترى أنك تقول: قلت: زيد قائم, وقلت: قام, فتليها ما شئت من الكلام؟ فلما كان النداء بمعنى الظنّ وما أشبهه من القول سلم «ما» بعد «أن», ودخلت «أن» وقاية. قال: وأما «أي» فإنها لا تكون على أن لا يكون: أي جواب الكلام, وأن تكفي من الاسم.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَادَىَ أَصْحَابُ الْجَنّةِ أَصْحَابَ النّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتّم مّا وَعَدَ رَبّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذّنَ مُؤَذّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها: يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّا في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته, فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟ فأجابهم أهل النار بأن نعم, قد وجدنا ما وعد ربنا حقّا. كالذي:

11458ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَنادَى أصحَابُ الجَنّةِ أصحَابَ النّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنَا رَبّنا حَقّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبّكُمْ حَقّا قالُوا نَعَمْ قال: وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب, وأهل النار ما وعدوا من عقاب.

11459ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَنادَى أصحَابُ الجَنّـةِ أصـحَابَ النّـارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبّنا حَقّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبّكُمْ حَقّا وذلك أن الله وعـد أهل الجنة النعيم والكرامة وكلّ خير علمه الناس أو لم يعلمـوه, ووعـد أهـل النار كلّ خزي وعذاب علمـه النـاس أو لـم يعلمـوه فـذلك قـوله: وآخَـرُ مِـنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ قال: فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أنْ قَدْ وَجَـدْنا مـا وَعَـدَنا رَبّنا حَقّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبّكُمْ حَقّا قالُوا نَعَمْ يقول: من الخـزي والهـوان والعذاب, قال أهـل الجنـة: فإنـا قـد وجـدنا مـا وعـدنا ربنـا حقّـا مـن النعيـم والكرامة. فأذّنَ مُؤَذّنٌ بَيْنَهُمْ أنْ لَعْنَةُ اللّهِ على الظّالِمينَ.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: قالُوا نَعَمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفـة والبصـرة: قـالُوا نَعَـمْ بفتـح العيـن مـن «نعـم». ورُوي عـن بعـض الكوفيين أنه قرأ: «قالُوا نَعِمْ» بكسر العين, وقد أنشد بيتا لبني كلب:

«نَعِمْ» إذَا قالَهَا مِنْهُ مُحَقّقَةٌوَلا تجيءُ «عَسَى» مِنْهُ وَلا «قَمَنُ»

بكسر «نَعِم».

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا: نَعَمْ بفتح العين, لأنها القراءة المستفيضة في قرّاء الأمصار واللغة المشهورة في العرب.

وأما قوله: فَأذّنَ مُؤَذّنٌ بَيْنَهُمْ يقول: فنادى منادٍ, وأعلم معلم بينهم, أنْ لَعَنَةُ اللّهِ على الظّالِمِينَ يقول: غضب الله وسخطه وعقـوبته علـى مـن كفـر بـه. وقد بيّنا القول فـي «أن» إذا صـحبت مـن الكلام مـا ضـارع الحكايـة وليـس بصريح الحكايـة, بأنهـا تشـدّدها العـرب أحيانـا وتوقـع الفعـل عليهـا فتفتحهـا وتخففها أحيانا, وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الـذي يليها فيما مضى, بما أغني عن إعادته في هذا الموضع. وإذ كان ذلـك كـذلك, فسواء شُدّدت «أن» أو خففت في القراءة, إذ كـان معنـى الكلام بـأيّ ذلـك قرأ القارىء واحدا, وكانتا قراءتين مشهورتين في قراءة الأمصار.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعـالى: {الّـذِينَ يَصُـدّونَ عَـن سَـبِيلِ اللّـهِ وَيَبْغُونَهَـا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: إن المؤذّن بين أهل الجنة والنار يقول: أن لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله وصدّوا عن سبيله. ويَبْغُونَها عِوَجا يقول: حـاولوا سبيل الله, وهو دينه, أن يغيروه ويبدلوه عما جعلـه اللـه لـه مـن اسـتقامته. وَهُمْ بالآخِرَةِ كافِرُونَ يقول: وهم لقيام الساعة والبعث في الآخـرة والثـواب والعقاب فيها جاحدون. والعرب تقول للميل في الدين والطريـق: «عِـوَج», بكسر العين, وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليـه: عـاج إليـه يَعُـوج عِيَاجا وعَوَجا وعِوَجا, بالكسر من العين والفتح, كما قال الشاعر:

قِفَا نَبْكِي مَنازِلَ آلِ لَيْلَىعَلى عِوَجٍ إلَيْها وَانْثِناءِ

ذكر الفرّاء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين مـن عِـوج فأمـا مـا كـان خلقة في الإنسان, فإنه يقال فيه: عَوج ساقه, بفتح العين.

الآية : 46

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَبَيْنَهُمَـا حِجَـابٌ وَعَلَـى الأعْـرَافِ رِجَـالٌ يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُـمْ يَطْمَعُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَبَيْنَهُما حِجابٌ وبين الجنـة والنـار حجـاب, يقـول: حاجز, وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال: فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَـهُ بـابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ وهـو الأعـراف الـتي يقـول اللـه فيها: وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ. كذلك:

11460ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, وعـن ابـن جريـج, قال: بلغني, عن مجاهد, قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار.

11461ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَبَيْنَهُما حِجابٌ وهو السور, وهو الأعراف.

وأما قوله: وَعلى الأعْرَافِ رِجالٌ فإن الأعراف جمع واحـدها عُـرْف, وكـلّ مرتفع من الأرض عند العرب فهو عُرْف, وإنمـا قيـل لعـرف الـديك: عُـرْف, لارتفاعه على ما سواه من جسده ومنه قول الشماخ بن ضرار:

وَظَلّتْ بأعْرَافٍ تَعَالى كأنّهَارِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرّيحِ رَاكِزُ

يعني بقوله: «بأعراف»: بنشوز من الأرض ومنه قول الآخر:

كُلّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيافُكالعَلَمِ المُوفِي على الأعْرَافِ

وكانَ السديّ يقول: إنمـا سـمي الأعـراف أعرافـا, لأن أصـحابه يعرفـون الناس.

11462ـ حدثني بذلك محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بـن المفضـل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11463ـ حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عبيـد اللـه بـن أبي يزيد, سمع ابن عباس يقول: الأعراف: هو الشيء المشرف.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن عبيد الله بن أبي يزيد, قال: سمعت ابن عباس يقول, مثله.

11464ـ حدثنا ابن وكيع, قـال: ثنـي أبـي, عـن سـفيان, عـن جـابر, عـن مجاهد, عن ابن عباس, قال: الأعراف: سور كعرف الديك.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا سفيان, عن جـابر, عـن مجاهد, عن ابن عباس, مثله.

11465ـ حدثني محمد بـن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قـال: الأعـراف: حجـاب بيـن الجنـة والنار سور له باب. قال أبو موسى: وحـدثني عبيـد اللـه بـن أبـي يزيـد, أنـه سمع ابن عباس يقول: إن الأعراف تلّ بين الجنة والنار حُبس عليه ناس مـن أهل الذنوب بين الجنة والنار.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار, سور له باب.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن حبيب بن أبـي ثـابت, عن عبد الله بن الحرث عن ابـن عبـاس, قـال: الأعـراف: سـور بيـن الجنـة والنار.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: وَعلـى الأعْـرَاف رجـالٌ يعنـي بـالأعراف: السـور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار.

حدثنا الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: الأعراف: سور له عرف كعرف الديك.
11466ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار.
11467ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: ثني عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول: الأعراف: السور الذي بين الجنة والنار.
واختلف أهل التأويل في صفة الرجال الذين أخبر الله جلّ ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك, فقال بعضهم: هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فجُعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء, ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم. ذكر من قال ذلك:
11468ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق, قال: قال الشعبي: أرسل إليّ عبد الحميد, بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش, وإذا هما قد ذَكَرا من أصحاب الأعراف ذِكْرا ليس كما ذَكَرا, فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة. فقالا: هات فقلت: إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف, فقال: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة, فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار, قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك, اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال: اذهبوا وادخلوا الجنة, فإني قد غفرت لكم
11469ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن الشعبيّ, عن حذيفة, أنه سُئل عن أصحاب الأعراف, قال: فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة, وخلفت بهم حسناتهم عن النار. قال: فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير وعمران بن عيينة, عن حصين, عن عامر, عن حذيفة, قال: أصحاب الأعراف: قوم كانت لهم ذنوب وحسنات, فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار, فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن الشعبيّ, عن حذيفة, قال: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فيقول: ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي, لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ اليوم وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن يونس بن أبي إسحاق, عن عامر, عن حذيفة, قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار, وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة.
11470ـ حدثنا المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن أبي بكر الهذليّ, قال: قال سعيد بن جبير, وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود, قال: يحاسب الناس يوم القيامة, فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة, ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار. ثم قرأ قول الله: فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَمَن خَفّت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم. ثم قال: إن الميزان يخفّ بمثقال

حبة ويرجح قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف. فوْقفوا على الصراط, ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار, فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار, قالوا: رَبّنا لا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظّالمينَ فيتعوّذون بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات, فإنهم يُعْطَوْن نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم, ويُعطى كلّ عبد يومئذٍ نورا وكلّ أمة نورا, فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كلّ منافق ومنافقة. فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون, قالوا: ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف, فإن النور كان في أيديهم, فلم ينزع من أيديهم, فهنالك يقول الله: لَم يَدخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ فكان الطمع دخولاً. قال: فقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرا, وإذا عمل سيئة لم تكتب إلاّ واحدة. ثم يقول: هلك من غلب وُحدانه أعشاره.

11471ـ حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع, قال: أخبرني ابن وهب قال: أخبرني عيسى الخياط عن الشعبيّ, عن حذيفة, قال: أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار, وهم آخر من يدخل الجنة, قد عَرفوا أهل الجنة وأهل النار.

11472ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا همام, عن قتادة, قال: قال ابن عباس: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم.

11473ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد, قالا: حدثنا جرير عن منصور, عن حبيب بن أبي ثابت, عن عبد الله بن الحرث, عن ابن عباس, قال: الأعراف: سور بين الجنة والنار, وأصحاب الأعراف بذلك المكان, حتى إذا بدا لله أن يعافيهم, انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك, فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها, حتى إذا صلحت ألوانهم أتَى بهم الرحمن, فقال: تمنوا ما شئتم قال: فيتمنون, حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرّة. فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يُعرفون بها, يُسّمون مساكين الجنة.

11474ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حبيب, عن مجاهد, عن عبد الله بن الحارث, قال: أصحاب الأعراف يؤمر بهم إلى نهر يقال له الحياة, ترابه الورس والزعفران, وحافتاه قضب اللؤلؤ. قال: وأحسبه قال: مكلل باللؤلؤ. وقال: فيغتسلون فيه, فتبدو في نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم: تمنوا فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا وإنهم مساكين أهل الجنة. قال حبيب: وحدثني رجل: أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن حبيب بن ثابت, عن مجاهد, عن عبد الله بن الحارث, قال: أصحاب الأعراف يُنْتَهى بهم إلى نهر يقال له الحياة, حافَتاه قضب من ذهب قال سفيان: أراه قال: مكلل باللؤلؤ. قال: فيغتسلون منه اغتسالة, فتبدو في نحورهم شامة بيضاء, ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون, فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا, فيقال لهم: تمنوا ما شئتم فيتمنون ما شاءوا. فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا قال: فهم مساكين أهل الجنة.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن حصين, عن الشعبيّ, عن حذيفة, قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فهم على سور بين الجنة والنار لَم يَدخُلُوها وَهُم يَطْمَعُونَ.

حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان ابن عباس يقول: الأعراف بين الجنة والنار, حبس عليه أقوام بأعمالهم. وكان يقول: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم, ولا سيئاتهم على حسناتهم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: قال ابن عباس: أهل الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

11475ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو خالد, عن جويبر, عن الضحاك, قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

11476ـ وقال: حدثنا يحيى بن يمان, عن شريك, عن منصور, عن سعيد بن جبير, قال: أصحاب الأعراف استوت أعمالهم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: أخبرنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم, فوقفوا هنالك على السور.

11477ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن حبيب بن أبي ثابت, عن سفيع أو سميع قال أبو جعفر: كذا وجدت في كتاب سفيع عن أبي علقمة قال: أصحاب الأعراف: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

وقال آخرون: كانوا قُتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

11478ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أبي مسعر, عن شرحبيل بن سعد, قال: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم.

11479ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني الليث, قال: ثني خالد, عن سعيد, عن يحيى بن شبل: أن رجلاً من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف, فقال: «هُمْ قَوْمٌ غَزَوْا فِي سَبِيلِ اللّهِ عُصَاةٌ لآبَائِهِمْ, فَقُتِلُوا, فأعْتَقَهُمُ اللّهُ مِنَ النّارِ بِقَتْلِهِمْ فِي سَبيله, وَحُبسُوا عَن الجَنّةِ بِمَعْصيَةِ آبائِهِمْ, فَهُمْ آخِرُ مَنْ يَدْخُلَ الجَنّةِ».

11480ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا يزيد بن هارون, عن أبي معشر, عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم, عن محمد بن عبد الرحمن, عن أبيه, قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف, فقال: «قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِمَعْصِيَةِ آبائِهِمْ, فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ عَن النّارِ, وَمَنَعَتْهُمْ مَعْصِيَةُ آبائِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنّةَ».

وقال آخرون: بل هم قوم صالحون فقهاء علماء. ذكر من قال ذلك:

11481ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد, قال: أصحاب الأعراف قوم صالحون, فقهاء علماء.

وقال آخرون: بل هم ملائكة وليسوا ببني آدم. ذكر من قال ذلك:

11482ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي مجلز, قوله: وبَيْنَهُما حِجابٌ وَعلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ قال: هم

رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار. قال: وَنادَوْا أصحَابَ الجَنّـةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ... إلى قوله: رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ. قال: فنـادى أصحاب الأعراف رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أهَؤُلاء الّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنـالُهُمُ اللّـهُ بِرَحْمَـةٍ قـال: فهـذا حين دخل أهل الجنة الجنة, ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

11483ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت عمران, قال: قلت لأبي مجلز: يقول الله: وَعَلى الأعْـرَافِ رِجـالٌ وتزعـم أنـت أنهـم الملائكة؟ قال: فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث.

11484ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن سليمان التيمي, عن أبـي مجلز: وَعلى الأعْرافِ رِجـالٌ قـال: رجـال مـن الملائكـة يعرفـون الفريقيـن جميعا بسيماهم, أهل النار وأهل الجنة, وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن أبي عـديّ, عـن الـتيمي, عـن أبـي مجلز, بنحوه.

11485ـ وقال: حدثنا يحيى بن يمان, عن سفيان, عن الـتيمي, عـن أبـي مجلز, قال: أصحاب الأعراف الملائكة.

حدثني المثنى, قال: حدثنا يعلى بن أسد, قال: حدثنا خالد, قال: أخبرنـا التيمي, عن أبي مجلز: وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ قال: هم الملائكة.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن عمران بن حدير, عـن أبـي مجلـز: وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ قال: هم الملائكة. قلت: يا أبا مجلز يقـول اللـه تبـارك وتعالى رجال, وأنت تقول ملائكة؟ قال: إنهم ذكران ليسوا بإناث.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد عن عمران بن حُدَير, عن أبي مجلز, في قوله: وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِـيماهُمْ قـال: الملائكة, قال: قلت: يقول الله رجال, قال: الملائكة ذكور.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جـلّ ثنـاؤه فيهـم: هـم رجـال يعرفـون كلاّ مـن أهـل الجنـة وأهـل النـار بسيماهم, ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصـحّ سـنده ولا أنـه متفق على تأويلها, ولا إجماع مـن الأمـة علـى أنهـم ملائكـة. فـإذ كـان ذلـك كذلك, وكان ذلك لا يدرك قياسا, وكان المتعارف بين أهل لسـان العـرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم, كـان بيّنا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى لـه, وأن الصـحيح مـن القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قـال بخلافـه مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, ومـع مـا رُوي عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار وإن كـان فـي أسـانيدها مـا فيهـا. وقد:

11486ـ حدثني القاسم, قال: ثني الحسين, قال: ثني جرير عـن عمـارة بن القعقاع, عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير, قال: سُئل رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف, فقال: «هُمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِـنَ العِبادِ, وَإذَا فَرَغَ رَبّ العالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بينَ العِبادِ, قال: أنْتُمْ قَوْمٌ أخْرَجْتُكُمْ حَسنَاتُكُمْ مِنَ النّارِ وَلمْ تُدْخِلْكُمُ الجَنّةُ, وأنْتُمْ عُتَقائي فَارْعَوْا مِنَ الجَنّـةِ حَيْـثُ شِئْتُمْ».

القول في تأويل قوله تعالى: يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسيماهُمْ وَنادَوْا أصحَابَ الجَنّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ.

يقول تعالى ذكره: وعلى الأعراف رجـال يعرفـون أهـل الجنـة بسـيماهم, وذلـك بيـاض وجـوههم ونضـرة النعيـم عليهـا. ويعرفـون أهـل النـار كـذلك بسيماهم, وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم, فإذا رأوا أهل الجنـة نـادوهم: سلام عليكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11487ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ بـن أبـي طلحـة, عـن ابـن عبـاس, قـوله: وَعَلـى الأعْـرَافِ رِجـالٌ يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ قال: يعرفون أهل النـار بسـواد الوجـوه, وأهـل الجنـة ببياض الوجوه.

11488ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَعَلى الأعْرَافِ رِجـالٌ يَعْرِفُـونَ كُلاّ بِسِـيماهُمْ قال: أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنـة والنـار, وليعرفـوا أهـل النار بسواد الوجوه, ويتعوّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين, وهم فـي ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام, لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها, وهـم داخلوها إن شاء الله.

11489ـ حدثني محمد بن عمـرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: بِسِيماهُمْ قال: بسواد الوجوه وزُرقة العيون.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عـن مجاهـد: وَعَلـى الأعْـرافِ رِجـالٌ يَعْرِفُـونَ كُلاّ بِسِـيماهُمْ الكفـار بسـواد الوجوه وزرقة العيون, وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم.

حدثني المثنى, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: أصحاب الأعراف إذا رأوا أصـحاب الجنـة عرفوهم ببياض الوجوه, وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه.

11490ـ حدثني المثنى, قال: حـدثنا سـويد بـن نصـر, قـال: أخبرنـا ابـن المبـارك, عـن جويـبر, عـن الضـحاك, عـن ابـن عبـاس, قـال: إن أصـحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام, وكان حسم أمرهم لله, فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه, فقالوا رَبّنَا لا تجعلْنَـا معَ القَوْمِ الظّالِمِينَ وإذا نظـروا إلـى أهـل الجنـة عرفـوهم ببيـاض الوجـوه, فذلك قوله: وَنادَوْا أصحَابَ الجَنّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَم يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ.

11491ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, في قـوله: وَعَلـى الأعْـرَافِ رِجـالٌ يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ زعموا أن أصحاب الأعـراف رجـال مـن أهـل الـذنوب أصابوا ذنوبا وكان حَسْمُ أمرهم لله, فجعلهم الله على الأعراف, فإذا نظـروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه, فتعوّذوا بالله من النار وإذا نظروا إلى أهل الجنة, نادوهم أن سلام عليكم, قال الله: لَـمْ يَـدْخُلُوها وَهُـمْ يَطْمَعُـونَ. قال: وهذا قول ابن عباس.

11492ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ يعرفون النـاس بسـيماهم, يعرفون أهل النار بسواد وجوههم, وأهل الجنة ببياض وجوههم.

11493ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ يعرفون أهل النـار بسـواد وجـوههم, وأهل الجنة ببياض وجوههم.
11494ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَعَلى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ قال: أهل الجنة بسـيماهم بيض الوجوه, وأهل النار بسيماهم سـود الوجـوه. قـال: وقـوله يَعْرِفُـونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ قال: أصحاب الجنة وأصحاب النـار, ونـادوا أصـحاب الجنـة, قـال: حين رأوا وجوههم قد ابيضت.
11495ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك: يَعْرِفُونَ كُلاّ بِسِيماهُمْ قال: بسواد الوجوه.
11496ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيـى بـن يمـان, عـن مبـارك, عـن الحسن: بِسِيماهُمْ قال: بسواد الوجوه, وزُرقة العيون.
والسيماء: العلامة الدالة على الشيء في كلام العرب, وأصله من السّمَةِ نُقلت واوها الـتي هـي فـاء الفعـل إلـى موضـع العيـن, كمـا يقـال: اضـمحلَّ وامضحلّ. وذُكر سماعا عن بعض بني عقيل: هي أرض خامة, يعنـي: وَخِمـة ومنه قولهم: له جاه عند الناس, بمعنى: وجه, نُقلـت واوه إلـى موضـع عيـن الفعـل وفيهـا لغـات ثلاث: «سـيما مقصـورة», و «سـيماء» ممـدودة, و «سيمياء» بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدّها علـى مثـال الكبريـاء, كمـا قال الشاعر:
غُلامٌ رَماهُ اللّهُ بالحُسْنِ إذْ رَمىلَهُ سِيمْياءُ لا تَشُقّ على البَصَرْ
وأما قوله: وَنادَوْا أصحَابَ الجَنّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ أي حلّت عليهم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه.
واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُـمْ يَطْمَعُـونَ فقـال بعضهم: هذا خبر من الله عن أهل الأعراف أنهم قالوا لأهـل الجنـة مـا قـالوا قبل دخول أصحاب الأعراف, غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها. ذكر من قال ذلك:
11497ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن مفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أهل الأعـراف يعرفـون النـاس, فـإذا مـرّوا عليهم بزمرة يـذهب بهـا إلـى الجنـة قـالوا: سـلام عليكـم يقـول اللـه لأهـل الأعراف: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ أن يدخلوها.
11498ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حـدثنا محمـد بـن ثـور, عـن معمر, قال: تلا الحسن: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ قال: والله ما جعـل ذلـك الطمع في قلوبهم إلاّ لكرامة يريدها بهم.
11499ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعونَ قال: أنبأكم الله بمكانهم من الطمع.
11500ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن أبي بكر الهذليّ, قال: قال سعيد بن جبير, وهو يحدّث ذلك عن ابن مسـعود, قال: أما أصحاب الأعراف, فإن النـور كـان فـي أيـديهم فـانتزع مـن أيـديهم يقول الله: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ قـال: فـي دخولهـا. قـال ابـن عبـاس: فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة.
11501ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا إسرائيل, عن جابر, عن عكرمة وعطاء: لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ قالا: في دخولها.

وقال آخرون: إنما عُني بذلك أهل الجنة, وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة: سلام عليكم, وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها, ولم يدخلوها بعد. ذكر من قال ذلك:

11502ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا جرير, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز: وَنادَوْا أصحَابَ الجَنّـةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ قال: الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم, وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الأعراف, ينادون أصحاب الجنة: أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَابِ النّارِ قَالُواْ رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا صُرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار يعني: حيالهم ووجاههم فنظروا إلى تشويه الله لهم, قالُوا رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابكَ ما هم فيه.

11503ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: وإذا مرّوا بهم, يعني بأصحاب الأعراف بزُمْرة يُذهب بها إلى النار, قالُوا رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ.

11504ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن جويبر, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا: رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ.

11505ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن أبي مكين, عن أخيه, عن عكرمة: وَإِذَا صُرِفَتْ أبْصَارُهُمْ تِلْقاءَ أصحَابِ النّارِ قال: تحرّد وجوههم للنار, فإذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم.

11506ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد في قوله: وَإِذَا صُرِفَتْ أبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أصحَابِ النّارِ فرأوا وجوههم مُسْوَدّة وأعينهم مُزْرَقّة, قالُوا رَبّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظّالِمِينَ.

الآية : 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَنَادَىَ أَصْحَابُ الأعْـرَافِ رِجَـالاٍ يَعْرِفُـونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىَ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً من أهل الأرض يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ سيما أهل النار, قالُوا ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا, وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ يقول: وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها. كما:

11507ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: فمرّ بهم يعني بأصحاب الأعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال: يقول: قال أصحاب الأعراف: ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ.

11508ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجالاً قال: في النار, يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وتكبركم, وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ.

11509ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن سليمان التيمي, عن أبـي مجلز: وَنادَى أصحَابُ الأعْـرَافِ رِجـالاً يَعْرِفُـونَهُمْ بِسِـيماهُمْ قـالُوا مـا أغْنَـى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ قال: هـذا حيـن دخـل أهـل الجنـة الجنـة, أهَؤُلاءِ الّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ... الآية. قلت لأبي مجلز: عن ابـن عباس؟ قال: لا بل عن غيره.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز: وَنادَى أصحَابُ الأعْرَافِ رِجـالاً يَعْرِفُـونَهُمْ بِسِـيماهُمْ قـال: نـادت الملائكة رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: ما أغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أهَؤُلاَءِ الّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ قـال: هـذا حيـن دخـل أهل الجنة الجنة, ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنونَ.

11510ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَنادَى أصحَابُ الأعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُـونَهُمْ بِسِـيماهُمْ فالرجـال عظمـاء من أهل الدنيا قال: فبهذه الصفة عرف أهل الأعـراف أهـل الجنـة مـن أهـل النار. وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيـس أهـل الخيـر ورئيـس أهـل الشـرّ يـوم القيامة. قال: وقال ابن زيد فـي قـوله: مـا أغْنَـى عَنْكُـمْ جَمْعُكُـمْ وَمـا كُنْتُـمْ تَسْتَكْبِرُونَ قال: على أهل طاعة الله.

الآية : 49

القول في تأويل قوله تعالى: {أَهَـؤُلآءِ الّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ }.

اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الكلام, فقال بعضهم: هذا قيل الله لأهل النار توبيخا لهم على ما كان من قيلهم فـي الـدنيا لأهـل الأعـراف عنـد إدخاله أصحاب الأعراف الجنة. ذكر من قال ذلك:

11511ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: أصحاب الأعـراف: رجـال كـانت لهـم ذنـوب عظام, وكان حَسْمُ أمرهم لله, يقومون على الأعراف, فإذا نظروا إلى أهـل الجنـة طمعـوا أن يـدخلوها, وإذا نظـروا إلـى أهـل النـار تعـوّذوا بـالله منهـا, فأدخلوا الجنة. فذلك قوله تعالى: أهَؤُلاءِ الّذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ يعني أصحاب الأعراف, ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

11512ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن جويبر, عن الضحاك, قال: قال ابن عباس: إن الله أدخل أصـحاب الأعـراف الجنة لقوله: ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

11513ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: قال الله لأهل التكبر والأموال: أهَـؤُلاءِ الّـذِينَ أقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمْ اللّهُ بِرَحْمَةٍ يعني أصحاب الأعراف, ادْخُلـوا الجَنّـةَ لا خَـوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

11514ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السـديّ: أهَـؤُلاءِ الضعفاء الّـذِينَ أقْسَـمْتُمْ لا يَنـالُهُمُ اللّـهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُـمْ وَلا أنْتُـمْ تَحْزَنُـونَ. قـال: فقـال حُذيفَـة: «أصحَابُ الأعْرَافِ قَوْمٌ تَكافَأتْ أعْمالُهُمْ فَقَصّرَتْ بِهِمْ حَسنَاتُهُمْ عَـنِ الجَنّـةِ, وَقَصّرَتْ بِهِـمْ سَـيّئاتُهُمْ عَـنِ النـارِ, فَجُعِلُـوا علـى الأعْـرَافِ يَعْرِفـونَ النّـاسَ بِسِيماهُمْ. فَلَمّا قُضِيَ بينَ العِبـادِ, أُذِنَ لَهُـمْ فِـي طَلَـبِ الشّـفاعَةِ, فَـأتَوْا آدَمَ عَلَيْهِ السّلامُ, فَقالُوا: يا آدَمُ أنْتَ أبُونا فاشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبّكَ فَقالَ: هَلْ تَعْلَمُـونَ

أحَدا خَلَقَه اللّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَسَبَقَتْ رَحْمَةُ اللّهِ إلَيْهِ غَضَبَهُ وَسجَدَتْ لَهُ المَلائِكَةُ غيرِي؟ فَيَقُولُونَ لا. قال: فَيَقُولُ: ما عَلِمتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ, وَلَكِنْ ائْتُوا ابْنِي إبْرَاهِيمَ قال: فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السّلامُ, فَيَسألُونَهُ أنْ يَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ رَبّهِ, فَيَقُولُ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ اتّخَذَهُ اللّهُ خَلِيلاً؟ هَلْ تَعْلَمونَ أحَدا أحْرَقَهُ قَوْمُهُ فِي النّارِ فِي الله غيرِي؟ فَيَقُولونَ: لا فَيَقُولُ: ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ, وَلَكِنِ ائْتُوا ابني موسى فَيَأتُونَ مِوسَى عَلَيْهِ السّلامُ, فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ كَلّمَهُ اللّهُ تَكْلِيما وَقَرّبَهُ نَجِيّا غيرِي؟ فَيَقُولُونَ: لا, فَيَقُولُ: ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ, وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى فَيَأتُونَهُ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبّكَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ أحَدا خَلَقَهُ اللّهُ مِنْ غيرِ أبٍ غَيرِي؟ فَيَقُولُونَ: لا, فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أحَدٍ كانَ يُبْرِىءُ الأكْمَه وَالأبْرَصَ ويُحْيِي المَوْتى بإذْنِ اللّهِ غيرِي؟ قال: فَيَقُولُونَ: لا, قالَ: فَيَقُولُ: أنا حَجِيجُ نَفْسِي, ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أسْتَطِيعُ أنْ أشْفَعَ لَكُمْ, وَلَكِنِ ائْتُوا محمدا رسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَيَأتُونِي, فَأضْرِبُ بِيَدِي على صَدْرِي ثُمّ أقُولُ: أنا لَهَا. ثُمّ أمْشِي حتى أقِفَ بينَ يَدَيَ العَرْشِ, فَأُثْنِي عَلى رَبي, فَيَفْتَحُ لي مِنَ الثّناء ما لَمْ يَسْمَعِ السّامِعُونَ بِمِثْلِهِ قَطّ, ثُمّ أسْجُدَ فَيُقالُ لي: يا مُحَمّدُ ارْفَعْ رأسَكَ, سَلْ تُعْطَهْ, وَاشْفَعْ تُشَفّعْ فَأرْفَعُ رأسِي فَأقُولُ: رَبّ أُمّتِي فَيُقالُ: هُمْ لَكَ. فَلا يَبْقَى نَبِيّ مُرْسَلٌ وَلا مَلَكٌ مُقَرّبٌ إلاّ غَبَطَنِي يَوْمَئِذٍ بذلكَ المَقام, وَهُوَ المَقامُ المَحْمودُ». قالَ: «فَآتي بِهِمْ بابَ الجَنّةِ فأسْتَفْتِحُ, فَيُفْتَحُ لي ولَهُمْ, فَيُذْهَبُ بِهِمْ إلى نَهْرٍ يُقالُ لَهُ نَهْرُ الحَياةِ, حافَتاهُ قُضُبٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلّلٍ باللُؤْلُؤِ, تُرَابُهُ المِسْكُ, وَحَصْباؤُهُ الياقُوتُ, فَيَغْتَسِلُونَ مِنْهُ, فَتَعُودُ إلَيْهِمْ ألْوَانُ أهْلِ الجَنّةِ وَرِيحُهُمْ, وَيَصِيرُونَ كأنّهُمُ الكَوَاكِبُ الدّرّيّةِ, وَيَبْقَى فِي صُدُرِهِمْ شاماتٌ بِيضٌ يُعْرَفُونَ بِها, يُقال لَهُمْ مَساكِينُ أهْلِ الجَنّةِ».

11515ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, قال: إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة, وهو قوله: ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ يعني أصحاب الأعراف. وهذا قول ابن عباس.

فتأويل الكلام على هذا التأويل الذي ذكرنا عن ابن عباس, ومن ذكرنا قوله فيه: قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله والإذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين في الدنيا الأموال مكاثرة ورياء: أيها الجبابرة الذين كانوا في الدنيا, أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال: قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي, ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة, لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام, ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم

وقال أبو مجلز: بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار بعد ما دخلوا النار تعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون في الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته. وأما قوله: ادْخُلُوا الجَنّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أنْتُمْ تَحْزَنُونَ فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها.

11516ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلية, عن سليمان التيمي, عن أبي مجلز, قال: نادت الملائكة رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم: ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله

برحمة؟ قال: فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خـوف عليكـم ولا أنتم تحزنون.

الآية : 50

القول في تأويل قـوله تعـالى: {وَنَـادَىَ أَصْـحَابُ النّـارِ أَصْـحَابَ الْجَنّـةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَـا مِـنَ الْمَـآءِ أَوْ مِمّـا رَزَقَكُـمُ اللّـهُ قَـالُوَاْ إِنّ اللّـهَ حَرّمَهُمَـا عَلَـى الْكَافِرِينَ }.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدّة العطش والجـوع, عقوبـة مـن اللـه لهـم علـى مـا سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها فـي أموالهم من حقـوق المسـاكين مـن الزكـاة والصـدقة. يقـول تعـالى ذكـره: ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سـكنوها أن يـا أهـل الجنة: أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ أي أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام. كما:

11517ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: أنْ أفِيضُوا عَلَيْنـا مِـنَ المَـاءِ أوْ مِمّـا رَزَقَكُـمُ اللّـهُ قال: من الطعام.

11518ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: أنْ أفِيضُوا عَلَيْنـا مِـنَ المَـاءِ أوْ مِمّـا رزقَكُـمُ اللّـهُ قـال: يسـتطعمونهم ويستسقونهم. فأجابهم أهل الجنة: إن الله حرّم الماء والطعـام علـى الـذين جحدوا توحيده وكذّبوا في الدنيا رسله.

والهاء والميم في قوله: إنّ اللّهَ حَرّمَهُما عائدتان على الماء, وعلى «مـا» التي في قوله: أوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11519ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن عثمان الثقفي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس: وَنادَى أصـحَابُ النّـارِ أصـحَابَ الجَنّـةِ أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قـال: ينـادي الرجـل أخـاه أو أبـاه, فيقول: قد احترقتُ, أفض عليّ من الماء فيقال لهم: أجيبوهم فيقولون: إنّ اللّهَ حَرّمَهُما على الكافِرِينَ.

11520ـ وحدثني المثنى, قال: حدثنا ابن دكين, قال: حدثنا سفيان, عـن عثمان, عن سعيد بن جبير: وَنادَى أصـحَابُ النّـارِ أصـحَابَ الجَنّـةِ أنْ أفِيضُـوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمّـا رَزَقَكُـمُ اللّـهُ قـال: ينـادي الرجـل أخـاه: يـا أخـي قـد احترقت فأغثني فيقول: إنّ اللّهَ حَرّمَهُما على الكافِرِينَ.

11521ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: قالُوا إنّ اللّهَ حَرّمَهُما عَلى الكافِرِينَ قال: طعام أهل الجنة وشرابها.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {الّـذِينَ اتّخَـذُواْ دِينَهُـمْ لَهْـواً وَلَعِبـاً وَغَرّتْهُـمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَـا نَسُـواْ لِقَـآءَ يَـوْمِهِمْ هَـَذَا وَمَـا كَـانُواْ بِآيَاتِنَـا يَجْحَدُونَ }.

وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين, يقول تعالى ذكره: فأجاب أهل الجنة أهـل النـار: إنّ اللّـهَ حَرّمَهُمـا على الكـافِرِينَ الـذين كفـروا بـالله ورسله, الّذِينَ أتّخَذُوا دِينَهُمْ الذي أمرهم الله بـه لَهْـواً وَلعِبـا يقـول: سـخرية ولعبا. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

11522ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قولهالَّذِينَ اتّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوا وَلعِبا... الآية. قال: وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزءوا به اغترارا بالله.

وَغَرّتْهُمُ الحيَاةُ الدّنْيا يقول: وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جلّ ثناؤه: فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم, يقول: نتركهم في العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب, كما تركو العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله.

وقد بيّنا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11523ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد: فاليَوْمَ نَنْساهُمْ قال: نُسوا في العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: فالْيَوْمَ نَنْساهُمْ قال: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: نَنْساهُمْ قال: نتركهم في النار.

11524ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاية, عن عليّ, عن ابن عباس: فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا قال: نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

11525ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا... الآية: يقول: نسيهم الله من الخير, ولم ينسهم من الشرّ.

حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, قال: سمعت مجاهدا في قوله: فاليَوْمَ نَنْساهُمْ كمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا قال: نؤخرهم في النار.

وأما قوله: وَما كانُوا بآياتِنا يَجْحَدُونَ فإن معناه: اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا, وكما كانوا بآياتنا يجحدون. ف «ما» التي في قوله: وَما كانُوا معطوفة على «ما» التي في قوله: كمَا نَسُوا.

وتأويل الكلام: فاليوم نتركهم في العذاب, كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة, وكما كانوا بآيات الله يجحدون, وهي حججه التي احتجّ بها عليهم من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك. يجحدون: يكذّبون ولا يصدّقون بشيء من ذلك.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصّلْنَاهُ عَلَىَ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب, يعني القرآن الذي أنزله إليهم, يقول: لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن مفصلاّ مبينا فيه الحقّ من الباطل, عَلى عِلْمٍ يقول: على علم منا بحقّ ما فصل فيه من الباطل الذي ميز فيه بينه وبين الحقّ, هُدًى وَرَحْمَةً يقول: بيناه ليهتدي

ويرحم به قوم يصدّقون بـه وبمـا فيـه مـن أمـر اللـه ونهيـه وأخبـاره ووعـده ووعيده, فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى. وهذه الآية مردودة على قــوله: كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِـهِ وَذِكْـرَى للمُـؤْمِنينَ. وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصّلْناهُ على عِلْمٍ والهدى في موضع نصب علـى القطـع من الهاء الـتي فـي قـوله: فَصّـلْناهُ ولـو نُصـب علـى فعـل فصّـلناه, فيكـون المعنى: فصّلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ولو قرىء «هُدًى وَرَحْمَةٍ» كان فِي الإعراب فصيحا, وكان خفض ذلك بالردّ على الكتاب.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعـالى: {هَـلْ يَنظُـرُونَ إلاّ تَـأْوِيلَهُ يَـوْمَ يَـأْتِي تَـأْوِيلُهُ يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقّ فَهَـل لّنَـا مِـن شُـفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الّذِي كُنّـا نَعْمَـلُ قَـدْ خَسِـرُوَاْ أَنْفُسَـهُمْ وَضَـلّ عَنْهُمْ مّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ هـل ينتظـر هـؤلاء المشـركون الذين يكذّبون بآيات الله ويجحدون لقاءه, إلاّ تأويله؟ يقول: إلاّ ما يئول إليـه أمرهم من ورودهـم علـى عـذاب اللـه, وصـليّهم جحيمـه, وأشـباه هـذا مما أوعدهم الله به. وقد بيّنا معنى التأويل فيما مضـى بشـواهده بمـا أغنـى عـن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11526ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتادة, قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ: أي ثوابه يَوْمَ يَأتي تَأوِيلُهُ أي ثوابه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, قال: حدثنا معمر, عن قتادة: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأوِيلُهُ قال: تأويله: عاقبته.

11527ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عـن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ قال: جزاءه, يَوْمَ يَأتي تَأوِيلُهُ قــال: جزاؤه.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة, عن ابن أبي نجيـح, عـن مجاهد, مثله.

11528ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حدثنا أسباط, عن السديّ: هَلْ يَنْظُرُون إلاّ تَأْوِيلَهُ أمـا تـأويله: فعـواقبه مثـل وقعة بدر, والقيامة, وما وعد فيه من موعد.

11529ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسـحاق, قـال: حـدثنا عبـد اللـه بـن جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس في قـوله: هَـلْ يَنْظُـرُونَ إلاّ تَـأْوِيلَهُ يَـوْمَ يَأتي تَأوِيلُهُ يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبّنـا بـالحَقّ فَلا يـزال يقع من تأويله أمر حتى يتمّ تأويله يوم القيامة, ففي ذلك أنزل: هَلْ يَنْظُـرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم, يَقُولُ يومئذ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبّنا بالحَقّ... الآية.

11530ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَـأتي تَـأويلُهُ قال: يوم القيامة.

11531ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يَوْمَ يَأتي تَأوِيلُهُ قال: يأتي تحقيقه. وقرأ قول اللـه تعـالى: هَـذَا تَأوِيـلُ

رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قال: هذا تحقيقها. وقرأ قول الله: وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللّهُ قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلاّ الله تعالى.

وأما قوله: يَوْمَ يَأْتي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ فإن معناه: يوم يجيء ما يئول إليه أمرهم من عقاب الله, يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ: أي يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذٍ من العذاب من قبل ذلك في الدنيا: لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبّنا بالحَقّ أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحلّ بهم العقاب أنّ رسل الله التي أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة, قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله, وذلك حين لا ينفعهم التصديق ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القيل والقال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11532ـ حدثني محمد بن عمرو بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يقول الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَت رسُلُ رَبّنا بالحَقّ أما الذين نسوه فتركوه, فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا: قد جاءت رسل ربنا بالحقّ.

11533ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ قال: أعرضوا عنه.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أوْ نُرَدّ فَنَعْمَلَ غيرَ الّذِي كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم: هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم, فيشفعوا لنا عند ربنا, فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا, أو نردّ إلى الدنيا مرّة أخرى, فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا؟ قال: هذا القول المساكين هنالك, لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم, فيذكروا ذلك في وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة, يقول الله جلّ ثناؤه: قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل, وَضَلّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ يقول: وأسلمهم لعذاب الله, وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله, ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله.

11534ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ يقول: شروْها بخسران.

وإنما رفع قوله أوْ نُرَدّ ولم ينصب عطفا على قوله: فَيَشْفَعُوا لَنا لأن المعنى: هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا, أو هل نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل. ولم يرد به العطف على قوله فَيَشْفَعُوا لَنا.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللّيْلَ النّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنّجُومَ مُسَخّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس, هو المعبود الذي له العبادة من كلّ شيء الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام, وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. كما:

11535ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا أبو عوانة, عن أبي بشر, عن مجاهد, قال: بدء الخلق: العرش والماء والهواء, وخلقت الأرض من الماء, وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس, وجمع الخلق في يوم الجمعة, وتهوّدت اليهود يوم السبت, ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون.

ثُمّ اسْتَوَى على العَرْشِ وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل لما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: يُغْشِي اللّيْلَ النّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا فإنه يقول: يورد الليل على النهار فيلبسه إياه, حتى يذهب نضرته ونوره. يَطْلُبُهُ يقول: يطلب الليل النهار حَثِيثا يعني سريعا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11536ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّبن أبي طلحة, عن ابن عباس: يَطْلُبُهُ حَثِيثا يقول: سريعا.

11537ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: يُغْشِي اللّيْلَ النّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا قال: يغشي الليل النهار بضوئه, ويطلبه سريعا حتى يدركه.

القول في تأويل قوله تعالى: والشّمْسَ والقَمَر وَالنّجُومَ مُسَخّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ألا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبّ العالَمِين.

يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم, كلّ ذلك بأمره, أمرهن الله فأطعن أمره, ألا لله الخلق كله, والأمر الذي لا يخالف ولا يردّ أمره دون م ا سواه من الأشياء كلها, ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر, تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كلّ شيء ربّ العالمين.

11538ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا هشام أبو عبد الرحمن, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: ثني عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاريّ, عن عبد العزيز الشامي, عن أبيه, وكانت له صحبة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللّهَ على ما عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ, وحَمِدَ نَفْسَهُ, قَلّ شُكْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ. وَمَنْ زَعَمَ أنّ اللّهَ جَعَلَ للعِبادِ مِنَ الأَمْرِ شَيْئا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أنْزَلَ اللّهُ على أنْبِيائِهِ لقوله: ألا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبّ العالَمِينَ».

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {ادْعُواْ رَبّكُمْ تَضَرّعاً وَخُفْيَةً إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ادعوا أيها الناس ربكم وحده, فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام. تَضَرّعا يقول: تذللاً واستكانة

لطاعته. وَخُفْيَةً يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه, لا جهارا مراءاة, وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته, فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله. كما:

11539ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا سويد بن نصر, قال: أخبرنا ابن المبارك, عن المبارك فضالة, عن الحسن, قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره, وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس, وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوّار وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبدا. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلاّ همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول: ادْعُوا رَبّكُمُ تَضَرّعا وَخُفْيَةً وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا, فرضي فعله فقال: إِذْ نادَى رَبّهُ نِدَاءً خَفِيّا.

11540ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عاصم الأحول, عن أبي عثمان النهدي, عن أبي موسى, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزاة, فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم, فقال: «أيّها النّاسُ ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ, إنّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمّ وَلا غائِبا إنّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعا قَرِيبا مَعَكُمْ».

11541ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس, قوله: ادْعُوا رَبّكُمْ تَضَرّعا وَخُفْيَةً قال: السرّ.

وأما قوله: إنّهُ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ فإن معناه: إن ربكم لا يحبّ من اعتدى فتجاوز حدّه الذي حدّه لعباده في دعائه ومسألته ربه, ورفعه صوته فوق الحدّ الذي حدّ لهم في دعائهم إياه ومسألتهم وفي غير ذلك من الأمور. كما:

11542ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, قال: أنبأنا إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن عبادبن عباد, عن علقمة, عن أبي مجلز: ادْعُوا رَبّكُمْ تَضَرّعا وَخُفْيَةً إنه لا يحِبّ المُعْتَدِينَ قال: لا يسأل منازل الأنبياء عليهم السلام.

11543ـ حدثني القاسم قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس: إنّهُ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ في الدعاء ولا في غير. قال ابن جريج: إن من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء, ويؤمر بالتضرّع والاستكانة.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مّنَ الْمُحْسِنِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ بَعْدَ إصْلاحِها لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها. وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى وبيّنا معناه بشواهده. بعدَ إصْلاحِها يقول: بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحقّ, وإيضاحه حججه لهم. وَادْعُوهُ خَوْفا وَطَمَعا يَقُولُ: وأخلصوا له الدعاء والعمل, ولا تشركوا في عملكم له شيئا غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك, وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذّبين, لأن من لم يخف عقاب الله ولم يَرْج ثوابه

لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه. إنّ رَحمَـةَ اللّـهِ قَرِيـبٌ مِـنَ المُحْسِنِينَ يقـول تعـالى ذكـره: إن ثـواب اللـه الـذي وعـد المحسـنين علـى إحسانهم في الدنيا قريب منهم. وذلك هو رحمتـه لأنـه ليـس بينهـم وبيـن أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته, إلاّ أن تفـارق أرواحهـم أجسادهم ولذلك من المعنى ذكر قوله: قَريبٌ وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة, لأنه أريد به القرب في الوقت لا في النسب والأوقات بـذلك المعنـى, إذا رفعت أخبارا للأسماء أجرتها العـرب مجـرى الحـال فوحـدتها مـع الواحـد والاثنين والجميع وذكّرتها مع المـؤنث, فقـالوا: كرامـة اللـه بعيـد مـن فلان, وهي قريب من فلان, كمـا يقولـون: هنـد قريـب منـا, والهنـدان منـا قريـب, والهندات منا قريب, لأن معنى ذلك: هي في مكان قريـب منـا, فـإذا حـذفوا المكان وجعلوا القريـب خلفـا منـه, ذكـروه ووحـدوه فـي الجمـع, كمـا كـان المكان مذكرا وموحدا في الجمع. وأما إذا أنثـوه أخرجـوه مثنـى مـع الاثنيـن ومجموعا مع الجميع فقالوا: هي قريبـة, منـا, وهمـا منـا قريبتـان, كمـا قـال عروة بن الورد:

عَشِيّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌفَتَدْنُو وَلا عَفْراءُ مِنْكَ بَعِيدُ

فأنّث قريبة, وذكّر بعيدا على ما وصفت. ولو كان القريب من القرابة فـي النسب لم يكن مع المؤنث إلاّ مؤنثـا ومـع الجمـع إلاّ مجموعـا. وكـان بعـض نحويي البصرة يقول: ذُكّر قريب وهو صـفة للرحمـة, وذلـك كقـول العـرب: ريح خريق, وملحفة جديد, وشـاة سـديس. قـال: وإن شـئت قلـت: تفسـير الرحمة ههنا المطر ونحوه, فلذلك ذكر كما قال: وَإنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا فذكّر لأنه أُراد النـاس, وإن شـئت جعلتـه كبعـض مـا يـذكرون مـن المـؤنث, كقول الشاعر:

(وَلا أَرْضَ أبْقَلَ إبْقالَهَا)

وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية, ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكر قريبا توجيها منه للرحمة إلى معنى المطر أن يقول: هنـد قـام, توجيهـا منـه لهند وهي امرأة إلى معنى إنسان, ورأى أن ما شبه به قوله: إنّ رَحْمَـةَ اللّـهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ بقوله: وإنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنوا غير مشـبهة, وذلـك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف, كمـا الصـيحة والصـياح بمعنـى, ولذلك قيل: وأخَذَ الّذِينَ ظَلَمُوا الصّيْحَةُ.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي يُرْسِـلُ الرّيَـاحَ بُشْـرىً بَيْـنَ يَـدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّىَ إِذَآ أَقَلّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مّيّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَـآءَ فَأَخْرَجْنَـا بِهِ مِن كُلّ الثّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىَ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ }.

يقول تعالى ذكـره: إن ربكـم الـذي خلـق السـموات والأرض والشـمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره «هُوَ الّـذِي يُرْسِـلُ الرّيـاحُ نَشْـرا بيـنَ يَـدَيْ رَحْمَتِهِ». والنشر بفتح النـون وسـكون الشـين فـي كلام العـرب مـن الريـاح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشىء السحاب, وكـذلك كـلّ ريـح طيبـة عنـدهم فهي نشر ومنه قول امرىء القيس:

كأنّ المُدَامَ وَصَوْبَ الغَمامِورِيحَ الخُزَامَى وَنَشْرَ القُطُرْ

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين خلا عاصم بن أبي النجود, فإنه كان يقرؤه: بُشْرا على اختلاف عنه فيه, فروى ذلك بعضهم عنه: بُشْرا بالباء وضمها وسكون الشين, وبعضهم بالباء وضمها وضمّ الشين, وكان يتأوّل في

قراءتـه ذلـك كـذلك قـوله: وَمِـنْ آيـاتِه أن يُرْسِـلَ الرّيـاحَ مُبَشّـراتٍ: تبشـر بالمطر, وأنه جمع بشير بُشُرا, كمـا يجمـع النـذير نُـذُرا. وأمـا قـرّاء المدينـة وعامة المكيين والبصريين, فـإنهم قـرءوا ذلـك: «وَهُـوَ الّـذِي يُرْسِـلُ الرّيَـاحَ نُشْرا» بضم النون والشين, بمعنى جمع نشور جمع نشرا, كما يجمع الصبور صُبُرا, والشكور شُكُرا. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معناهـا إذا قرئت كذلك أنها الريح التي تهبّ من كلّ ناحية وتجيء مـن كـلّ وجـه. وكـان بعضهم يقول: إذا قرئت بضمّ النون فينبغي أن تسـكن شـينها, لأن ذلـك لغـة بمعنى النشر بالفتح وقال: العرب تضمّ النون من النشر أحيانا, وتفتح أحيانـا بمعنى واحد. قال: فاختلاف القرّاء في ذلك على قدر اختلافها في لغتها فيه. وكان يقول: هو نظير الخَسف والخُسف بفتح الخاء وضمها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأ ذلـك «نَشْـرا» وَ «نُشُـرا» بفتـح النـون وسـكون الشـين وبضـمّ النـون والشـين قراءتـان مشهورتان في قـرأة الأمصـار, فلا أحـبّ القـراءة بهـا, وإن كـان لهـا معنـى صحيح ووجهو نظير الخَسف والخُسف بفتح الخاء وضمها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأ ذلـك «نَشْـرا» وَ «نُشُـرا» بفتـح النـون وسـكون الشـين وبضـمّ النـون والشـين قراءتـان مشهورتان في قـرأة الأمصـار, فلا أحـبّ القـراءة بهـا, وإن كـان لهـا معنـى صحيح ووجه مفهوم في المعنى والإعراب لما ذكرنا من العلة وأما قوله بيـن يدي رحمته فإنه يقول قدام رحمته وأمامها والعرب كذلك تقـول لكـل شـيء حدث قـدام شـيء وأمـامه جـاء بيـن يـديه لأن ذلـك مـن كلامهـم جـرى فـي إخبارهم عن بني آدم وكثر استعمال فيهم حتى قالوا ذلـك فـي غيـر ابـن آدم وما لايدله والرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه في هذا الموضع المطر.

فمعنى الكلام إذن: والله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها, طيبا نسيمها, أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه, فينشىء بهـا سـحابا ثقـالاً, حـتى إذا أقلّتهـا, والإقلال بها: حملها, كما يقال: استقلّ البعير بحملـه وأقلّـه: إذا حملـه فقـام به. ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفـت مزارعـه ودرسـت مشـاربه وأجـدب أهله, فأنزل به المطر وأخرج به من كلّ الثمرات.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11544ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضـل, قـال: حـدثنا أسـباط عـن السـديّ: «وَهُـوَ الّـذِي يُرسِـلُ الرّيـاحَ نُشْـرا بيـنَ يَـدَيْ رَحْمَتِهِ»... إلى قـوله: لَعَلّكُـمْ تَـذَكّرُونَ قـال: إن اللـه يرسـل الريـح, فتـأتي بالسـحاب مـن بيـن الخـافقين طـرف السـماء والأرض مـن حيـث يلتقيـان, فيخرجه من ثم, ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء, ثم يفتـح أبـواب السماء, فيسيل الماء علـى السـحاب, ثـم يمطـر السـحاب بعـد ذلـك. وأم ا رحمته: فهو المطر.

وأما قوله: كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ فإنه يقول تعالى ذكره: كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذي ننزله من السحاب, فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهلـه, كـذلك نخـرج المـوتى مـن قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم. لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ يقول تعـالى ذكـره للمشركين به من عبدة الأصنام, المكذّبين بـالبعث بعـد الممـات, المنكريـن للثواب والعقاب: ضربت لكم أيها القـوم هـذا المثـل الـذي ذكـرت لكـم مـن إحياء البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب, الـذي تنشـره الريـاح

التي وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير في إحياء الموتى بعد فنائها وإعادتها خلقا سويّا بعد دروسها.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11545ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ وكذلك تخرجون, وكذلك النشور, كما نخرج الزرع بالماء.
وقال أبو هريرة: «إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء, حتى إذا استكملت أجسامهم نفخ فيهم الروح, ثم يلقي عليهم نومة, فينامون في قبورهم, فإذا نُفخ في الصور الثانية, عاشوا وهم يجدون طعم النوم في رءوسهم وأعينهم, كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه, فعند ذلك يقولون: يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا فناداهم المنادي هَذَا ما وَعَدَ الرّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ.
11546ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله:كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى قال: إذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض, ثم يرسل الأرواح فتعود كلّ روح إلى جسدها, فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطّيّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبّهِ وَالّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه, يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا بإذنه طيبا ثمره في حينه ووقته. وَالّذِي خَبُثَ فردؤت تربته وملحت مشاربه, لا يَخْرُجُ نباته إلاّ نَكِدا يقول: إلاّ عسرا في شدّة, كما قال الشاعر:
لا تُنْجِزُ الوَعْدَ إنْ وَعَدْتَ وَإنْأعْطَيْتَ أعْطَيْتَ تافِها نَكِدَا
يعني بالتافه: القليل, وبالنكد, العسر, يقال منه: نَكِدَ يَنْكَدُ نَكَدا ونَكْدا, فهو نَكَدٌ ونَكِدٌ, والنكد المصدر, ومن أمثالهم نَكْدا وجَحْدا ونُكْدا وجُحْدا, والجحد: الشدّة والضيق, ويقال إذا شفه وسئل قد نكدوه ينكَدونه نَكْدا, كما قال الشاعر:
وأعْطِ ما أعْطَيْتَهُ طَيّبالا خيرَ في المَنْكُودِ والنّاكِدِ
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة: «إلاّ نَكَدا» بفتح الكاف. وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف: «نَكْدا». وخالفهما بعد سائر القرّاء في الأمصار, فقرءوه: إلاّ نَكِدا بكسر الكاف. كأن من قرأه: «نَكَدا» بنصب الكاف أراد المصدر, وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال: هذه فخْذ وكتْد, وكان الذي يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر النون من «نكد» حتى يكون قد أصاب القياس.
قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: نَكِدا بفتح النون وكسر الكاف لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه. وقوله: كذلكَ نُصَرّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ يقول: كذلك نبين آية بعد آية, وندلي بحجة بعد حجة, ونضرب مثلاً بعد مثل, لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة, باتباعهم ما أمرهم باتباعه

وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر, فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه مثل للمؤمن, والذي خبث فلا يخرج نباته إلا نَكدا مثل للكافر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11547ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح عن عليّ عن ابن عباس قوله: وَالبَلَدُ الطّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبّهِ وَالّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاّ نَكِدا فهذا مثل ضربه الله للمؤمن, يقول: هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبِخة المالحة التي لا تخرج منها البرَكة, فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

11548ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَالبَلَدُ الطّيّبُ والّذِي خَبُثَ قال: كلّ ذلك من أرض السباخ وغيرها مثل آدم وذرّيته, فيهم طيب وخبيث.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

11549ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وَالبَلَدُ الطّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبّهِ وَالّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاّ نَكِدا قال: هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن.

11550ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد, يعني ابن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَالبَلَدُ الطّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبّهِ وَالّذِي خَبُثَ هي السبخة لا يَخْرُجُ نباتها إلاّ نَكِدا. والنكِد: الشيء القليل الذي لا ينفع كذلك القلوب لما نزل القرآن, فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به, وثبت الإيمان فيه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه, ولم يثبت فيه من الإيمان شيء إلاّ ما لا ينفع, كما لم يخرج هذا البلد إلاّ ما لا ينفع من النبات.

11551ـ حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: وَالبَلَدُ الطّيّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بإذْنِ رَبّهِ وَالّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاّ نَكِدا قال: الطيب ينفعه المطر فينبت, والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته إلاّ نكدا, قال: هذا مثل ضربه الله لآدم وذرّيته كلهم, إنما خلقوا من نفس واحدة, فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبُث.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىَ قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

أقسم ربنا جلّ ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحا إلى قومه منذرهم بأسه, ومخوّفهم سخطه على عبادتهم غيره, فقال لمن كفر منهم: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ الذي له العبادة, وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة, ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة, فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره, فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك عَذَابَ يَوْمٍ عظِيم يعني: عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: غَيْرُهُ فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة: «ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرِهِ» يخفض «غير» على النعت للإله. وقرأ

جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة: مَا لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ برفع «غيرُ», ردّ الهاء على موضع «مـن» لأن موضـعها رفـع لـو نزعـت مـن الكلام لكـان الكلام رفعا, وقيل: ما لكم إله غير الله, فالعرب لما وصفت من أن المعلـوم بالكلام أدخلت «من» فيه أو أخرجت, وإنها تدخلها أحيانا فـي مثـل هـذا مـن الكلام وتخرجها منه أحيانا تـردّ مـا نعتـت بـه الاسـم الـذي عملـت فيـه علـى لفظه, فإذا خفضت فعلى كلام واحد, لأنها نعت للإله وأمـا إذا رفعـت, فعلـى كلامين: ما لكم غيره من إله, وهذا قول يستضعفه أهل العربية.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ مِن قَـوْمِهِ إِنّا لَنَـرَاكَ فِـي ضَـلاَلٍ مّبِينٍ }.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب مشركي قوم نوح لنوح, وهم الملأ والملأ: الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم أنهـم قـالوا لـه حيـن دعـاهم إلـى عبادة الله وحده لا شريك له: إنّا لَنَرَاكَ يا نوح فِـي ضَـلالٍ مُبِيـنٍ يعنـون: فـي أمر زائل عن الحقّ, مبين زواله عن قصد الحدّ لمن تأمّله.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَـلاَلَةٌ وَلَكِنّـي رَسُـولٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه مجيبا لهم: يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله وإفـراده بالطاعـة دون الأنـداد والآلهـة زوالاً منـي عن محجة الحقّ وضلالاً لسبيل الصواب, ومـا بـي مـا تظنـون مـن الضـلال, ولكني رسول إليكم من ربّ العالمين بمـا أمرتكـم بـه مـن إفـراده بالطاعـة والإقرار له بالوحدانية والبراءة من الأنداد والآلهة.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {أُبَلّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الـذين كفروا بالله وكذّبوه: ولكني رسـول مـن ربّ العـالمين أرسـلني إليكـم, فأنـا أبلغكم رسالات ربي, وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقاب الله على كفركـم به وتكذيبكم إياي وردّكم نصـيحتي. وأعْلَـمُ مِـنَ اللّـهِ مـا لا تَعْلمُـونَ: مـن أن عقابه لا يردّ عن القوم المجرمين.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَـآءَكُمْ ذِكْـرٌ مّـن رّبّكُـمْ عَلَـىَ رَجُلٍ مّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتّقُواْ وَلَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }.

وهذا أيضا خبر من الله عزّ ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم إذْ ردّوا عليه النصيحة في الله, وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيّا, وقـالوا لـه: مـا نَـرَاكَ إلاّ بَشَرا مِثْلَنا وَما نَرَاكَ اتّبَعَكَ إلاّ الّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأيِ وَما نَـرَى لَكُـمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنّكُمْ كاذِبِينَ: أوَ عَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبّكُـمْ يقـول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة, يذكركم بما أنزل ربكم على رجـل منكم. قيل: معنى قوله: على رَجُـلٍ منْكُـمْ مـع رجـل منكـم لِيُنْـذِرَكُمْ يقـول: لينذركم بأس الله, ويخوّفكم عقـابه علـى كفركـم بـه. وَلِتَتّقُـوا يقـول: وكـي تتقـوا عقـاب اللـه وبأسـه, بتوحيـده وإخلاص الإيمـان بـه والعمـل بطـاعته.

ولَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول: وليرحمكم ربكم إن اتّقيتم الله وخفتموه وحذّرتم بأسه. وفُتحت الواو من قوله: أوَ عَجِبْتُمْ لأنها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَذّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَآ إِنّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فكذّب نوحا قومُه, إذ أخبرهم أنه لله رسول إليهم يأمرهم بخلع الأنداد والإقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته, وخالفوا أمر ربهم ولجوا في طغيانهم يعمهون, فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به. وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة, فيما:

11552ـ حدثني به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: نوح وبنوه الثلاثة: سام, وحام, ويافث وأزواجهم, وستة أناسيّ ممن كان آمن به.

وكان حمل معه في الفُلك من كلّ زوجين اثنين, كما قال تبارك وتعالى: وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيلٌ. والفُلك: هو السفينة. وأغْرَقْنا الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: وأغرق الله الذين كذّبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته إياهم في الله بالطوفان. إنّهُمْ كانُوا قَوْما عَمِينَ يقول: عمين عن الحقّ. كما:

11553ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: عَمِينَ قال: عن الحقّ.

11554ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: قَوْما عَمِينَ قال: العَمِي: العامي عن الحقّ.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِلَىَ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتّقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا ولذلك نصب «هودا», لأنه معطوف به على نوح عليهما السلام. قَالَ هود: يا قَوْمِ اعْبُدُوا الله فأفردوا له العبادة, ولا تجعلوا معه إلها غيره, فإنه ليس لكم إلَه غيره. أفلا تَتّقُونَ ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره, وهو خالقكم ورازقكم دون كلّ ما سواه؟

الآية : 66-67

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنّا لَنَظُنّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنّي رَسُولٌ مّن رّبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا له قومه الذين كفروا بالله: قَالَ الملأ الّذِينَ كَفَرُوا يعني الذين جحدوا توحيد الله, وأنكروا رسالة هود إليهم: إنا لَنَرَاكَ يا هود فِي سَفاهَةٍ يعنون في ضلالة عن الحقّ والصواب, بتركك ديننا وعبادة آلهتنا. وَإنّا لَنَظُنّكَ مِنَ الكاذِبِينَ في قِيلك إني رسول من ربّ العالمين. قالَ يا قَوْمَ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ: يقول: أي ضلالة عن الحقّ والصواب, وَلَكِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبّ العالَمِينَ أرسلني, فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤدّيها إليكم كما أمرني أن أؤديها.

الآية : 68-69

القول في تأويل قوله تعالى: {أُبَلّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مّن رّبّكُمْ عَلَىَ رَجُلٍ مّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوَاْ آلاَءَ اللّهِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }

يعني بقوله: أُبَلّغُكُمْ رِسالاتِ رَبّي: أؤدّي ذلك إليكم أيها القوم. وأنا لَكُمْ ناصِحٌ: يقول: وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة, ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله, ناصحٌ, فاقبلوا نصيحتي, فإني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة, لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدّل, بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت. أوَ عَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبّكُمْ على رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ يقول: أوَ عجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة, على رجل منكم, لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه. وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ يقول: فاتقوا الله في أنفسكم, واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عَصَوا رسولهم وكفروا بربهم, فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم, لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها, فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حلّ بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم, سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم إياه وكفركم به. وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً: زاد في أجسامكم طولاً وعِظَما على أجسام قوم نوح, وفي قَوامكم على قَوامهم, نعمة منه بذلك عليكم, فاذكروا نعمه وفضله الذي فضّلكم به عليهم في أجسامكم وقَوامكم, واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له وترك الإشراك به وهجر الأوثان والأنداد. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: كي تفلحوا, فتدركوا الخلود والبقاء في النعم في الآخرة, وتنجحوا في طلباتكم عنده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11555ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ يقول: ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم.

11556ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ: أي ساكني الأرض بعد قوم نوح.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11557ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً قال: ما لقوام قوم عاد.

وأما الآلاء فإنها جمع, واحدها: «إلَى» بكسر الألف في تقدير مِعَى, ويقال: «ألًى» في تقدِير قَفَا بفتح الألف. وقد حُكي سماعا من العرب إلْيٌ مِثْل حِسْيٍ. والآلاء: النعم. وكذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11558ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاذْكُرُوا آلاء اللّهِ أي نعم الله.

11559ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: اماآلاء اللّهِ فنعم الله.

11560ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاذْكُرُوا آلاَ اللّهِ قال: آلاؤه: نعمه.

قال أبو جعفر: وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث إليهم هودا يدعوهم إلى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده, هم فيما:

11561ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

وكانت مساكنهم الشّحْر من أرض اليمن, وما والى بلاد حضرموت إلى عُمان. كما:

11562ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السّديّ: إن عادا قوم كانوا باليمن بالأحقاف.

11563ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا ابن إسحاق, عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي, عن أبي الطفيل عامر بن واثلة, قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مَدَرَة حمراء ذا أراكٍ وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت, هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين, والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا, ولكني قد حُدثت عنه. فقال الحضرميّ: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود صلوات الله عليه.

11564ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الأحقاف, قال: والأحقاف: الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن, وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلها, وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله, وكانُوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله: صنم يقال له صُداء, وصنم يقال له صمود, وصنم يقال له الهباء. فبعث الله إليهم هودا, وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا, فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره, وأن يكفوا عن ظلم الناس, ولم يأمرهم فيما يُذكر والله أعلم بغير ذلك. فأبوا عليه وكذّبوه, وقالوا: من أشدّ منا قوّة واتبعه منهم ناس وهم يسيرٌ, يكتمون إيمانهم, وكان ممن آمن به وصدّقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير, وكان يكتم إيمانه, فلما عتوا على الله وكذّبوا نبيهم, وأكثروا في الأرض الفساد, وتجبروا وبنوا بكلّ ريع آية عبثا بغير نفع, كلمهم هود, فقال: أَتَبْنُونَ بِكُلّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارِينَ فاتّقُوا اللّهَ وأطِيعُونِ قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إنْ نَقُولُ إلاّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ أي ما هذا الذي جئتنا به إلاّ جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب, قال إنّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أنّي بَرِيءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعا ثُم لا تُنْظِرُونِ... إلى قوله: صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون, حتى جهدهم ذلك. وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد, فطلبوا إلى الله الفرج منه, كانت طلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة, مسلمهم ومشركهم, فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم, وكلهم معظّم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله. قال ابن إسحاق: وكان البيت في ذلك الزمان معروفا مكانه, والحرم قائما فيما يذكرون, وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا العماليق, لأن أباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح, وكان سيدُ العماليق إذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلاً يقال له: معاوية بن بكر, وكان أبوه حيّا في ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر, وكان ابنه يرأس

قومه, وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون في أهل ذلك البيت, وكانت أمّ معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبري رجل من عاد. فلما قحِط المطر عن عاد وجهدوا, قالوا: جهزوا منكم وفدا إلى مكة, فليستسقوا لكم, فإنكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عتر ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صدّ بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير, وكان مسلما يكتم إسلامه, وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر أخو أمه, ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كلّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلاً. فلما قدموا مكة, نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم, فأنزلهم وأكرمهم, وكانوا أخواله وأصهاره. فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر, أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان, قينتان لمعاوية بن بكر, وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا. فلما رأى معاوية بن بكر طول مُقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون بهم من البلاء الذي أصابهم, شقّ ذلك عليه, فقال: هلك أخوالي وأصهاري, وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون عليّ والله ما أدري كيف أصنع بهم إن أمرتهم بالخروج إلى ما بعثوا له فيظنوا أنه ضيق مني بمقامهم عندي, وقد هلك مَن وراءهم من قومهم جهدا وعطشا. أو كما قال. فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين, فقالتا: قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله, لعلّ ذلك أن يحرّكهم. فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك:

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْلَعَلّ اللّهَ يُسْقِينا غَمامَا
فَيَسْقِي أَرْضَ عادٍ إنّ عادًاقَدَ امْسَوْا لا يُبِينُونَ الكَلامَا
مِنَ العَطَشِ الشّدِيدِ فليسَ نَرْجوبِهِ الشّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
وقَدْ كانَتْ نِساؤُهُمُ بِخَيْرٍفَقَدْ أَمْسَتْ نِساؤُهُمُ عَيامَى
وَإنّ الوَحْشَ يَأتِيهِمْ جِهارًاوَلا يَخْشَى لِعادِيّ سِهامَا
وأَنْتُمْ ها هُنا فِيما اشْتَهَيْتُمْنَهارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التّمامَا
فَقُبّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قوْمٍوَلا لُقّوا التّحِيّةَ وَالسّلامَا

فلما قال معاوية ذلك الشعر, غنتهم به الجرادتان, فلما سمع القوم ما غنتا به, قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوّثوني بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم, وقد أبطأتم عليهم, فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير: إنكم والله لا تُسقون بدعائكم, ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إليه سقيتم. فأظهر إسلامه عند ذلك, فقال لهم جُلهُمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به:

أبا سَعْدٍ فإنّكَ مِنْ قَبِيلِذَوِي كَرَمٍ وأُمّكَ مِنْ ثَمُودِ
فإنّا لا نُطِيعُكَ ما بَقِيناوَلَسْنا فاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأْمُرُنا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍوَرَمْلٍ والصّدَاءَ مَعَ الصّمُود
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍذَوِي رأْيٍ وَنَتْبَعُ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر: احبسا عنا مرثد بن سعد, فلا يقدمنّ معنا مكة, فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا إلى مكة, خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر, حتى أدركهم بها, فقال: لا أدعو الله بشيء مما خرجوا له فلما انتهى إليهم, قام يدعو الله بمكة, وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون, يقول: اللهمّ أعطني

سؤلي وحدي, ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عتر رأس وفد عاد, وقال وفد عاد: اللهمّ أعط قيلاً ما سألك, واجعل سؤلنا مع سؤله. وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم, قام فقال: اللهمّ إني جئتك وحدي في حاجتي, فأعطني سؤلي وقال قَيْل بن عير حين دعا: يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا, فإنا قد هلكنا فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثا: بيضاء وحمراء وسوداء, ثم ناداه مناد من السحاب: يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال: اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء, فناداه مناد: اخترت رمادا رِمْدَدا, لا تبق من آل عاد أحدا, لا والدا تترك ولا ولَدا, إلا جعلته هُمّدا, إلا بني اللّوْذية المُهَدّا. وبني اللوذية: بنو لُقيم بن هزال بن هزيلة بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم, ولم يكونوا مع عاد بأرضهم, فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد. وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد, حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وَقالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا يقول الله: بَلْ هُوَ ما اسْتَعَجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمّرُ كُلّ شيءٍ بأمر ربّها: أي كلّ شيء أمرت به. وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون, امرأة من عاد يقال لها مَهْدَد. فلما تيقنت ما فيها, صاحت ثم صُعِقت فلما أن أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مهدد؟ قالت: رأيت ريحا فيها كشهب النار, أمامها رجال يقودونها. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما, كما قال الله والحسوم: الدائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك. فاعتزل هود فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة, ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذّ به الأنفس, وإنها لتمر على عاد بالظّعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. وخرج وفد عاد من مكة, حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه, فنزلوا عليه, فبينما هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد, فأخبرهم الخبر, فقالوا له: أين فارقت هودا وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر, فكأنهم شكوا فيما حدثهم به, فقالت هذيلة بنت بكر: صدق وربّ الكعبة.

11565ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: حدثنا عاصم, عن الحارث بن حسان البكريّ, قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمررت على امرأة بالرّبَذَة, فقالت: هل أنت حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم. فحملتها حتى قدمت المدينة, فدخلت المسجد, فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر, وإذا بلال متقلد السيف, وإذا رايات سود, قال: قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من غزوته. فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لي, فقلت: يا رسول الله إن بالباب امرأة من بني تميم, وقد سألتني أن أحملها إليك. قال: «يا بِلالُ ائْذَنْ لَهَا» قال: فدخلت, فلما جلست قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَيْءٍ؟» قلت: نعم, وكانت لنا الدائرة عليهم, فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت. قال تقول المرأة: فإلى أين يضطّر مضطّرك يا رسول الله؟ قال: قلت: إن مَثَلي مَثَل ما قال الأوّل: مِعزًى حملت حتفها. قال: قلت: وحملتك تكونين عليّ خصما؟ أعوذ بالله أن أكون

كوافد عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَما وَافِدُ عادٍ؟» قال: قلت: على الخبير سقطتَ, إن عادا قُحِطت, فبعثت من يستسقي لها, فبعثوا رجالاً, فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الحرادتان شهرا, ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة, فدعوْا, فجاءت سحابات, قال: وكلما جاءت سحابة, قال: اذهبي إلى كذا, حتى جاءت سحابة, فنودي: خذها رمادا رمددا, لا تدع من عاد أحدا. قال: فسمعه وكلمهم, حتى جاءهم العذاب. قال أبو كريب: قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد, قال: فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة, فصعد فقال: اللهمّ إني لم أجئك لأسير فأفاديه, ولا لمريض فأشفيه, فاسْقِ عادا ما كنت مسقيه قال: فرفعت له سحابات قال: فنودي منها: اختر قال: فجعل يقول: اذهبي إلى بني فلان, اذهبي إلى بني فلان. قال: فمرّت آخرها سحابة سوداء, فقال: اذهبي إلى عاد. فنودي: منها خذها رمادا رمددا لا تدع من عاد أحدا. قال: وكلمهم, والقوم عند بكر بن معاوية يشربون, قال: وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده وأنهم في طعامه. قال: فأخذ في الغناء وذكّرهم.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن الحباب, قال: حدثنا سلام أبو المنذر النحوي, قال: حدثنا عاصم, عن أبي وائل, عن الحارث بن يزيد البكري, قال: خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فمررت بالربذة, فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم, فقالت: يا عبد الله, إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة, فهل أنت مبلغي إليه؟ قال: فحملتها فقدمت المدينة. قال: فإذا رايات, قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها, قال: فجلست حتى فرغ. قال: فدخل منزله أو قال: رحله فاستأذنت عليه, فأذن لي فدخلت, فقعدت, فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ كانَ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَيْءٌ؟» قلت: نعم, وكانت لنا الدائرة عليهم, وقد مررت بالربذة فإذا عجوز منهم منقطع بها, فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب. فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فدخلت فقلت: يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا فحميت العجوز واستوفزت وقالت: إلى أين يضطرّ مضطرّك يا رسول الله؟ قال: قلت: أنا كما قال الأول: معزى حملت حتفها, حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما, أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال: «وَما وَافِدُ عادٍ؟» قال: على الخبير سقطت, قال: وهو يستطعمني الحديث, قلت: إن عادا قحطوا فبعثوا قيلاً وافدا, فنزل على بكر, فسقاه الخمر شهرا, وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان, فخرج إلى جبال مهرة, فنادى: إني لم أجىء لمريض فأداويه, ولا لأسير فأفاديه, اللهمّ اسق عادا ما كنت مسقيه فمرّت به سحابات سود, فنودي منها: خذها رمادا رمددا, لا تبق من عاد أحدا. قال: فكانت المرأة تقول: لا تكن كوافد عاد ففيما بلغني أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلاّ قدر ما يجري في خاتمي. قال أبو وائل: فكذلك بلغني.

11566ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَإلى عادٍ أخاهُم هُودًا قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ: إن عادا أتاهم هود, فوعظهم وذكّرهم بما قصّ الله في القرآن. فكذّبوه وكفروا, وسألوه أن يأتيهم العذاب, فقال لهم: إنّما العِلْمُ عِنْدَ الله وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ لِهِ. وإن عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر,

حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا, وذلك أن هودا دعا عليهم, فبعث الله عليهم الريح العقيم, وهي الريح التي لا تلقح الشجر فلما نظروا إليها قالوا: هَذَا عارِضٌ مُمْطِرنا فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تنادوا: البيوتَ فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها, ثم أخرجتهم من البيوت, فأصابتهم في يوم نحس, والنحس: هو الشؤم, ومستمر: استمرّ عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما, حسمت كل شيءٍ مرّت به. فلما أخرجتهم من البيوت, قال الله: تَنْزِعُ النّاسَ من البيوت, كَأَنّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِر انقعر من أصوله, خاوية: خوت فسقطت. فلما أهلكهم الله, أرسل إليهم طيرا سودا, فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه, فذلك قوله: فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَساكِنُهُمْ ولم تخرج ريح قطّ إلا بمكيال إلا يومئذ, فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم, فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله: فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ والصرصر: ذات الصوت الشديد.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود: أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصا ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها؟ فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا إليه, فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله, وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مّن رّبّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِنِي فِيَ أَسْمَآءٍ سَمّيْتُمُوهَآ أَنْتُمْ وَآبَآؤُكُمُ مّا نَزّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوَاْ إِنّي مَعَكُمْ مّنَ الْمُنْتَظِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه: قد حلّ بكم عذاب وغضب من الله. وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكر لنا عنه, يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد, وأنها مقلوبة, قُلبت السين زايا, كما قلبت شئز وهي من شئس بسين, وكما قالوا قربوس وقربوز, وكما قال الراجز:

ألا لَحَى اللّهُ بَنِي السّعْلاتِعَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ لِئامِ النّاتِلَيْسُوا بأعْفافٍ وَلا أكْياتِ

يريد الناس. وأكياس فقُلبت السين تاء, كما قال رؤبة:

كَمْ قَدْ رأيْنا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزِيحتى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرّجْزِ

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقول: الرجز: السخط.

11567ـ حدثني بذلك المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبّكُمْ رِجْسٌ يقول: سخط.

وأما قوله: أتُجادِلُونَنِي في أسْماءٍ سَمّيْتمُوها أنْتُمْ وآباؤُكُمْ فإنه يقول: أتخاصمونني في أسماء سميتموها أصناما لا تضرّ ولا تنفع أنتم وآباؤكم ما نَزّلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ يقول: ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها. لأن العبادة إنما هي لمن ضرّ ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع, فأما الجماد من الحجارة

والحديد والنحاس فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ, إلاّ أن تتخذ منه آلة, ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه لأن الله يأذن بذلك, فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعا منه أمر الله في عبادته إياه, ولا هو إذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضرّه في عاجل أو آجل, فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضرّه. فانْتَظِرُوا إنّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ يقول: فانتظروا حكم الله فينا وفيكم, إني معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَنجَيْنَاهُ وَالّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مّنّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحا والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما عاد إليه من توحيد الله وهجر الآلهة والأوثان برَحْمَةٍ مِنّا وقَطَعْنَا دَابِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا يقول: وأهلكنا الذين كذّبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم, فلم نبق منهم أحدا. كما:

11568ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَطَعْنا دَابِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِنا قال: استأصلناهم.

وقد بيّنا فيما مضى معنى قوله: فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الّذِين ظَلَمُوا بشواهده بما أغنى عن إعادته. وَما كانُوا مُؤمِنِينَ يقول: لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِلَىَ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيّنَةٌ مّن رّبّكُمْ هَـَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيَ أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا. وثمود: هو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح, وهو أخو جديس بن عابر, وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. ومعنى الكلام: وإلى بني ثمود أخاهم صالحا. وإنما منع ثمود, لأن ثمود قبيلة كما بكر قبيلة, وكذلك تميم. قال: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَه غيرُهُ يقول: قال صالح لثمود: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له, فما لكم إله يجوز أن تعبدوه غيره, وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما إليه أدعو من إخلاص التوحيد لله وإفراده بالعبادة دون ما سواه وتصديقي على أني له رسول وبينتى على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي, وحجتي عليه هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهضبة دليلاً على نبوتي وصدق مقالتي, فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحد إلاّ الله. وإنما استشهد صالح فيما بلغني على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله.

ذكر من قال ذلك, وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة:

11569ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيل, عن عبد العزيز بن رفيع, عن أبي الطفيل, قال: قالت ثمود لصالح: ائْتِنا بآيَةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ قال: فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هضبة من الأرض فخرجوا, فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل. ثم إنها انفرجت, فخرجت من وسطها الناقة, فقال صالح: هَ ذِهِ ناقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً

فَذَرُوها تَأْكُل فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فلما ملوها عقروها, فَقَالَ لَهُمْ: تَمَتّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيّامٍ ذَلِكَ وَعْد غَيْرُ مَكْذوبٍ. قال عبد العزيز, وحدثني رجل آخر أن صالحا قال لهم: إن آية العذاب أن تصبحوا غدا حمرا, واليوم الثاني صفرا, واليوم الثالث سودا. قال: فصبحهم العذاب, فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدّوا.

11570ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحا قال: إن الله بعث صالحا إلى ثمود, فدعاهم فكذّبوه, فقال لهم ما ذكر الله في القرآن, فسألوه أن يأتيهم بآية, فجاءهم بالناقة, لها شرب ولهم شرب يوم معلوم, وقال: ذَرُوها تَأْكُلْ فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسّوها بسُوءٍ فأقرّوا بها جميعا, فذلك قوله: فَهَدَيْناهُمْ فاسْتَحَبوا العَمَى على الهُدَى وكانوا قد أقرّوا به على وجه النفاق والتّقية, وكانت الناقة لها شرب, فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيرجمونها, ففيهما أثرها حتى الساعة, ثم تأتي فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيرويهم, فكانت تصبّ اللبن صبّا, ويوم يشربون الماء لا تأتيهم. وكان معها فصيل لها, فقال لهم صالح: إنه يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر, فذبحوا أبناءهم, ثم وُلد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه, وكان لم يولد له قبل ذلك شيء, فكان ابن العاشر أزرق أحمر, فنبت نباتا سريعا, فإذا مرّ بالتسعة فرأوه, قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا, فغضب التسعة على صالح لأنه أمرهم بذبح أبنائهم, فَتَقاسَمُوا بالله لَنُبَيّتَنّهُ وأهْلَهُ ثُمّ لَنَقُولَنّ لِوَلِيّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِهِ وَإنّا لَصَادِقونَ. قالوا: نخرج, فيرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر, فنأتي الغار فنكون فيه, حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه, ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون, يصدّقوننا يعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر. فانطلقوا فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل, فسقط عليهم الغار فقتلهم, فذلك قوله: وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحَونَ... حتى بلغ ههنا: فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنّا دَمّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجمَعِينَ. وكبر الغلام ابن العاشر, ونبت نباتا عجبا من السرعة, فجلس مع قوم يصيبون من الشراب, فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم, وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة, فوجدوا الماء قد شربته الناقة, فاشتدّ ذلك عليهم وقالوا في شأن الناقة: ما نصنع نحن باللبن؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة, فنسقيه أنعامنا وحروثنا, كان خيرا لنا فقال: الغلام ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم. فأظهروا دينهم, فأتاها الغلام, فلما بصرت به شدّت عليه, فهرب منها فلما رأى ذلك, دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها, فقال: أحيشوها عليّ فأحاشوها عليه, فلما جازت به نادوه: عليكَ فتناولها فعقرها, فسقطت فذلك قوله تعالى: فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعاطَى فَعَقَرَ وأظهروا حينئذ أمرهم, وعقروا الناقة, وعتوا عن أمر ربهم, وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم إلى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت, فقال: عليّ بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الأرض, فطلبوه, فارتفعت به حتى حلّقت به في السماء, فلم يقدرا عليه. ثم دعا الفصيل إلى الله, فأوحى الله إلى صالح أن مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة

أيام, فقال لهم صالح: تَمَتّعُوا فِي دَاركُمْ ثَلاثَةَ أيّام وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أوّل يوم مصفرّة, والثاني محمرّة, واليوم الثالث مسودة, واليوم الرابع فيه العذاب. فلما رأوا العلامات تكفتوا وتحنطوا ولطّخوا أنفسم بالمرّ, ولبسوا الأنطاع, وحفروا الأسراب, فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة, حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله: فَدَمّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجمَعِينَ.

11571ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها, عمرت ثمود بعدها واستُخلفوا في الأرض, فنزلوا فيها وانتشروا. ثم عتوا على الله, فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله, بعث إليهم صالحا وكانوا قوما عربا, وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولاً. وكانت منازلهم الحِجر إلى قُرْح, وهو وادي القُرى, وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجاز والشام. فبعث الله إليهم غلاما شابا, فدعاهم إلى الله, حتى شمط وكبر, لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فلما ألحّ عليهم صالح بالدعاء, وأكثر لهم التحذير, وخوّفهم من الله العذاب والنقمة, سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فيما يدعوهم إليه, فقال لهم: أيّ آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا, فإن استجيب لك اتبعناك, وإن استجيب لنا اتبعتنا. فقال لهم صالح: نعم. فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك, وخرج صالح معهم إلى الله, فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به, ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل, وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقةً مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة: ما شاكلت البخت من الإبل. وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو فإن فعلت آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو حقّ وأخذ عليهم صالح مواثيقهم: لئن فعلت وفعل الله لتُصدقنّي ولتؤمنّ بي؟ قالوا: نعم, فأعطوه على ذلك عهودهم, فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفت.

11572ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس, أنه حدث: أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تتمخض بالناقة تمخض النّتُوج بولدها, فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة, فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وَبْراء نتوج, ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما. فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه, وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدّقوا, فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس, وكانوا من أشراف ثمود, وردّوا أشرافها عن الإسلام, والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة. وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس, فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك, فأطاعهم, وكان من أشراف ثمود وأفاضلها, فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل, وكان مسلما:

وكانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْروإلى دينِ النّبِيّ دَعَوْا شِهابا
عَزِيزَ ثَمودَ كُلّهمُ جَمِيعافَهَمَّ بِأنْ يُجِيبَ وَلَوْ أجابا
لأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينا عَزِيزاوَما عَدَلُوا بصَاحِبِهِمْ ذُؤَابا

وَلكنّ الغُوَاةَ مِنْ آلِ حِجْرٍتَوّلّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمُ ذِئابا

فمكثت الناقة التي أخرجها الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء, فقال لهم صالح عليه السلام: هَذِهِ ناقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأكلْ فِي أرْضِ اللّهِ وَلا تَمَسّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وقال الله لصالح: إن الماء قسمة بينهم, كلّ شرب محتضر أي إن الماء نصفان: لهم يوم ولها يوم وهي محتضرة, فيومها لا تدع شربها وقال لها شِرْبٌ ولَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. فكانت فيما بلغني والله أعلم إذا وردت وكانت ترد غِبّا وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة, فيزعمون أنها منها كانت تشرب, إذا وردت تضع رأسها فيها, فما ترفعه حتى تشرب كلّ قطرة ماء في الوادي, ثم ترفع رأسها فتفسح يعني تفحّج لهم, فيحتلبون ما شاءوا من لبن, فيشربون ويدّخرون حتى يملئوا كلّ آنيتهم, ثم تصدر من غير الفجّ الذي منه وردت, لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها, فلا ترجع منه حتى إذا كان الغد كان يومهم, فيشربون ما شاءوا من الماء, ويدّخرون ما شاءوا ليوم الناقة, فهم من ذلك في سعة. وكانت الناقة فيما يذكرون تصِيف إذا كان الحرّ بظهر الوادي, فتهرب منها المواشي أغنامهم وأبقارهم وإبلهم, فتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجدبه وذلك أن المواشي تنفر منها إذا رأتها, وتشتو في بطن الوادي إذا كان الشتاء, فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البرد والجدب, فأضرّ ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار. وكانت مراتعها فيما يزعمون الجِناب وحِسمى, كل ذلك ترعى مع وادي الحجر. فكبر ذلك عليهم, فعتوا عن أمر ربهم, وأجمعوا في عقر الناقة رأيهم. وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز, تكنى بأم غنم, وهي من بني عبيد بن المهل أخي دميل بن المهل, وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو, وكانت عجوزا مسنة, وكانت ذات بنات حسان, وكانت ذات مال من إبل وبقر وغنم, وامرأةٌ أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بني عبيد وصاحب أوثانهم في الزمن الأوّل. وكان الوادي يقال له وادي المحيا, وهو المحيا الأكبر جد المحيا الأصغر أبي صدوف. وكانت صدوف من أحسن الناس, وكانت غنية ذات مال من إبل وغنم وبقر, وكانتا من أشدّ امرأتين في ثمود عداوة لصالح وأعظمهم به كفرا, وكانتا تحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرّت به من مواشيهما. وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بني هليل, فأسلم فحسن إسلامه, وكانت صدوف قد فوّضت إليه مالها, فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رقّ المال. فاطلعت على ذلك من إسلامه صدوف, فعاتبته على ذلك, فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله وإلى الإسلام, فأبت عليه, وسبَتْ ولده, فأخذت بنيه وبناته منه فغيبتهم في بني عبيد بطنها الذي هي منه. وكان صنتم زوجها من بني هليل, وكان ابن خالها, فقال لها: ردّي عليّ ولدي فقالت: حتى أنافرك إلى بني صنعان بن عبيد أو إلى بني جندع بن عبيد. فقال لها صنتم: بل أنا أقول إلى بني مرداس بن عبيد وذلك أن بني مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا في الإسلام وأبطأ عنه الآخرون, فقالت: لا أنافرك إلاّ إلى من دعوتك إليه فقال بنو مرداس: والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته إياهم. ثم إن صدوف وعنيزة تحيلا في عقر الناقة للشقاء الذي نزل, فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة, وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل,

فأبى عليها. فدعت ابن عم لها يقال مصدع بن مهرج بن المحيا, وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة, وكانت من أحسن الناس, وكانت غنية كثيرة المال, فأجابها إلى ذلك. ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلاً من أهل قرح, وكان قدار رجلاً أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد, ولم يكن لأبيه سالف الذي يُدعى إليه ولكنه قد ولد على فراش سالف, وكان يدعى له ويُنسب إليه, فقالت: أعطيك أيّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود, وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود, وكان قدار عزيزا منيعا في قومه. فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج, فاستنفرا غواة من ثمود, فاتبعهما سبعة نفر, فكانوا تسعة نفر, أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له هويل بن ميلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لأبيها وأمها, وكان عزيزا من أهل حجر, ودعير بن غنم بن داعر, وهو من بني حلاوة بن المهل, ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج, وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم. فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء, وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها, وكمن لها مصدع في أصل أخرى, فمرّت على مصدع فرماها بسهم, فانتظم به عضلة ساقها. وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها, فأسفرت عنه لقدار وأرته إياه, ثم ذمرته, فشدّ على الناقة بالسيف, فكشف عرقوبها, فخرّت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها, ثم طعن في لبّتها فنحرها. وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً منيعا, ثم أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صور فأتاهم صالح, فلما رأى الناقة قد عقرت, قال: انتهكتم حرمة الله, فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة, وفيهم مصدع بن مهرج, فرماه مصدع بسهم, فانتظم قلبه, ثم جرّ برجله فأنزله, ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه. فلما قال لهم صالح: أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزءون به: ومتى ذلك يا صالح؟ وما آية ذلك؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم: الأحد: أوّل, والاثنين: أهون, والثلاثاء: دبار, والأربعاء: جبار, والخميس: مؤنس, والجمعة: العروبة, والسبت: شيار, وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك: تصبحون غداة يوم مؤنس يعني يوم الخميس ووجوهكم مصفرّة. ثم تصبحون يوم العروبة يعني يوم الجمعة ووجوهكم محمرّة. ثم تصبحون يوم شيار يعني يوم السبت ووجوهكم مسودّة. ثم يصبحكم العذاب يوم الأوّل يعني يوم الأحد. فلما قال لهم صالح ذلك, قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلموا فلنقتل صالحا إن كان صادقا عجلناه قبلنا, وإن كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله, فدمغتهم الملائكة بالحجارة. فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح, فوجدوهم مشدّخين قد رُضخوا بالحجارة, فقالوا لصالح: أنت قتلتهم ثم هموا به, فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح, وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبدا, فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث, فإن كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضبا, وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون. فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك, والنفر الذين رضختم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: وكانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ... إلى قوله: لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فأصبحوا من تلك الليلة التي انصرفوا فيها عن صالح وجوههم

مصفرّة, فأيقنوا بالعذاب, وعرفوا أن صالحا قد صدقهم, فطلبوه ليقتلوه, وخرج صالح هاربا منها حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم, فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى بأبي هدب, وهو مشرك, فغيبه فلم يقدروا عليه. فغدوا على أصحاب صالح, فعذّبوهم ليدلّوهم عليه, فقال رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم: يا نبيّ الله إنهم ليعذّبوننا لندلهم عليك, أفندلهم عليك؟ قال: نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم, فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هدب فكلموه, فقال لهم: عندي صالح, وليس لكم إليه سبيل. فأعرضوا عنه وتركوه, وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه, فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس, وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرّة, ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرّة, ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة, حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام, فنزل رملة فلسطين, وتخلّف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم, فنزل قرح وهي وادي القرى, وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً, فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم, وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك في قتلها, فقال له ميدع بن هرم: يا عمرو بن غنم, اخرج من هذا البلد, فإن صالحا قال من أقام فيه هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو: ما شركت في عقرها, وما رضيت ما صُنع بها. فلما كانت صبيحة الأحد أخذتهم الصيحة, فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك, إلا جارية مقعدة يقال لها الدريعة, وهي كليبة ابنة السلق, كانت كافرة شديدة العداوة لصالح, فأطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع, فخرجت كأسرع ما يرى شيء قطّ, حتى أتت حيّا من الأحياء, فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه, ثم استسقت من الماء فسُقيت, فلما شربت ماتت.

11573ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: قال معمر: أخبرني من سمع الحسن يقول: لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلاّ, فقال: يا ربّ أين أمي؟ ثم رغا رغوة, فنزلت الصيحة, فأخمدتهم.

حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الحسن بنحوه, إلا أنه قال: أصعد تلاّ.

11574ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم: آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرّة, ثم تصبح اليوم الثاني محمرّة, ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة فأصبحت كذلك. فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا, ثم أخذتهم الصيحة فأهملتهم. قال قتادة: قال عاقر الناقة لهم: لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين. فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها, فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم والصبيّ, حتى رضوا أجمعين, فعقرها.

11575ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن عبد الله بن عثمان بن خُيْثَم, عن أبي الزبير, عن جابر بن عبد الله, قال: لما مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحجر, قال: «لا تَسْأَلُوا الآيَاتِ, فَقَدْ سَأَلَها قَوْمُ صَالِحٍ, فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجّ وتَصْدُرُ مِنْ الفَجّ, فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبّهِمْ فعَقَرُوهَا. وكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْما ويَشْرَبُونَ لَبَنَها

يَوْما, فعَقَرُوهَا فأخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ أَهْمَدَ الله مَنْ تَحْتَ أدِيـمِ السّـمَاءِ مِنْهُـمْ إلاّ رَجُلاً وَاحِدا كَانَ في حَرَمِ الله».قِيل: من هو؟ قال: «أبُو رِغَـالٍ, فلمّـا خَـرَجَ مِنَ الحَرَمِ أصَابَهُ ما أصَابَ قَوْمَهُ».

11576ـ قال: عبد الرزاق, قال معمر: وأخبرني إسـماعيل بـن أميـة: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر أبي رغال, فقـال: «أتَـدْرُونَ مـا هَـذَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هَذَا قَبْرُ أبي رِغالٍ». قالوا فمن أبو رغــال؟ قال: «رَجُلٌ مِنْ ثَمُودَ كانَ فِي حَرَمِ اللّهِ, فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللّهِ عَذَابَ اللـه, فَلَمّـا خَرَجَ أصَابَهُ ما أصَابَ قَوْمَهُ, فَدُفِنَ هَهُنا, وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ». فَنَـزَلَ القَوْمُ فابْتَدَرُوهُ بأسْيافِهِمْ, فَبَحَثُوا عَلَيْهِ فاسْتَخْرَجُوا الغُصْنَ.

قال عبد الرزاق: قال: معمر: قال الزهري: أبو رغال: أبو ثقيف.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم, عن جابر, قال: مـرّ النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم بالحجر, ثم ذكر نحوه إلا أنه قال في حديثه: قالوا: مـن هـو يـا رسـول اللـه؟ قال: «أبُو رِغالٍ».

11577ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قـال: حـدثنا أبي, عن قتادة, قال: كان يقال إن أحمر ثمـود الـذي عقـر الناقـة, كـان ولـد زِنْية.

11578ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن أبـي إسحاق, قال: قـال أبـو موسـى: أتيـت أرض ثمـود, فـذرعتُ مصـدر الناقـة فوجدته ستين ذراعا.

حدثنا محمد بن عبـد الأعلـى, قـال: حـدثنا محمـد بـن ثـور, عـن معمـر, وأخبرني إسماعيل بن أمية بنحو هذا, يعني بنحو حديث عبد اللـه بـن عثمـان بن خيثم, عن جابر, قال: ومرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بقـبر أبـي رغـال, قالوا: ومن أبو رغال؟ قال: «أبُو ثَقِيفٍ, كَانَ في الحَرَمِ لما أهْلَكَ اللّهِ قَوْمَهُ, مَنَعَهُ حَرَمُ الله مِنْ عَذَابِ الله فلما خَرَجَ أصَابَهُ ما أصَـابَ قَـوْمَهُ فـدُفِنَ هَهُنـا ودُفِـنَ مَعَـهُ غُصْـنٌ مِـنْ ذَهَـبٍ». قـال: فابتـدره القـوم يبحثـون عنـه حـتى استخرجوا ذلك الغصن.

وقال الحسن: كان للناقة يوم ولهم يوم, فأضرّ بهم.

11579ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري, قال: لما مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بـالحجر قـال: «لا تَـدْخُلُوا مَساكِنَ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَـهُمْ, إلاّ أنْ تَكُونُـوا بـاكِينَ أنْ يُصِـيبَكُمْ مِثْـلُ الّـذِي أصَابَهُمْ». ثم قال: «هَذَا وَادِي النّمْرِ». ثُـمّ رَفَـعَ رأسَـهُ وأسْـرَعَ السّـيْرَ حـتى أجازَ الوَادِيَ.

وأما قوله: وَلا تَمَسّوها بِسُوءٍ فإنه يقول: ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر, فيأخذَكُمْ عذابٌ أليمٌ يعني موجع.

الآية : 74

القول في تأويل قـوله تعـالى: {وَاذْكُـرُوَاْ إِذْ جَعَلَكُـمْ خُلَفَـآءَ مِـن بَعْـدِ عَـادٍ وَبَـوَّأَكُمْ فِـي الأَرْضِ تَتّخِـذُونَ مِـن سُـهُولِهَا قُصُـوراً وَتَنْحِتُـونَ الْجِبَـالَ بُيُوتـاً فَاذْكُرُوَاْ آلاَءَ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظا لهم: وَاذْكُـرُوا أيهـا القوم نعمة الله عليكم, إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ يقول تخلفون عادا فـي الأرض بعـد

هلاكها. وخلفاء: جمع خليفة, وإنما جمع خليفة خلفاء وفعلاء إنما هي جمع فعيل, كما الشركاء جمع شريك, والعلماء جمع عليم, والحلماء جمع حليم لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل, فكأن واحدهم خليف, ثم جمع خلفاء. فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف, كما يقال: كرائم وحلائل ورغائب, إذ كانت من صفات الإناث, وإنما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن, لأنها جمعت مرّة على لفظها, ومرّة على معناها.

وأما قوله: وَبَوّأكُمْ فِي الأرْضِ فإنه يقول: وأنزلكم في الأرض, وجعل لكم فيها مساكن وأزواجا. تَتّخذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورا وَتَنْحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتا ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن, كما:

11580ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وتَنْحِتون الجِبالِ بُيُوتا كانوا ينقبون في الجبال البيوت.

وقوله: فاذْكُرُوا آلاَ اللّهِ يقول: فاذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم. وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْض مُفْسِدِينَ وكان قتادة يقول في ذلك, ما:

11581ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَعْثَـوْا فِـي الأرْضِ مُفْسِـدِينَ يقـول: لا تسيروا في الأرض مفسدين.

وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 75-76

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنّ صَالِحاً مّرْسَلٌ مّن رّبّهِ قَالُوَاْ إِنّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الّذِينَ اسْتَكْبَرُوَاْ إِنّا بِالّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: قالَ المَلأُ الّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتّباع صالح والإيمان بالله وبه, للّذِينَ اسْتُضْعِفُوا يعني: لأهل المسكنة من تباع صالح والمؤمنين به منهم, دون ذوي شرفهم وأهل السؤدد منهم: أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله إلينا وإليكم؟ قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم: إنا بما أرْسَلَ الله به صالحا من الحقّ والهدى مؤمنون يقول: مصدّقون مقرّون أنه من عند الله وأن الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح إليه. قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح: إنّا أيها القوم بالّذِي آمَنْتُمْ بِهِ يقول: صدّقتم به من نبوّة صالح, وأن الذي جاء به حقّ من عند الله كَافِرُونَ يقول: جاحدون منكرون, لا نصدّق به ولا نقرّ.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {فَعَقَرُواْ النّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية. وَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبّهِمْ يقول: تكبروا وتجبروا عن اتباع الله, واستعلَوْا عن الحقّ. كما:

11582ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَعَتَوْا علوّا عن الحقّ لا يبصرونه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد: عَتَوْا عَنْ أمْر رَبّهِمْ: علوّا في الباطل.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد في قوله: وَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبّهِمْ قال: عتوا في الباطل وتركوا الحقّ.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَعَتَوْا عَنْ أمْرِ رَبّهِمْ قال: علوّا في الباطل.
وهو من قولهم: جبار عات: إذا كان عاليا في تجبره. وَقالُوا يا صَالِحُ ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا يقول: قالوا: جئنا يا صالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالاً منهم للعذاب أنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ يقول: إن كنت لله رسولاً إلينا, فإن الله ينصر رسله على أعدائه. فعجل ذلك لهم كما استعجلوه, يقول جلّ ثناؤه: فَأَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ فَأصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }.
يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة, وهي الصيحة, والرجفة: الفَعْلة, من قول القائل: رجَف بفلان كذا يَرْجُف رَجْفا, وذلك إذا حرّكه وزعزعه, كما قال الأخطل:
إمّا تَرَيْنِي حنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ
كالنّسْرِ أرْجُفُ وَالإنْسانُ مَهْدُودُ
وإنما عنى بالرجفة ههنا: الصيحة التي زعزعتهم وحرّكتهم للهلاك, لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
11583ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: الرجفة, قال: الصيحة.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
11584ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَأخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ وهي الصيحة.
حدثني الحرث, قال: حدثنا عبد العزيز, قال: حدثنا أبو سعد, عن مجاهد: فَأخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ قال: الصيحة.
وقوله: فَأصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ يقول: فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في دارهم, يعني في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم ولذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول «في دورهم». وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور, ولكن وجه بالواحدة إلى الجمع, كما قيل: وَالعَصْرِ إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ.
وقوله: جاثِمِينَ يعني: سقوطا صرعى لا يتحرّكون لأنهم لا أرواح فيهم قد هلكوا, والعرب تقول للبارك على الركبة: جاثم, ومنه قول جرير:
عَرَفْتُ المُنْتَأى وعَرَفْتُ مِنهامَطايا القِدْرِ كالحِدَإِ الجُثُوم
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11585ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ قال: ميتين.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَوَلّىَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاّ تُحِبّونَ النّاصِحِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم لأن الله تعالى ذكره أوحى إليه: إني مهلكهم بعد ثلاثة. وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها, فأخبر الله جلّ ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم, فقال: فتولّى عنهم صالح, وقال لقومه ثمود: لقد أبلغتكم رسالة ربي, وأدّيت إليكم م ا أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه, ونصحت لكم في أدائي رسالة الله إليكم في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان, وَلَكِنْ لا تُحِبّونَ النّاصِحِينَ لكم في الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادّين لكم عن شهوات أنفسكم.

الآية : 80

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مّن الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا لوطا. ولو قيل: معناه: واذكر لوطا يا محمد إذ قال لقومه إذ لم يكون في الكلام صلة الرسالة كما كان في ذكر عاد وثمود كان مذهبا.

وقوله: إذْ قالَ لِقَوْمِه يقول: حين قال لقومه من سدوم, وإليهم كان أرسل لوط: أتَأتُونَ الفاحِشَةَ, وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها: إتيان الذكور. ما سَبَقَكُمْ بها مِنْ أحَد مِنَ العالَمِينَ يقول: ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين. وذلك كالذي:

11586ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا إسماعيل بن علية, عن ابن أبي نجيح, عن عمرو بن دينار, قوله: ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ قال: ما رؤي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط.

الآية : 81

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّكُمْ لَتَأْتُونَ الرّجَالَ شَهْوَةً مّن دُونِ النّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مّسْرِفُونَ }.

يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه, توبيخا منه لهم على فعلهم: إنّكُمْ أيها القوم لَتأتون الرّجالَ فِي أدبارهم, شَهْوَةً منكم لذلك, مِنْ دُونِ الذي أباحه الله لكم وأحله من النّساءِ بَلْ أنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ يقول: إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا, وذلك هو الإسراف في هذا الموضع. والشهوة: الفَعلة, وهي مصدر من قول القائل: شهيت هذا الشيء أشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر:

وأشْعَثَ يَشْهَى النّوْمَ قُلْتُ لَهُ ارْتَحِل
إذَا ما النّجُومُ أعْرَضَتْ واسْبَطَرّتِ
فَقامَ يَجُرّ البُرْدَ لَوْ أنّ نَفْسَهُ
يُقالُ لَهُ خُذْها بِكَفّيْكَ خَرّتِ

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَن قَالُوَاْ أَخْرِجُوهُمْ مّن قَرْيَتِكُمْ إِنّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهّرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرّم الله عليهم من العمل الخبيث إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطا وأهله ولذلك قيل: أخرجوهم, فجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره. وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى: أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم, فاكتفى بذكر لوط في أوّل الكلام عن ذكر أتباعه, ثم جمع في آخر الكلام, كما قيل: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ وقد بيّنا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ يقول: إن لوطا ومن تبعه أناس يتنزّهون عما نفعله نحن من إتيان الرجال في الأدبار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11587ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا هانىء بن سعيد النخعي, عن الحجاج, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد: إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن مجاهد: إنّهُم أُناسٌ يَتطَهّرُونَ من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثني المثنى, قال: حدثنا الحجاج, قال: حدثنا حماد, عن الحجاج, عن القاسم بن أبي بزة, عن مجاهد في قوله: إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ قال: يتطهرون من أدبار الرجال والنساء.

11588ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا إسحاق, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الحسن بن عمارة, عن الحكم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ قال: من أدبار الرجال ومن أدبار النساء.

11589ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ قال: يتحرّجون.

11590ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: إنّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهّرُونَ يقول: عابوهم بغير غيب, وذموهم بغير ذم.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة, وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم, إلا التمادي في غيهم, أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به إلا امرأته فإنها كانت للوط خائنة وبالله كافرة.

وقوله: مِنَ الغابِرينَ يقول: من الباقين. وقيل «من الغابرين» ولم يقل «الغابرات», لأنه يريد أنها ممن بقي مع الرجال, فلما ضمّ ذكرها إلى ذكر الرجال قيل من الغابرين, والفعل منه: غَبَرَ يَغْبُرُ غُبُورا وغَبْرا, وذلك إذا بقي كما قال الأعشى:

عَضّ بِمَا أبْقَى المَوَاسِي لَهُمِنْ أمّهِ فِي الرّمَنِ الغابِرِ

وكما قال الآخر:

وأبِي الّذي فَتَحَ البِلادَ بسَيْفِهِفَأذَلّها لِبَنِي أبانَ الغابِرِ

يعني: الباقي.

فإن قال قائل: فكانت امرأة لوط مـمن نـجا من الهلاك الذي هلك به قوم لوط؟ قـيـل: لا, بل كانت فـيـمن هلك. فإن قـال: فكيـف قـيــل: إلاّ امْرأتَـهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ وقد قلت إن معنى الغابر البـاقـي, فقد وجب أن تكون قد بقـيت؟ قـيـل: إن معنى ذلك غيـر الـذي ذهبـت إلــيه وإنــما عنـى بـذلك: إلا مرأته كانت من البـاقـين قبل الهلاك والـمعمرين الذين قد أتـى علـيهم دهــر كبـير ومرّ بهم زمن كثـير, حتــى هرمـت فـيــمن هـرم مـن النـاس, فكـانت مـمن غبر الدهر الطويـل قبل هلاك القوم, فهلكـت مـع مـن هلـك مـن قـوم لوط حين جاءهم العذاب. وقـيـل: معنى ذلك: من البـاقـين فـي عذاب الله. ذكر من قال ذلك:

11591ـ حدثنـي مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مـحمد بن ثـور, ع ن معمر, عن قتادة: إلاّ عَجُوزًا فِـي الغابِرِينَ: فـي عذاب الله.

الآية : 84

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مّطَراً فَانْظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وأمطرنا علـى قوم لوط الذين كذّبوا لوطا ولـم يؤمنوا به مطرا م ن حجـارة م ن سجيــل أهلكنـاهم بـه. فـ انُظُرْ كَيْـفَ كـانَ عاقِبَـةُ الـمُـجْرِمِينَ يقول جلّ ثناؤه: فـانظر يا مـحمد إلـى عاقبة هؤلاء الذين كــذّبوا اللـه ورسـوله مـن قـوم لـوط, فــاجترموا معاصـي اللـه وركبـوا الفـواحش واستـحلوا ما حرّم الله من أدبـار الرجال, كيف كانت وإلـى أي شيء صارت هل كانت إلا البوار والهلاك؟ فإن ذلك أو نظيره من العقوبة, عاقبة من كذّبك واستكبر عن الإيـمان بـالله وتصديقك إن لـم يتوبوا, من قومك.

الآية : 85

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِلَـىَ مَـدْيَنَ أَخَـاهُمْ شُـعَيْباً قَـالَ يَـاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَـآءَتْكُمْ بَيّنَـةٌ مّـن رّبّكُـمْ فَـأَوْفُواْ الْكَيْـلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِـي الأرْضِ بَعْـدَ إِصْـلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وأرسلنا إلـى ولد مدين. ومدين: هـم ولـد مـدين بـن إبراهيـم خـلـيـل الرحمن, فـيـما:

11592ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق.

فإن كان الأمر كما قال: فمدين قبـيـلة كتـميـم. وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبـا الذي ذكر الله أنه أرسله إلـيهم من ولد مـدين هـذا, وأنـه شـعيب بـن ميكيـل بن يشجر, قال: واسمه بـالسريانـية بثرون.

فتأويـل الكلام علـى ما قاله ابن إسـحاق: ولقـد أرسـلنا إلــى ولـد مـدين أخاهم شعيب بن ميكيـل, يدعوهم إلـى طاعة الله والانتهاء إلـى أمره وتـرك السعي فـي الأرض بـالفساد والصدّ عن سبيـله, فقال لهم شعيب: يـا قــوم اعبدوا الله وحده لا شريك له, ما لكم من إله يستوجب علـيكم العبــادة غيـر الإله الذي خـلقكم وبـيده نفعكم وضرّكم. قَدْ جاءَتْكُمْ بَـيّنَةٌ مِنْ رَبّكُـمْ يقـول: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقـيقة ما أقول وصدق مـا أدعـوكم إلــيه. فَأَوْفُوا الكَيْـلَ والـمِيزَانَ يقول: أتـموا للناس حقوقهم بـالكيـل الذي تكيـلون به وبـالوزن الذي تزنون به. وَلا تَبْخَسُوا النّـاسَ أَشْـياءَهُمْ يقـول ولا تظلــموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها. ومن ذلك قولهم: تــحسبها حمقـاء وهـي

باخسة, بمعنى ظالمة, ومنه قول الله: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ يعني به: رديء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

11593ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أشْياءَهّمْ يقول: لا تظلموا الناس أشياءهم.

11594ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أشْياءَهمْ: قال: لا تظلموا الناس أشياءهم.

وقوله: وَلا تُفْسِدُوا فِي الأرْض يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه, من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن. بَعْدَ إصْلاحِها يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبيّ عليه السلام فيكم, ينهاكم عما لا يحلّ لكم وما يكرهه الله لكم. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد في الأرض, خير لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة. إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ يقول: إن كنتم مصدقيّ فيما أقول لكم وأودّي إليكم عن الله من أمره ونهيه.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوَاْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثّرَكُمْ وَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }.

يعني بقوله: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ: ولا تجلسوا بكلّ طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل. وكانوا فيما ذكر يقعدوه على طريق من قصد شعيبا وأراده ليؤمن به, فيتوعدونه ويخوّفونه ويقولون: إنه كذّاب. ذكر من قال ذلك:

11595ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ قال: كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فأراد الإسلام.

11596ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَقْعَدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ والصراط: الطريق, يخوّفون الناس أن يأتوا شعيبا.

11597ـ حدثني المثنى, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: كانوا يجلسون في الطريق, فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا عليه السلام كذّاب, فلا يفتنْكم عن دينكم.

11598ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى: بِكُرّ صِراطٍ تُوعِدُونَ: كلّ سبيل حقّ.

حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, نحوه.

11599ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ كانوا يقعدون على كلّ طريق يوعدون المؤمنين.
11600ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا حميد بن عبد الرحمن, عن قيس, عن السديّ: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ قال: العشّارون.
11601ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا أبو جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, عن ابي هريرة أو غيره, شكّ أبو جعفر الرازي قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به على خشبة على الطريق لا يمرّ بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته, قال: «ما هَذَا يا جُبْرِيلُ؟» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا: وَلا تَقْعُدُوا بكُلّ صِرَاطٍ تُوعَدُونَ وَتَصُدّونَ.
وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة يدلّ على أن معناه كان عند أبي هريرة أن نبيّ الله شعيبا إنما نهى قومه بقوله: وَلا تَقْعُدُا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ عن قطع الطريق, وأنهم كانوا قطاع الطريق. وقيل: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِراطٍ تُوعِدُونَ ولو قيل في غير القرآن: لا تقعدوا في كل صراط كان جائزا فصيحا في الكلام وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم, فجاز ذلك كما جاز أن يقال: قعد له بمكان كذا, وعلى مكان كذا, وفي مكان كذا. قال: تُوعِدونَ ولم يقل: «تعدون», لأن العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد, تقول: «أوعدته» بالألف «وتقدّم مني إليه وعيد», فإذا بينتْ عما أوعدت وأفصحت به, قالت: «وعدته خيرا, ووعدته شرّا» بغير ألف, كما قال جلّ ثناؤه: النّارُ وَعَدَها اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا.
وأما قوله: وَتَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ فإنه يقول: وتردّون عن طريق الله وهو الردّ عن الإيمان بالله والعمل بطاعته من آمن به, يقول: تردّون عن طريق الله من صدّق بالله ووحده. وتَبْغُونَها عِوَجا يقول: وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته, عوجا عن القصد والحقّ إلى الزّيغ والضلال. كما:
11602ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: وَتَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: أهلها, وتَبْغُونَها عِوَجا تلتمسون لها الزيغ.
حدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.
11603ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة: وتَبْغُونَها عِوَجا قال: تبغون السبيل عن الحقّ عوجا.
11604ـ حدثني محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: وَتَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ عن الإسلام تبغون السبيل عِوَجا: هلاكا.
وقوله: وَاذْكُرُوا إذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثّرَكُمْ يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلاً عددهم, وأن رفعهم من الذلة والخساسة. يقول لهم: فاشكروا الله الذي أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة, واتقوا عقوبته بالطاعة, واحذروا نقمته بترك المعصية. وَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُفْسِدِينَ يقول: وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من

الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات, وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه, ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان وبعضهم رجما بالحجارة وبعضهم بالصيحة؟ والإفساد في هذا الموضع معناه: معصية الله.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مّنكُمْ آمَنُواْ بِالّذِيَ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتّىَ يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }.

يعني بقوله تعالى ذكره: وَإِنْ كان طائِفَةً مِنْكُمْ وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا, يقول: صدّقوا, بالّذِي أرْسِلَتُ بِهِ من إخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم في المكاييل والموازين, فاتبعوني على ذلك. وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا يقول: وجماعة أخرى لم يصدّقوا بذلك, ولم يتبعوني عليه. فاصْبِرُوا حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنا يقول: فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم. وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ يقول: والله خير من يفصل وأعدل من يقضي, لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد, ولا محاباة لأحد والله أعلم.